



BOBST LIBRARY

3 1142 01911 6618



New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
Bobst Library JAN - 4 RECD DEC 1 1995		
-----	-----	-----
-----	-----	-----
-----	-----	-----

V7C

2

هدية المولى رفيع بن محمد
Azim Rafiq ibn Mahmud

Kitab ash-har
mashahir
al-Islam fi al-hurub

كتاب
استبصار
الاسماء
المسماة
في
السياسة

الحزب والسياسة

تأليف

رفيق بك العظم

الجزء الثاني من المجلد الاول

(في سيرة الخلفاء الراشدين)

{ وهذا الجزء يتضمن سيرة عمر بن الخطاب }

« ومن اشهر في دولته »

(طبع بمطبعة الموسوعات شارع باب الحلق بمصر سنة ١٣١٩ هـ)
« لصاحبها اسماعيل حافظ »

٧٦٢

DS
222
1A9
1901
Vol. I
pt. 2
c. 1

عمر بن الخطاب

— باب —

﴿ حاله في الجاهلية ﴾

« نسه وأصر »

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رباح بن عبد الله بن قرط بن زراح بن عدي بن كعب القرشي السدي أبو حفص وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وقيل حنتمة بنت هشام بن المغيرة فعلى هذا تكون أخت أبي جهل وعلى الأول تكون بنت عمه لأن هاشمًا وهشامًا بني المغيرة أخوان وهشام والد أبي جهل وأخيه الحارث وأما هاشم فإنه والد حنتمة وعم أبي جهل والحارث هكذا صححه في أسد الغابة

﴿ شرفه وصناعته ﴾

سبق لنا في صدر الجزء الأول من هذا الكتاب ذكر الرهط من قريش الذي انتهى اليهم الشرف في الجاهلية ومنهم عمر بن الخطاب وكانت تنهي إليه السفارة كما سبق لنا ذكر حرف الصحابة الذين ستر دسيرتهم في هذا الكتاب ومنهم عمر بن الخطاب فإنه كان تاجرًا وما زالت هذه صناعته في الجاهلية والاسلام حتى ولي الخلافة فحينئذ تركها انشغلاً عنها بصالح المسلمين كما سيمر عليك مفصلاً ان شاء الله

﴿ مكانته عند قومه وسيرته فيهم ﴾

مكانة عمر عند قومه تعلم مما سيأتي في ذكر اسلامه وحسبه من ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعان يعز الاسلام بعمر فاستجيب دعاؤه وقد كان في قومه مشهوراً بالشده عزيز الجانب مع انه لم يكن ذامال وغنى بل كان قليل المال يتاجر بماله أحياناً الى الشام فقد روى الحافظ بن عساكر في تاريخه ان عمر قدم الشام غير مرة في الجاهلية وأسر في أحدها واخرج عن زيد بن أسلم عن أسلم عن أبيه في حديث طويل ان عمر أسره في الجاهلية بطريق من دمشق واستعمله في بعض عمله فتغفله وقتله وخرج هارباً من دمشق

وكان في حال صغره قبل ان يتجرب عرى غم أبيه فقد روى بن عساكر عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال كنت مع عمر بن الخطاب بضحيان (اسم مكان) فقال: كنت أرى للخطاب بهذا المكان فكان فظاً غليظاً فكنت أرى أحياناً واحتطبت أحياناً فأصبحت اضرب الناس ليس فوقى أحد الأرب العالمين ثم قال

لا شيء مما ترى إلا بشاشته يبق الاله ويودي المال والولد

هذا كان حال هذا الرجل العظيم في جاهليته وسبب كيف كان حاله في الاسلام والى أية درجة بلغ به علوه وفضاء العزيمة والرأي والاخلاص في خدمة الرسول الأكرم ودين الله القويم



باب

اسلامه وصحبه

(اسلام)

كان المسلمون قبيل اسلام عمر بن الخطاب يجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم الخزومي في أصل الصفا مستخفين لقلتههم وشدة قریش عليهم ولم يكونوا كما يزعم بعض المتخرفين من فقراء الناس وأداني قریش بل كان في ذلك العهد القليل من المسلمين كثير من سادات قریش وأغنيائهم وذوي الشرف فيهم ومنهم أبو بكر الصديق وطاحه بن عبید الله وعثمان بن عفان المشهورين بالغنى والثروة وسعيد بن زيد وحمزة بن عبد المطلب واضرابهم من صناديد قریش وأشرافهم الآن معظمهم هاجر والى الحبشة لاضطهاد قریش لهم وكانوا القلتههم في حاجة الى الاستكثار من ذوي العصية أو الجرأة والاقدام من رجالات قریش ليستطيعوا اعلان دينهم والذب عن نبيهم وكان ممن عرف من قریش بنفوذ الكلمة والبطش وسمو المكانة عمر بن الخطاب وأبو جهل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوقع خيراً للمسلمين باسلام أحد هذين الرجلين لهذا قال (اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام) يعني أباجهل استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم بأحب الرجلين اليه وهو عمر بن الخطاب فأسلم في ذي الحجة لمضي ست سنين من البعثة وبعد اسلام تسعة وثلاثين رجلاً وثلاث وعشرين امرأة وقيل بعد أربعين رجلاً واحدى عشرة امرأة وكان له من العمر ست وعشرون سنة

وأما سبب اسلامه فقد جاءت فيه روايات كثيرة ومنها ما أخرجه الحافظ

عز الدين الجزري في أسد الغابة عن أسامة بن زيد عن أبيه عن جدّه أسلم انه قال .
قال لنا عمر بن الخطاب أتجبون ان أعلمكم كيف كان بدؤ اسلامي قلنا نعم . قال كنت
من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا أنا يوم ما في يوم حار شديد الحر
بالمهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قریش فقال أين تذهب يا ابن
الخطاب انت تزعم انك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك . قال قلت
وما ذاك . قال أختك قد صبأت . قال فرجعت مغضباً وقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذ أسلم عند الرجل به قوة فيكونان معه
ويصبيان من طعامه وقد كان ضم الى زوج أختي رجلين قال فجئت حتى قرعت
الباب فقيل من هذا قلت ابن الخطاب قال وكان القوم جلوساً يقرأون القرآن في
صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا واخفقوا وتركوا ونسوا الصحيفة من أيديهم
قال فقامت المرأة ففتحت لي فقلت يا عدوة نسيها قد بلغني انك صبوت قال فارفع
شيئاً في يدي فاضربها به قال فسال الدم فلما رأت المرأة الدم بكت ثم قالت يا ابن
الخطاب ما كنت فأعلا فافعل فقد أسلمت قال فدخلت وأنا مغضب فجلست على
السرير فنظرت فاذا بكتاب في ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب أعطيني فقالت
لا أعطيك لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر وهذا لا يمسه الا
المطهرون قال فلم أزل بها حتى أعطتنيها فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما مررت
بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي قال ثم رجعت الى نفسي فاذا
فيها (سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) قال فكلمنا مررت
باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت ثم رجعت الى نفسي حتى بلغت (آمنوا بالله
ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) حتى بلغت الى قوله (ان كنتم مؤمنين)
قال فقلت أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . نخرج القوم

يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه مني وحمدوا الله عز وجل ثم قالوا يا ابن
الخطاب أبشر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال (اللهم أعز
الاسلام بأحد الرجلين إما عمر بن هشام وإما عمر بن الخطاب) وإننا نرجو أن
تكون دعوة رسول الله لك فأبشر قال فلما عرفوا مني الصدق وقلت لهم أخبروني
بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو في بيت في أسفل الصفا وصفوه قال
فخرجت حتى قرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب : قال : وقد عرفوا
شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامي : قال : فما جئنا أحد
منهم ان يفتح الباب قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا له فإنه ان يرد
الله به خير أيهده قال ففتحوا لي وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه فأرسلوني فجلست بين يديه فأخذ بمجمع
قميصي فجذبني اليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم أهده قال قلت أشهد أن لا إله
إلا الله وأنك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة قال وقد كان
استخفي^(١) قال ثم خرجت فكنت لأشأء أن أرى رجلاً أسلم يضرب الأرايته
^(٢) قال فلما رأيت ذلك قلت لأحب الأ أن يصيبني ما يصيب المسلمين قال
فذهبت الى خالي (يعني أباجهل بن هشام) وكان شريفاً فيهم فقرعت الباب عليه
فقال من هذا فقلت ابن الخطاب قال فخرج الي فقلت له أشعرت اني قد صبوت .
قال فعملت قلت نعم . قال لا تفعل . فقلت بلى قد فعلت . قال لا تفعل فأجاف الباب
دونني وتركتني : قال : فلما رأيت ذلك انصرفت فقال لي رجل تحب ان يعلم

(١) هكذا ولعلها وقد كانوا مستخفين

(٢) وفي رواية فلم أشأ أن أرى رجلاً يضرب ويضرب الأرايته ولا يصيبني من

اسلامك : قال : قلت نعم : قال : فاذا جلس الناس في الحجر واجتمعوا أتيت رجلاً لم يكن يكتب السرفاصغ اليه وقل له فيما بينك وبينه اني قد صبوت فانه سوف يظهر عليه ويصيح ويملته : قال : فاجتمع الناس في الحجر فحمت الرجل فدنوت منه فاصغيت اليه فيما بيني وبينه فقلت أعلمت اني قد صبوت : فقال : ألا ان عمر بن الخطاب قد صبأ : قال : فما زال الناس يضربونني وأضربهم فقال خالي ما هذا : قال : فقام على الحجر فأشار بكمه فقال ألا اني قد أجرت ابن أخي . فانكشف الناس عني وكنت لأشاء ان ارى احداً من المسلمين يضرب الارأيتة^(١) وأنا لا أضرب : قال : فقلت ما هذا شيء حتى يصيبني مثل ما يصيب المسلمين : قال : فأملت حتى اذا جلس الناس في الحجر وصلت الى خالي فقلت اسمع فقال ما أسمع : قال : قلت جوارك عليك ردٌّ : فقال : لا تفعل يا ابن أخي : قال : قلت بل هو ذاك : فقال : ماشئت : قال : فما زلت أضرب وأضرب حتى اعز الله الاسلام اه

وروي ان عمر لما اسلم : قال : يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا قليل وقد رأيت ما لقينا فقال له عمر والذي بعثك بالحق لا يبقى مجالس جاست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفين من المسلمين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش الى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة شديدة ومن يومئذ سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق لانه أظهر الاسلام وفرق بين الحق والباطل

وأخرج الحماكم عن ابن عباس : قال : لما أسلم عمر قال المشركون قد

«١» يريد الارأيتة يضرب فحذف لفظ يضرب وهو استعمال شائع والمعنى ان

الناس وافوا رغبته ولم يجتج هو الى الضرب بنفسه

انتصف القوم اليوم منا وانزل الله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من
المؤمنين)

وانت ترى من هذا مكانة عمر في قومه وسمو منزلته في قبيله وما كان
لاسلامه من دخول الوهن على نفوسهم اذا قر وابطهور المسلمين عليهم ورجحان
كفة المؤمنين على كفهم وحسبك دليلاً على هذا شهادة القرآن كما رأيت
ويؤيدها شاهد العيان أيضاً فان المسلمين بعد اذ كانوا يعبدون الله مستخفين
اعلنوا بعد اسلام عمر دينهم واخذوا يبشون بين الناس دعوتهم لا يبالون بما قام في
نفوس قريش من الحقد عليهم وتعمد ايصال الضرر والاذى اليهم فقد روي عن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال (كان اسلام عمر فتحاً وكانت هجرته
نصراً وكانت امارته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصلي في البيت حتى أسلم عمر
فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تكونا فصالينا) أخرجه في أسد الغابة وأخرج البخاري عن
ابن مسعود أيضاً قال (مازلنا أعزّة منذ أسلم عمر)

ولا جرم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الرجل الفذ الجليل الذي قوى
الله به الاسلام في منبته وأعزّه في هجرته ومهد سبيل النشر لدعوته والفتح لاهله
فكان رضي الله عنه القدوة الصالحة للمسلمين والمثل المضروب في التقوى والعدل
والشهادة ونصرة الدين وتأيد الحق والشدة على الاعداء وإقامة الميزان بالقسط
وتعميم دعوة الاخاء والحرية بين الأمم فاسلامه كان من المنن العظيمة التي من الله
بها على المسلمين وأيد بها جانب الدين

﴿ صحبه ﴾

صحب عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن صحبته وبذل في نصرته
مهجته وما زال منذ أسلم يناضل عن المساميين وينافح عن سيد المرسلين ويظهر من

الشدة على أعدائه والمظاهرة لأوليائه ما أزعج قريشاً عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم وخفف وطأه تعمقهم على اتباعه واضطهادهم للمسلمين قبل الهجرة إلى المدينة حتى إذا أذن الله للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالهجرة أخذوا مهاجرون مستخفين إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه لشجاعته وقهره لقريش وشدة بأسه عليهم هاجر على ملاقريش . فقد أخرج الحافظ عز الدين الجزري والحافظ ابن عساکر عن علي رضي الله عنه قال : ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا محتفياً إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتكب قوسه وانضى في يده أسهماً واختصر عنزة ومضى قبل الكعبة والملا من قريش بفنائها فطاف بالمبيت سبعاً ثم أتى المقام فصلى متمكناً ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال لهم شامت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه المعاطس من أراد أن تشكله أمه ويؤتم ولده ويرمل زوجته فليأتني وراء هذا الوادي : قال علي فتابعه أحد الأقوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضى لوجه

وأخر جاعن البراء بن عازب : قال : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب ابن عمير أخو بني عبد الدار ثم قدم علينا بن أم مكتوم الأعمى أخو بني فهر ثم قدم علينا عمر الخطاب في عشرين راكباً فقلنا ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو على أثرى ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه

وما زال عمر في هجرته كما كان في مكة شديداً على المخالفين قواماً على الحق منافعاً عن رسول الله مراقباً لأعدائه حريصاً عليه من وصول أذاهم إليه مبغضاً لمن أبغضه لا يفتأ يراقب حركات المنافقين ويستطلع ضمائر الوافدين حتى إذا فرس في أحدهم سؤنية لازمه في دخوله وخروجه وألزمه حد الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحجام عنه والخنوع بين يديه . روي أن عمير بن وهب الجمحي

عاهد صفوان بن أمية القرشي بعد وقعة بدر على ان يأتي المدينة ويقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمها واستأذن على رسول الله فخرج اليه عمر بن الخطاب وتفرس فيه الشرف أخذ بحمالة سيفه وقال لرجال معه من الانصار ادخلوا على رسول الله واحذروا هذا الخبيث فلما رآه رسول الله قال لعمر اتركه يا عمر ثم سأله عما جاء به فقال جئت لهذا لا سير (يعني أباه وهب لان كان أسيراً عند المسلمين أسروه في وقعة بدر) قال اصدقني قال ماجئت الا لذلك قال بل قعدت أنت و صفوان وجري بينكما كذا وكذا فدهش عمر وأسلم لساعته

وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه من قریش سهيل بن عمرو وفأسره في وقعة بدر مالك بن الدخشم الانصاري فلما أتى به رسول الله قام اليه عمر وقال دعني أنزع ثيابه يا رسول الله فلا يقوم عليك خطيباً أبداً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه يا عمر فسيقوم مقاماً تحمده عليه فتركه^(١) ورأى مرة يهودياً ممسكاً برسول الله يطالبه بدين له فعضم ذلك عليه وأخذ بخناق اليهودي وقال دعني أقتله يا رسول الله فقال دعه يا عمر ان لصاحب الحق مقالاً

وله من هذا القبيل اخبار كثيرة ايام صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على عظيم محبته له واخلاصه في الذب عنه والشدة على من ناواه

(١) تحقق مقام سهيل هذا الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام الردة وذلك ان قريشاً لما وصلهم نبي رسول الله اضطربوا وكادوا يرتدون فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا اليه فقال يا أهل مكة لا تكونوا آخري من أسلم وأول من ارتد والله لبتمن هذا الامر كما ذكر رسول الله الى آخر ما قال مما هو مسطور في التواريخ فامتنع أهل مكة عن الردة

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في بعض الامور فكان أبو بكر وعمر أفضلهم عنده رأياً بالصدق لهجتهم ما وعظيم اخلاصهما ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في عمر (ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) رواه الترمذى عن ابن عمر وفي رواية أبي داود عن أبي ذر: قال (ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به) وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون (ملهمون) فان يك في أمتي أحد فانه عمر) متفق عليه كما في المشكاة) لهذا كان رضى الله عنه يرى الرأى فينزل به القرآن حتى بلغت موافقته عشرين ونيفاً ومنها آية تحريم الخمر فانه لما قال (اللهم بين لنا في الخمر بيناً شافياً) نزلت آية التحريم ومنها آية الحجاب فانه أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان يحتجبن فقالت له زينب: وانك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا فانزل الله تعالى واذا سألتهم من متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب) ومنها آية الاستئذان في الدخول وذلك انه دخل عليه غلامه وكان نائماً فقال: اللهم حرم الدخول: فنزلت آية الاستئذان

الى هذا المقام وصل عمر رضى الله عنه في صدق الحجّة وقول الحق وجميل الصحبة وحسبه فضيلة في نفسه وفضلا على المسلمين في صحبته كونه كان سبباً في تحريم الخمر الذى هو آفة الانسانية وجرثومة الشر وعلّة العلال الاجتماعية والامراض العقلية والجثمانية في كل زمان ومكان

هكذا كان عمر رضى الله عنه نافعاً في صحبته ملازم للنبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص عليه والحب له والمدافعة عنه وشهد معه من المشاهد بدرًا وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وحنيناً والفتح وخيبر وغيرها وكان ممن ثبت مع رسول الله في أحد

أخرج في أسد الغابة عن الزهري وعاصم بن عمر قال : لما أراد أبو سفيان الانصراف (عقب وقعة أحد) أشرف على الجبل ثم نادى بأعلى صوته ان الحرب سجل يوم بيوم بدر أعل هبل (أى أظهر دينك) : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : قم فأجبه : فقال الله أعلى وأجل لا سواء قتلا في الجنة وقتلا في النار : فلما أجاب عمر أبو سفيان قال أبو سفيان هلم اليّ يا عمر فقال رسول صلى الله عليه وسلم : أنته فانظر ما يقول : فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك بالله يا عمر أقتلنا محمداً : قال : لا وانه ليسمع كلامك الآن فقال أبو سفيان أنت أصدق عندي من بن قثمة وأبر (لقول بن قثمة لهم قد قتلت محمداً)

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر غازياً إلى ذات السلاسل في جيش أميره عمرو بن العاص وأرسله في جيش أميره أسامة بن زيد مولى رسول الله وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسافر أسامة بالجيش بعد وفاته وبقى عمر بالمدينة استبقاه أبو بكر كما رأيت في سيرته وبالجملة فأت عمر رضي الله عنه خدم الاسلام في صحبته كما خدمه في خلافته وكان مخلصاً في إيمانه مخلصاً للنبية عظيم الحب له حتى بلغ من حبه انه لما مات صلى الله عليه وسلم لم يصدق بموته أو أصابه من شدة الحزن دهشة وذهول حتى قام فقال . من قال أن محمداً قدم على رأسه بسيفي هذا وليبعثه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم . والقصة مشهورة أوردنا لهم منها في سيرة أبي بكر رضي الله عنه فكان عمر ألهم هذا القول حتى أربب المنافقين فأذهلهم عن الكلام ريثما جاء أبو بكر وسكن اضطراب النفوس ببيانه



باب

﴿ خلافة ﴾

تقدم معنا في الجزء الأول أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب قبل وفاته فوليا يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة يوم وفاة أبي بكر ولما نلي كتاب العهد على المسلمين بايعوه جميعاً ولم ينكل عن بيعته أحد من المهاجرين والانصار مع انه كان توقف بعضهم عن بيعه أبي بكر حالة كونها شوري بين المسلمين كما رأيت في الجزء الاول وانما رضى المسلمون بعهد أبي بكر لعمر بن الخطاب وان خالف قاعدة الشورى وتسامحوا بحق انتخابهم الخليفة لامرين

(الامر الاول) توقعهم الخلاف على الخلافة بين النفر المتطلعين اليها من المهاجرين السابقين فيما لو تركت شورى تتنازعها الالهية وتتجاهلها المصيبة وقيام العذر لأبي بكر في عدم تركها شورى لهذا السبب الذي استشعر به قبل وفاته وقد بسطنا الكلام على هذا في باب خلافة فلا حاجة للمزيد

(والامر الثاني) تفرس المسلمين في عمر الكفاية على القيام بهذا الامر واقناده على سد ذرائع الفتنة كما تفرس فيه ذلك أبو بكر وكبار الصحابة الذين استوثق لهم منهم قبل عهده اليه بالخلافة وقد صدقت في عمر رضى الله عنه فراستهم وتحقق بكفايته رجاؤهم فكانت خلافة رحمة على الأمة كما مر في حديث بن مسعود

اخرج الحافظ بن عساكر عن أبي عبيدة قال: قال عبد الله بن مسعود: أفرس الناس ثلاثة. الملك حين تفرس في يوسف والقوم فيه زاهدون. والمرأة التي

تفرست في موسى فقالت (ياأبت استأجره أن خير من استأجرت القوي الثنين)
وأبو بكر حين تفرس في عمر فاستخلفه

نعم قد استاء بمضهم من استخلاف أبي بكر لعمر إلا ان استياءهم لم يكن لفقد
الكفاية ممن أسندت اليه الخلافة وإنما كان لصرفها عنهم أو خوفاً من شدة عمر
عليهم كما بسطنا هذا في سيرة أبي بكر ومع هذا فإن أبا بكر رضى الله عنه لم يقض إلا
بعد ان جعل الساخط راضياً فقد أخرج الامام أبو الفرج ابن الجوزي في السيرة
العمرية وابن عساكر في تاريخه عن عاصم قال : جمع أبو بكر الناس وهو
مريض فأمر من يحمله الى المنبر فكانت آخر خطبة خطب بها محمد الله وأثنى عليه
ثم قال : أيها الناس احذروا الدنيا ولا تشقوا بها فأنها عرارة وآثروا الآخرة على
الدنيا واحبوها فيجب كل واحدة منهما تبغض الأخرى وان هذا الامر الذي هو
أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ولا يتحمله إلا أفضلكم مقدرة وأملككم
لنفسه أشدكم في حال الشدة وأسلمكم في حال اللين وأعلمكم برأي ذوي الرأي .
لا يتشاغل بما لا يعنيه ولا يحزن لما ينزل به ولا يستحي من التعلم ولا يتحير عند
البدئية توي على الأمور لا يجوز أشئ منها حده بعد وان ولا تقصير يرصد لها هو
آت عتاده ^(١) من الحذر والطاعة وهو عمر بن الخطاب ثم نزل فحمل ^(٢) الساخط
أمارته الراضي بها على الدخول معهم توصلاً

ومن هذا يعلم ان أبا بكر انما اختار للخلافة عمر رضى الله تعالى عنهما علماً بحقيقته
وسداً للذرائع الفتنه وطلباً لخير المسلمين ومصالحهم لا محاباة ولا لغرض آخر كما
شهد بذلك على بن أبي طالب رضى الله عنه فقد أخرج الحافظ عن الدين الجزري

(١) بفتح العين الذخيرة المعدودة لوقت الحاجة (٢) هكذا في السيرة العمرية وفي

تاريخ ابن عساكر وجعل الخ ولم يذكر متعاق (لتوصلاً)

في أسد الغابة عن سويد بن غفلة الجعفي أنه دخل على علي بن أبي طالب في خلافته فقال: يا أمير المؤمنين اني مررت بنفريد كرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما أهل له من الاسلام: فقام (أي علي) فخطب الناس خطبة طويلة مما جاء فيها عن أبي بكر واستخلافه لعمر قوله (حتى حضرته الوفاة فرأى ان عمر أقوى عليهم ولو كانت محاباة لا تثر بها ولده) الى آخر كلامه وربما جاء معناني مكان آخر

وهذا الذي تحقق عند المسلمين من حسن نية أبي بكر وكفاية عمر دعاهم الى الرضا ببيعةه والاتفاق على قبول خلافته وان خالفت قاعدة الشورى بين المسلمين وقد قام رضى الله عنه بهذه الوظيفة السامية قياماً محموداً لا يجاريه فيه أحد من قادة الأمم وساسة الحكومات بل كان من عظيم أثره واثرائه في بكر في الخلافة الاسلامية ان كانا مثلالن بدهما يضرب بالعدل وحسن السياسة وحجة على من تنكب طريقهما من الخلفاء وخالف سيرتهما من الامراء

أخرج في أسد الغابة عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال «ان الله جعل أبا بكر وعمر حجة على من بدهما من الولاة الى يوم القيامة فسبقوا الله سبقاً بعيداً وأتعبوا الله من بعدهما تعباً شديداً وذكرهما حزناً للأمة وطعن على الأئمة»

ولقد صدق رضى الله تعالى عنه فيما قال فانه لم يخرج قوم من المسلمين على الامراء بعد ذينك الخليفين الا مطالبين بمثل عدلها محاجين بسيرتهما حتى فريق الخوارج الذين يذهبون الى عدم الحاجة الى الامام كانوا يحتجون على الخلفاء بسيرة الامامين الأولين وأول ما خرجوا كان خروجهم على علي رضى الله تعالى عنه هذا على مكانته من الدين وتقواه وعدله حتى أن الخوارج لم يستطيعوا أن يأخذوا عليه في سيرته الا مسألة التحكيم التي لم تلبث في الحقيقة الا عنهم

وحسب عمر رضى الله تعالى عنه من خلافته ان يكون مثلاً في العدل وحجة

على الخلفاء والولادة من بعده بل حسبته من سيرته فخراً وذكراً أن كل المؤرخين سواء كانوا من المسلمين أو المنصفين من غير المسلمين أجمعوا على أنه أعدل من ساس الأمم وأعظم رجل في الإسلام ولو قدر المسلمون قدر هذا الرجل العظيم الذي يفتخر به تاريخ الإسلام لشيدوا بأسمه الآثار العظيمة في كل مكان لبقى ذكره حياً بين الناس كما هو حي في التاريخ وبعد فان أحط البشر عقولاً وأضعفهم بصيرة فريق الغلاة من الشيعة الذين يطعنون في ذلك الرجل العظيم الذي أصبح في حسن السيرة مثلاً في العالمين وحجة على الخلفاء والسلاطين فأبي عار على المسلمين بإزاء الأمم الأخرى ان يكون فيمن ينتسب للإسلام جماعة يتقدحون بمثل عمر بن الخطاب على تفردده بالشهرة وجلالة قدره وجلالته أعماله وآثاره وسبقه بالإيمان وخدمته للإسلام في صحبته وخلافته حتى كان غرة جبين التاريخ الإسلامي وذكري الفخر الغابر الخالدة مع ان الإسلام يبرأ الى الله من أمثال تلك الفرق التي أسس نحلها ابن سبأ اليهودي واضرابه من أعداء الإسلام ومريدي الشر بالمسلمين ولا يزال أولئك الناس يدعون النسبة الى الإسلام وهو يبرأ الى الله من نحلهم الفاسدة التي لا يقبلها ذو عقل ولا تنطبق على دين ولا حكمة وانما هو التقليد الاعمي والجهل يقعلان في العقول والاهام مالا تفعله السموم في الاجسام

باب

أول أعماله في الخلافة

كان أول كلام تكلم به عمر رضي الله عنه يوم استخلف ان صعد المنبر فخطب الناس فقال : انما مثل العرب مثل جبل أنف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقود

وأما أنا فو رب الكعبة لآحماهم على الطريق

وأول عمل عمله في خلافته ثلاثة أمور: إستداب الناس مع أبي عبيد الثقفي لحرب
الفرس: وعزل خالد بن الوليد، وتوسيد الامارة العامة في الشام الى أبي عبيدة
عاصم بن الجراح: وبعث يعلى بن أمية لآجلاء اهل نجران: فأما خبر أبي عبيد
فسيأتي معناني باب الكلام على فتوحات عمر (رض) وأما خبر خالد بن الوليد فقد مر
معنا ذكره في سيرته ووربما نعود الى شيء منه عند الكلام على فتوح الشام: وأما خبر
نجران فنتكلم عليه هنا لأنه لا يخلو من فائدة تاريخية فيها، وعظة وذكري لقوم يعقون

﴿ إجلاء اهل نجران ﴾

سبق لنا فيما مر من هذا الكتاب كلام على الدعوة الى الاسلام وأن لا إكراه
فيها وأن أساسها التبليغ فمن قبلها كان من المسلمين ومن أبي فعلية أن يخضع لسلطانهم
وان يعطيهم جزءاً من ماله يستعينون به على حماية ماله وعرضه ونفسه وله عليهم حق
الوفاء بما عاهدوه عليه وأن لا يفتن عن دينه ولا يؤخذ منه من الجزاء الا ما رضيه في
عهده وان تكون له الذمة والعهد أني حل وحيثما وجد من ممالك الاسلام مادام
وايأبهم مؤدياً لجزية لا يخون المسلمين ولا يمالئ عليهم عدوهم وأحسن شاهد
على هذا نسوقه اليك في هذا الفصل خبر اهل نجران اليمن وكانوا من الكتائبين
لتعلم كيف كانت معاملة أهل الذمة ومبلغ محافظة الخلفاء على عهدهم معهم ما لم
يخونوا أو يقدروا وتحرير الخبر عنهم انه كان وفدو وفد على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودعاهم الى الاسلام فأبوا وسألوه الصلح وان يقبل منهم الجزاء فصالحهم
على شيء معلوم يؤدون كل سنة للمسلمين وكتب لهم بذلك كتاباً جعل لهم فيه ذمة
الله وعهده وان لا يفتنوا عن دينهم ومساكنهم فيه ولا يحشروا ولا يعسروا وان
يؤمنوا على أنفسهم ومالهم وأرضهم واموالهم وغائبهم وشاهدتهم وغيرهم

وبعضهم وأمثلتهم لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم ولا يظأرضهم جيش ومن سأل منهم حقاً فيهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين ولهم على ذلك جوار الله وذمة رسوله أبداً حتى يأتي أمر الله ما نصحو وأصلحو واشترط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعالموا به ولا يتوفوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخاف أبو بكر الصديق رضي الله عنه أقرهم على حالهم وكتب لهم كتاباً على نحو كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه كان يخوفهم ويود إجلاءهم لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يبقين في جزيرة العرب دينان: وما حضرت أبا بكر الوفاة أوصى عمر بن الخطاب بإجلائهم لنقضهم العهد بأصابتهم الربا

فانظر كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى أن لا يجتمع في جزيرة العرب دينان لأن العرب أمة حديثة عهد بالاسلام وقد عانى صلى الله عليه وسلم ما عانى في جمع كلمتها وتوحيد وجهتها من الخطر أن يوجد بين ظهرانيها قوت يتدينون بغير دينها فيفتنون من جاورهم عن الاسلام على حداثة عهدهم فيه وعدم تمكنهم بعد من اصوله الصحيحة

هذان من وجه ومن وجه آخر فإن النجرانيين كانوا يتاجرون بالربا ولا يخفي ما فيه من الضرر على من جاورهم من أهل اليمن الذين ينضب التعامل بالربا بعين ثروتهم ويؤذون بققرهم على غير شعور منهم لاسيما وأن الشريعة الاسلامية قد حرمتهم تحريمًا باتاً ولا يؤمن من ان النجرانيين باستمرارهم على تماطى الربا يحلمون بعض من جاورهم من المسلمين على ارتكاب الاثم بالتعامل معهم بالربا

مع هذه الاسباب التي تلججني الى إكراه النجرانيين على الاسلام فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكركهم على ذلك لأن شريعته لم تأذن بإكراه أهل الكتاب على الاسلام لهذا تركهم على دينهم بعد أن دعاهم الى الاسلام بالتالي هي أحسن

فأبوا وأعطاهم كتاب العهد المذكور إلا أنه اشترط عليهم فيه أن لا يخونوا المسلمين ولا يتعاملوا بالربا كما رأيت ولما استخلف أبو بكر أ كد لهم عهدهم الأول مع أنه كان يرى في وجودهم في جزيرة العرب من الخطر ما كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسمعه في أمرهم إلا ما وسع الرسول (ص) حتى اذا علم انهم خانوا العهد وتعاملوا بالربا أمر في حال مرضه عمر بن الخطاب (رض) باجلائهم عن جزيرة العرب دون أن يفننوا في دينهم

ولما استخلف عمر (رض) كان أول بعث بعثه بعث أبي عبيد الى العراق كما قدمنا وبعث يعلى بن أمية الى اليمن وأمره باجلاء اهل نجران وأن يعاملهم بالرأفة ويشتري أموالهم ويخبرهم عن أرضهم في أي أرض شاؤوا من بلاد الاسلام (لأن يعاملهم معاملة القوي الغالب للضعيف المغلوب كما هو شأن كل دولة من الدول قبل الاسلام وبعده حتى الآن في معاملة الأمم التي تخالف مذهبها وتخضع لقوة سلطانها)

أخرج الطبري عن سالم في حديث مرّ معناه هو بمعناه قال فيه عن عمر انه أوصى بلى بن أمية باهل نجران فقال

أنتهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجلبهم من أقام منهم على دينه وأقر للمسلم وأمسح أرض كل من تجلبى منهم ثم خيرهم البلدان وأعلمهم أن تجلبهم بأمر الله ورسوله أن لا يترك بجزيرة العرب دينان فليخرجوا من أقام على دينه منهم ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم إقراراً لهم بالحق على أنفسهم ووفاءً بدمتهم فيما أمر الله من ذلك بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف وكتب لهم كتاباً بهذه صورته كما أوردها البلاذري في فتوح البلدان

«أما بعد فمن وقعوا به من أهل الشام والعراق فليوسعهم من حرث الارض

وما اعتملوا من شيء فهو لهم مكان أرضهم باليمن »

على هذا الوجه أجلى عمر (رض) النجرايين النصارى منهم واليهود
فتفرقوا فنزل بعضهم الشام وبعضهم النجراية بناحية الكوفة وبهم سميت
ولم تقف العناية بهم في اجلائهم والمحافظة على ما يدهم من العهد وتعويضهم عما
تركوه من العقار والمال عند هذا الحد بل كانوا يجدون بعد ذلك من الخلفاء كل رعاية
ورفق ولم يرفموا الا احد منهم مظلمة الا انصفهم ورفع اذى عماله عنهم وشملهم
بالعدل وحاطهم بالعناية

من ذلك انهم شكوا امررة الى عثمان رضى الله عنه لما استخلف ضيق أرضهم
ومزاحمة الدهاقين لهم وطلبوا اليه تخفيف جزيتهم فكتب الى الوليد بن عقبة بن
أبي معيط عامله على الكوفة كتابا يوصيه فيه بهم ويأمره ان يضع عنهم مائتي حلة
من جزيتهم لوجه الله وعقبى لهم من أرضهم . وستأتي صورة الكتاب في خلافة
عثمان رضى الله عنه

وروى البلاذري عن الكلابي انه لما ولي معاوية أوزيد بن معاوية شكوا اليه
تفرقهم وموت من مات منهم واسلام من أسلم منهم وأحضره وكتب عثمان بن
عنان بما حطهم من الحمل وقالوا انما زدنا نقصانا وضعفنا فوضع عنهم مائتي حلة تمة
اربعمائة حلة فلما ولي الحجاج الوراق وخرج ابن الأشعث عليه آثمهم والدهاقين
بموالاتهم فرد جزيتهم الى ما كانت عليه فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة شكوا
اليه ظلم الحجاج ونقصهم فأمر فأحصوا قبلنا والعشر من عدتهم فألزمهم مائتي
حلة جزية عن رؤوسهم فقط فلما ولي يوسف بن عمر العراق في خلافة الوليد بن يزيد
الاموي ردهم الى ما كانوا عليه عصبية له حجاج فلما انقضت دولة الامويين
واستخلف ابو العباس السفاح رفعوا اليه أمرهم وما كان من عمر بن عبد العزيز

ويوسف بن عمر فرددتم الى مائتي حلة ولما استخلف هرون الرشيد شكوا اليه تعنت
العمال اياهم فأمر فكتب لهم كتاب بالمائتي حلة وبالغ بالرفق بهم فأمر أن يعفوا من
معاملة العمال وان يكون مؤداهم بيت المال بالخضرة كي لا يتعنتهم أحد من العمال
هذا ما رواه المؤرخون في شأن هؤلاء الكتابيين الذين أجلاهم أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن جزيرة العرب وقد رأيت مما أمر مبلغ
عناية عمر (رض) بهم للمم يرداً من اجلائهم للأسباب التي مر ذكرها وقد كان من
السهل اكرامهم على الاسلام ودخولهم فيه كما دخل أولئك الملايين من مشركي
العرب وعامة سكان الجزيرة العربية طوعاً أو كرهاً وانما هو الشرع الاسلامي
منع من اكرام غير مشركي العرب على الاسلام كما منع من نقض العهد وخفر
الذمة إلا بسبب مشروع لهذا لما خان النجرايون عهدهم بتعاملمهم بالربا وقد عاهدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يتعاملوا به في الجزيرة ساغ لأمير المؤمنين
اجلاؤهم الى غير هابعدان عوضهم عن المال والعقار بمثل وما زال الخلفاء بعدهم بالغة
بالرفق بأهل الكتاب وقياماً بواجب السيادة العادلة ووفاءً بعهدهم الله والرسول
يعاملون النجرايين بأحسن ما تعامل به عامة الرعية من المسلمين ويدفعون عنهم
أذى الظلم والاجحاف كما رأيت

﴿ حكم الاسلام في المسيحيين وحكم الاوربيين في المسلمين ﴾

ينتج معنا من هذه الحكاية ثلاثة أمور (الامر الاول) عدم اكرام
النجرايين على الاسلام مع تعين الخطر من وجودهم في جزيرة العرب لحداثة
عهد أهلها بالاسلام ذلك لان عدم الاكرام من أصول الشريعة الاسلامية
والجهاد الذي يعظم أمره أعداء المسلمين انما شرع لحماية الدعوة لا للاكرام الا
جهاد مشركي العرب يو. ثم فقد شرع لارغامهم على الاسلام لأسباب حكيمه

لا تخفى على بصير أهمها تطهير نفوس تلك الامة العظيمة من شرور الوثنية
واستئصال شأفة الجهل والتوحش من جزيرة العرب التي كانت وسطاً بين ممالك
الشرق والغرب من آسيا و أفريقيا و أوربا بل هي نقطة الصلة السياسية والتجارية
بين تلك الممالك فانتشاراً نوار المدينة والدين فيها استلزم انتشارها بطبيعة الجورة
والاشراف على تلك الممالك أيضاً وقد كان ذلك كما هو معلوم

(والامر الثاني) عدم حيد الخلفاء عن أمر الشارع فيما أمر به من الوفاء
بالعهد و تأكيدهم لعهد النجرانيين الواحد تلو الآخر على ضعف هؤلاء وقتلهم
وقوة الخلافة الاسلامية وسلطانها وان ذلك لم يكن عن رهبة أو رغبة بل عن محض
تمسك بالعهد وعدل بين الشعوب الخاضعين لسلطة الخلافة وسلطان الاسلام
من كل ملة ودين

(والامر الثالث) حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) على
قاعدة حماية الذمي في نفسه وماله بتعويضه النجرانيين عن أرضهم ومالهم بالمثل من
أرض المسلمين ومالهم لما قضت الضرورة باجلائهم عن أرضهم الى غيرهما من بلاد
المسلمين وقد رأيت ما ذكرناه استطراداً في سيرة أبي بكر عن عمر رضي الله عنهما
وما فعله من هذا القبيل مع أهل عرب بسوس من ثغور الروم وكيف انه لما أمر
باجلائهم عن أرضهم لحيانهم جوار المسلمين ونكثهم عهد الامانة والصدق أمر
بأن يعوضوا عن مالهم عقارهم ونعمهم ضعفين وما زال الخلفاء في أيام الفتوح
العظيمة وما بعدها يحافظون على حق القرار الثابت والملك القديم للاقوام
المغلوبين للمسلمين الخاضعين لسلطانهم سواء كانوا من المسيحيين أو غيرهم ولم
دوثر عن أحد منهم انه طرد قوماً من أرضهم أو انتزعها منهم بغير حق ولا عوض
ولا عبرة بما يقع من هذا القبيل على بعض الافراد من جور بعض الممال الذين

غابت شهواتهم على الفضيلة فجادوا عن طريق الشرع فانه قد يصيب افراد المسلمين من جور هؤلاء أكثر مما يصيب غيرهم وليس في هذا ما يقدح بأصول الحكم الاسلامي الذي يأبى الظلم ويدعو الى الرأفة والعدل

هذا شأن الاسلام في المحافظة على حقوق الأمم المغلوبة وقد رأيت مما تقدم انه لم يعط للمسلمين من حقوق الغلب التي تنتجها الغالبون في كل عصر الا ما تدعو اليه الضرورة القصوى وتستلزمه سلامة الملك والدين لا ما تدعو اليه شهوات الملك ورغبات الأمة الغالبة وقد علم هذا المسلمون وخلفاؤهم وان لاهل الذمة ما لهم وعليهم ما عليهم فبالغوا في الرأفة بأهل جوارهم والداخلين في ذمتهم من ارباب الملل الاخرى فتركوا لهم حرية التملك والدين ولم يميزوا عنهم حقاً من حقوق المواطنة والجوار بل كانوا يعتبرونهم جزءاً من الدولة وعضواً من أعضاء مجتمعتهم لا غنى عن مشاركتهم في العمل ومشاطرتهم أسباب السعادة المدنية والحياة الوطنية يؤيد هذا اعتماد الخلفاء الامويين والعباسيين على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في ترتيب دواوين الخراج وترجمة علوم اليونان وتقريب النابغين منهم في علوم الهندسة والطب اليهم واعتمادهم في شفاء علماءهم عليهم بل بلغ بالمسلمين اعتبارهم لاهل الكتاب عضواً من جسم هيئتهم الاجتماعية لا يجوز فصله في حال من الاحوال ان جيوش التتار لما اكتسحت بلاد الاسلام من حدود الصين الى الشام ووقع في أسرهم من وقع من المسلمين والنصارى ثم خضد المسلمون شوكة التتار في الشام ودان ملوكهم بالاسلام خاطب شيخ الاسلام ابن تيمية رأس العلماء في عصره أمير التتار قطلوشاه باطلاق الأسرى فسمح له بالمسلمين وأبى أن يسمح له باهل الذمة فقال له شيخ الاسلام: لا بد من افتكك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا ولا ندع أسيراً إلا من

أهل الملة ولا من أهل الذمة فاطقتهم له^(١)

وكيف لا يقوم علماء المسلمين وخلفاؤهم بحماية أهل ذمتهم وقد استوصى بهم النبي صلى الله عليه وسلم أمته خيراً وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده كما رأيت فيما مر من هذا الكتاب وكما ستري بعد ونحن ننقل إليك هنا على سبيل الاستطراد ما جاء في كتاب كتبه عمر بن الخطاب (رض) إلى عمرو بن العاص عامه على مصر وهو قوله

«واعلم يا عمرو ان الله يراك ويرى عملك فانه قال تبارك وتعالى في كتابه (واجعلنا للمتقين إماما) يريد ان يقندي به وان ملك أهل ذمة وعهد وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأوصى بالقبض فقال «استوصوا بالقبض خيراً فان لهم ذمة ورحماً» ورحمهم ان أم اسماعيل منهم وقد قال صلى الله عليه وسلم «من ظلم معاهداً أو كانه فوق طاقتة فانا خصمه يوم القيامة» احذر يا عمر وان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لك خصماً فانه من خصمه خصمه . والله يا عمر ولتد ابتليت بولاية هذه الامة وأنست من نفسي ضعفاً وانتشرت رعيتي وورق عظمي فأسأل الله ان يقبضني اليه غير مفترط . والله اني لأخشى لو مات جمل بأفصى عملك ضياعاً ان أسأل عنه يوم القيامة»

(١) رأيت هذه الحكاية التاريخية المهمة في نسخة خطية من الرسالة القبرصية التي قدمها شيخ الاسلام ابن تيمية لسرجوان ملك قبرص لافتكاح أسرى المسلمين منه ودفعت هذه الرسالة إلى الفاضل الشيخ علي أفندي يوسف صاحب جزيرة الأوبد الخطيرة فطبعتها من عهد قريب على نفقته ومن الأسف ان يغفل مؤرخو المسلمين أمثال هذه الحوادث المهمة التي هي مرمى غرض التاريخ الصحيح ولو عنوا بنقل كل الحوادث الاجتماعية التي لها علاقة بأصول المدينة الاسلامية وعصورها انفعوا الاسلام والمسلمين

نأمل قول هذا الخليفة العظيم الذي يوصي به عالمه بأهل الكتاب ترى
 الرهبة من الله بادية على كل امة . وعلائم الحشوع والحنان المنبثثة عن وجدانه
 الطاهر مرتسمة في تضاعيف كتابه حتى كأنما هو واقف بين يدي الله يسأل عن
 حقوق خلقه ويحاسب عن عمله في رعيته . إن في هذا الآيات من العدل وغايات
 في انصاف الرعية غير المسالمة لا يدرك شأوها الولاة والسلاطين في كل امة . من
 أم الارض الآن

وأعظم من هذا وأجل أن آخر وصايا عمر التي أوصى بها عند وفاته كانت بالمهاجرين
 والانصار وأهل الذمة اذ كتب لمن يخلفه كتاباً قال فيه : وأوصيه بأهل ذمة الله
 وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ان يوفيهم بعهدهم ولا يكفوا فوق طاقتهم وان يقاتل
 من ورثهم الخ ما جاء في الكتاب كما استراه في محله ان شاء الله

هذا شأن الحكم الاسلامي في أهل الذمة . وبلغ عناية الخلفاء بالخاضعين
 لسلاطنتهم من غير المسلمين أوردناه مؤيداً بالشواهد التاريخية . مع انه يكاد يدرك
 بدهشة الحس لان اليهود والنصارى في الممالك الاسلامية ما زالوا يتمتعون بكل
 ما يتمتع به المسلمون من الحقوق . مدى ثلاثة عشر قرناً لم تنزع منهم أرض ولم
 يطردهم او يشردهم او يظلمهم ولم يفتنوا عن دينهم ولو اصابوا بما يصاب به
 المسلمون في ممالك النصرانية لما بقي منهم في هذه القرون الطويلة باقية مع ان
 الاسبانيول ما لبثوا ان دوخوا بلاد الاندلس واكتسحوا ذلك الملك الاسلامي
 العريض حتى فتنوا المسلمين عن دينهم وطردهم عن ملكهم واغتصبوا آرائهم
 وسفكوا دماءهم وشردهم عن بلاد الاندلس تشريداً ما أبقى لهم في بضعة سنين
 باقية ومحال كل ما تركوه من آثار العلم والمدنية في تلك البلاد التي كانت جنة الارض
 في عصرهم

واذا انتحل للاسبانيول عذر البربرية والتوحش وانهم انما كانوا يومئذ
 في عصور الجهالة الاوربية فهل يقال انهم كانوا اخط في الاخلاق والمدنية من
 تلك الامة البدوية التي نشأت في جزيرة العرب على الغارة والسلب وسفك لدماء
 وعبادة الاوثان ثم لما اندفعت للفتح واتيحت لها اقوة الغلب على الأمم وأخصها
 أهل الكتاب كانت سياستها في الملك وراقتهم بالمغلوبين ما رأيت فيما تقدم
 نقول ولا نكر ان الحق ان الاسبانيول لم يكونوا في تلك الدرجة من الهمجية
 بل كانوا وكل الأمم الاوربية في دور تمدن جديد نبتت أصوله بين العرب يومئذ
 وأظلت فروعه ممالك المغرب وانما هم حملة علوم الدين وتعبهم الذي هو الذي
 جعل هذا البون البعيد بين الفريقين وباين في السياسة بين الفاتحين وأبن من
 يوصي الجيوش الفاتحة بالرفق بالمسيحيين واعتبارهم بعد الغلب كجزء لا ينفصل عن
 مجتمع المسلمين له ما لهم من رعاية وعليه ما عليهم من حق كما في وصايا الخلفاء التي
 رأيت ممن يصور للأمم المسيحية المسلمين في صورة وحش ضار تحفز للوثوب
 على الشعوب وهؤلاء هم قادة المسيحيين وحملة الدين المسيحي ومنهم مشيرو نار
 الحروب الصليبية من القسس وسدبروهم ككائد جمعية التفتيش الديني
 (الانكيزسيون) في اسبانيا بل ومنهم كان في هذا العصر عصر المدينة والنور
 المستر غلادستون وزير انكتر الشهير بحملاته الخطابية على الاسلام والمسلمين
 أليس عجيب ان يقرر الاسلام مبدأ المساواة بين الشعوب الخاضعين
 لسلطانه ويحتم على أهله حماية اليهود والنصارى في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم
 ونحلهم ويأهدم على هذه الحماية خلفاء المسلمين كل اجاء خليفة يؤكده عهد
 السابق مدى هذه القرون الطويلة ولا يوجد الى هذا العهد من قادة الأمم
 النصرانية وحملة الانجيل في الممالك الغربية من يمزق غشاء التعصب الضيق

وينصف المسلمين في دينهم وديارهم ولو بحسنة من حسناتهم اللهم ان هذا المنتهى
الضعف في الوجدان والتجرد عن المدل والتقص في لباس الاوهام والى الله نبراً
عنه معاشر المسلمين مهما كان حالنا وانى بلغ انحطاطنا والتاريخ شاهد عدل
رب معترض يقول اننا بغنا في تعنت الأمم المسيحية والثرى من وصمة
التعصب الذميمة الذي نرمي به الدول الغربية مع أن المسلمين بشر كأولئك الناس
لا تنزده نفوسهم عن الظلم والتعصب ولم يخل تاريخ حكومتهم من اعنات رعيتهما
من غير المسلمين وان كان دينهم يأمرهم بحاسنة أهل جوارهم من الكتابيين
فنجيب عن ذلك نعم ان المسامحة ليسوا بملائكة معصومين هبطت عليهم السكينة
من السماء الآن دينهم الذي أمر بالعدل بين الرعية والوفاء بهو دأهل الذمة وجاء
للتأليف بين القلوب ونهى عن ظلم أهل الكتاب والتعدي على حقوق الجوار
هذب نفوسهم واجتث أصول التعصب الاعمى من أفئدتهم فكانوا أحسن الأمم
معاشرة مع مجاورهم من الكتابيين فأطلقوا لهم حرية الدين واقامة الشعائر
والمادات وأنوهم على المال والارض وحرية المتاجرة وشاركوهم في الاعمال
وحسبك من ذلك أن الشارع سعى الرعية غير المسامة ذميين أي داخلين في ذمة
المسلمين وعهدهم لا يضارون في عرض ولا نفس ولا مال فأصبح هذا الاسم
علماً على المسيحيين واليهود وعند المسلمين يذكرهم بالعهد اذا نسوا ويستلينهم اذا
قسوا وانما تناسى المسامون هذا الاسم الآن كما تناسوا كثيراً من شعائر دينهم
وتسامحوا بأصول شرعهم واذ انفتح في المسلمين شيء من روح التعصب على
المسيحيين وجفوا اخوانهم في الوطنية وان لم يكونوا اخوانهم في الدين فانما كان
نافع هذه الروح ومضرم نار الفرقة والجناء بين الفريقين حروب الصليب التي
أسعرت لهما في المشرق خطباء الدين والسياسة في الممالك المسيحية ومات لذلك من

تحول قوة الغلب في العصور المتأخرة الى الدول الاوربية وايفالها بسبب ذلك في التحكم الجائر على دول الاسلام والتدخل بشؤون المسيحيين في المشرق تداخلا ممزوجا بالاغراض السياسية مبنيا على القسوة والجبروت في مناوأة دول الاسلام مع ما يضاف الى هذامن دس الدسائس للتفريز بالمسيحيين في مناواتهم لمجاوريتهم المسلمين والخروج على الحكومة الاسلامية بدعوى التنظيم من جور الحكام الظالمين حتى أصبحت المماليكة العثمانية منذ قرن تقريبا كميديان حرب تباع فيه ارواح المسلمين والمسيحيين بلا جبرية ولا اثم الا الجهل الذي يزوج بهم في غمار الفتن خدمة لمصلحة الدول الاوربية على غير علم بمن يخدمون ومن تم كان المسؤل عن بث روح الجفاء والتعصب في نفوس المسلمين هم قادة المسيحية وساستها وحملتها كتابها الا المسلمون انفسهم

أجل قد وجد في بعض العصور الاسلامية ناس من علماء الدين الاسلامي متمصبون تناسوا وصايا نبيهم وخلفائه الراشدين بأهل الذمة لكنهم أفراد من أهل العلم الناقص لا يبني على عملهم حكم وإنما تطرق اليهم ذلك التعصب من بعض مذاهب الشيعة الذين يتأولون الآيات بما يوافق مذهبهم الباطل سا محهم الله وهداهم ومع هذا فلن يبلغوا مبلغ علماء الدين المسيحي من التعصب ضد الاسلام والمسلمين كما انه وجد حكام تعسفوا في الحكم وآذوا أهل الكتاب فسلبوهم كثير آمن من ايا التمتع بحسن المجاورة والمعاشرة مع المسلمين لكن أولئك قوم قد نزع الله الرحمة من قلوبهم وقصرت عن مدارك العدل مداركهم فكان المسلم والذمي في جورهم سواء ولقي ويلقي المسلمون منهم من البلاء أكثر مما يلقي المسيحيون. على أن الدول الاوربية لو تركت المسلمين وشأنهم مع مواطنيهم من المسيحيين ولم تنفث فيهم سم التنافر والجفاء لوجدوا أنفسهم سيلا للراحة

ومندوحة عن تحمل الظلم والعناء

ومع هذا فان جور بعض الحكام لا يعتبر أساساً في نوع الحكم والحكم في
معاملة الذمي في الاسلام هو ما رأيت مما صرف في هذا الفصل من عناية الخلفاء
بالكتابين ووصاياهم باهل الذمة والعهد واذ اقبلنا بين هذا الحكم وبين الحكم
في معاملة المسلم عند الدول المتمدنة المسيحية في هذا العصر لرأينا الفرق واضحاً
والتباين بينهما فاضحاً إذ ان الاسلام لم يأت بقانونين متباينين لحكم الامم الغالبة
والمغلوبة وانما أتى بقانون واحد للناس كلهم في شرعه سواء واما قوة الغلب التي
أتيحت في العصور المتأخرة للدول المسيحية فقد نزع من قلوب زعمائها كل
حنان ورحمة في معاملة المسلمين معاملة القوي القاهر للضعيف المغلوب حتى بلغ
بتلك الدول أن جعلن وزارة المستعمرات منفصلة عن جسم الحكومة الوطنية
تدير شؤون رعيته فيها على أساس العسف والاستبداد وان كانت تدار شؤون
أمتها الغالبة على أساس الدستور والعدل وحسبك، ان هذا ان دولة فرنسا التي
توسعت في هذا العصر بدعوى الانسانية والعلم والحرية أصبحت أشد الدول
المسيحية وطأة على رعاياها المسلمين ونزع الفرنسيون في الجزائر منازع القوة
والجبروت فانزعوا من المسلمين أراضيهم وأملاكهم وأوقفهم وحجروا على
حرية التعليم عندهم واستبدوا في أموالهم وأرواحهم حتى باتت الجزائر في حالة
من الضنك والفقر والجهالة تنفطر لها القلب وحتى كانت الدولة الفرنسية أبعض
الدول الى المسلمين في هذا العصر ويتلوه في المرتبة هولاندا في معاملتها القاسية
لمسلمي الجاوى ويتلوهما النمسا في معاملتها لمسلمي البوسنة والمهرسك ويتلوه هذه
الروسية وحكومات البلقان وهكذا كل دولة أوربية لها نصيب من ظلم المسلمين
وتعنهم ومع أن دولة انكلترا هي أخف الدول المسيحية وطأة على المسلمين

وأسد هن سياسة في المستعمرات وأطلقهن الحرية التعلم والتملك والمتاجرة والدين في مستعمراتها الشرقية سواء كانت اسلامية أو غير اسلامية الا انارى بين الحكومة الانكليزية في حكمها في البلاد الشرقية وبين الأمة الانكليزية في معاملتها الشرقيين بوناشاسعاً ورفقاً عظيماً اذ ينارى أساس الحكم الانكليزي في الأمم الخاضعة له خارج الجزيرة البريطانية مبنياً على ما تقدم من حسن السياسة نرى من وجه آخر أفراد الأمة الانكليزية يمتنون الشرقي امتهاناً لا يطيقه بشر بل لا يجوز صدوره عن بشر ويغالون في حب الذات الى حد يكاد يبغض للمسلمين وغيرهم من المحكومين لتلك الأمة ذلك الحكم الانكليزي معها بلغ من العدل ومن أغرب ما رأينا في الجرائد من هذا القبيل ان أحد أمراء الهند الكبار مر على مدينة رأس الرجا، الصالح في أفريقيا الجنوبية من عهد قريب فلم يتيسر له النزول في فندق من فنادق تلك المدينة لانها كلها تضيف الانكليز ولا سبيل لشرقي معها كان مقامه أن يدخل مكانا فيه رجل انكليزي بل والانكليز هناك يأبوزان يروا معهم حيثما كانوا رجال من الشرقيين ورأينا كثيراً من أمثال هذه الحادثة في الجرائد مما يدل على التناهي في الجبروت والاعراق في حب الذات^(١)

(١) بعد كتابة هذا الفصل اطلعنا في العدد ٣٥٨١ من جريدة المؤيد الصادرة يوم الاحد غرة ذي القعدة (سنة ١٣١٩) على رسالة من دربان نتال في أفريقيا الجنوبية يقول المراسل فيها ما نصه . ارسلت لكم نسخة من جريدة (مكرى) المطبوعة في نتال في (بور تليزيت) وهي ان المؤذن بنا كان واقفا على رأس منارة عالية يؤذن فلم يشعر الا وطاق نار ي اصابه من يد أحد المتعمدين الانكليز لانه أزعجه بصوته فسقط المؤذن على أم رأسه أجزاء متفرقة قضت نجها في هويها (كذا) وقد قبض على الجاني وهيات ان يلقى عقاب الموت لانه لم يمهده ان انكليزياً يقتل في وطني بهذه الديار ولا في الشرق كله ثم ذكر حادثة أخرى وقعت لامام هذا الجامع يأبى القلم أن يسود بذكرها صفحات هذا الكتاب

فأين ما تعامل به المسلمين الدول الاوربية في هذا العصر الذي دالت به
 لهن الدولة وأتيح لهن الغلب على الأمم مما كانت تعامل به دولة المسلمين في أبان
 مجدها وأيام فتوحها رعيتهما من المسيحيين وأين ما تعامل به عمر بن الخطاب ومن
 بعده من الخلفاء أهل الكتاب من النجرائين مما تعامل به دولة فرانسوا مساحي
 الجزائر الذين لم يبق لهم أرض ولا مال ونزع ذلك منهم القرنسايون بلا عوض
 ولا حق ولا عدل

لاجرم أن الحق والعدل والانصاف يقضي على حملة الدين المسيحي الذين
 كانوا يصورون المسلمين في صورة وحش ضار ان يصوروا التمدن الاوربي
 وأهله في أقبح صور الحيوانات وأخس لباس التوحش والمهجية بعد ما بسطنا دم
 المقابلة بين حكم الاسلام في المسيحيين وحكم التمدن في المسلمين ومن العار على هذه
 المدينة أن تصل الى أرقى درجات الزهو بالمظاهر والصور وهي تنحط الي
 دركات التسفل في الاخلاق والنمائي عن الرحمة والبعد عن فضيلة النفس فننقض
 بأهلها على المسلمين انقضاض الجوارح على فريستها الضعيفة ولا ذنب لأوثانك
 المسلمين الا كونهم كانوا أمة عزيزة الجانب قوية السلطان فأتاح الله لهم
 وسائل النبله على الامم وبسط جناح السلطان على جزء عظيم من الارض حكموا
 أهلها بالعدل وساسوا رعيتهم بقاعدة الاخا والمساواة وأحيوا تمدن الرومان
 واليونان ونشروا على الممالك نور المدنية والعلم حتى اذا دالت بحكم تنازع البقاء
 دولتهم وانظفأ مصباح مدنيتهم واختل نظام ملكهم بتقلب شبوات أمراءهم
 وجهل قادتهم أصبحوا في نظر الدول الاوربية ذات الغلب عليهم لا يستحقون
 الرأفة ولا يجازون بغير الظلم والاستعباد ان هذا الشيء عجب
 يقول الاوربيون إن المسلمين أمة نفخ فيهم روح التعصب والجناء

والبغض لمن لا يدين بدينهم من الناس وهو قول مبني على الاستقراء الناقص عند
 الباحثين وعلى الغرض أو التعصب الذميمة عند السياسيين وعامة القائلين بهذا
 القول وإنما تسلط هذا الوهم على عامة الاوربيين لما كان يكتبه عن الاسلام رؤساء
 الدين المسيحي في أوربا في القرون المتوسطة من الاضاليل التي كانوا يريدون
 بها إيقاف تيار الاسلام ومن ثم أصبح الاوربيون حتى هذا العهد كأنما هم في عالم
 والاسلام في عالم آخر لم يتحققوا من أمره وأمر أتباعه شيئاً في الدين والاخلاق
 ولو بحثوا عن ذلك أقل بحث مجرد عن الغاية السياسية والتعصب لأدركوا خطأهم
 ببداية الحس اذ ان قوم ما ضي عليهم ثلاثة عشر قرناً وهو باسطون جناح السلطان
 على قسم عظيم من الارض يقطنه ملايين من المسيحيين يتمتعون الى الآن بسائر
 ما يتمتع به الوطني في وطنه لقوم تشهد لهم ببداية التاريخ بأنهم ألزم الاقوام لأدب
 الجوار وأبعدهم عن تحكم الغلب وجبروت السيادة لذي يظهر من كل فاتح عظيم
 ان للاوربيين ان يعزقوا عن بصائرهم حجب الغرض والوهم ويبدوا ان
 لاسلام يأمر أهله بالتآلف وحسن المعاشرة والجوار ومحاسنة من أحسن اليهم
 وان لا يخاشنوا الا من خاشنهم وأراد امتنانهم وان المسلمين بما فطر واعليه من
 كرم الاخلاق وجميل المعاشرة أعظم الناس اعترافاً بالجميل ورضى بالقضاء وميلاً
 للفضيلة وقد قضى جهل أمراءهم بتقلص ظل سلطانهم السياسي عن معظم
 ممالكهم الشاسعة فدالت دولة المشرق للغربيين فاذا حكمهم هؤلاء بالعدل
 وساسوهم بالرأفة وعاملوهم معاملة النظير امتلكوا قلوبهم واستأنسوا نافرهم
 واستفادوا من إخلاصهم كما تستفيد الآن دولة انكلترا من اخلاص المسلمين
 الذين تحت حكمها الواسع لا طاقها لهم حرية الفكر والدين ونشرها بينهم أنوار
 المعارف والعلم والامن الظلم الفاضح والعار المشين على الدول المتقدمة المسيحية

وأخصها جمهورية فرنسا الجائرة على المسلمين أن تعامل محكومها من المسلمين
بعكس ما تعامل به الدول الإسلامية حتى هذا اليوم رعاياها المسيحيين من منحهم
حرية لتمتع بسائر ما يتمتع به رعاياها المسلمون من الحقوق لا سيما في المملكة
العثمانية ومن العيب أن تحتط الدول الأوروبية لنفسها خطة العسف وحب الأثرة
والجور في حكمها في المشرق وترجع مع هذا تمكن سلطانها في هذا الجزء العظيم
من الأرض وفيه ثلاثمائة مليون من المسلمين كانت لهم السيادة عليه والسلطان
العظيم فيه ومن الحكمة وحسن السياسة أن يعوضوا عن هذا السلطان بجميل
المعاملة وحقوق الوطنية والقرار ولو كانوا أمة صغيرة أو شعباً حقيراً لا يؤبه له
كهنود أمير كامبثا لساغ للدول الأوروبية أن تعاملهم بما شاءت من ضروب
القسوة والاذلال حسب ما يوحيه اليها شرع التمدن الحديث وأما أمة كالمسلمين
شأنها ما ذكرنا فمن المحال إن ترضى لنفسها الاذلال وإن طال عليها المطال والله
ولي الرشد وهو الموفق بين القلوب

— ❦ —
❦ باب ❦

❦ فتوح الشام ❦

علمنا مما مر في الجزء الأول كيف أن الجيوش الإسلامية قلت جموع الروم
على اليرموك وذكروا ثمة ما كان من الخلاف بين المؤرخين في ترتيب الوقائع التي
كانت قبل ذلك إلى فتح دمشق وفي الحقيقة إن تلاحق الوقائع التي حدثت بالشام
من أوائل السنة الثالثة عشرة إلى أوائل السنة الرابعة عشرة وأوجد اضطراباً في
الروايات في ترتيب تلك الوقائع واختلافاً بين الرواة في تعيين الزمن لافي أصل

الوقائع بل هذه اتفق عليها ثقات المتقدمين من رواة تاريخ الفتح الاسلامي كسيف
ابن عمر الأسيدي وابن اسحاق والواقدي ومن تلاهم من مدوني التاريخ كابن جرير
الطبري والدينوري وابن واضح وغيرهم من المتقدمين وقد استقصى ابن جرير
في تاريخه معظم الروايات الواردة عن المحدثين بأخبار الفتح على اختلافها وترك
الحكم فيها للناقد شأن كل المؤرخين في الاسلام ونحن نعلم ما اعتمده المؤرخون
بعد في سرد الوقائع المختلف في تعيين زمنها إذ ليس سرد الروايات من الاهمية في
شيء مادام من الثابت حصول الوقائع وما أظن ذلك الاختلاف بين الرواة ناشئاً
الآن عن حصول عدة من الوقائع في آن واحد أو ردها للرواة متفرقة من طرق شتى
فاختلط أمرها على المؤرخين وبعض الرواة أو ان تلاحق بعض الوقائع ببعض
أوجب ذلك الاختلاف كما ذكرنا قبل والعبارة في كلا الحالين في تحقيق الخبر لاني
تعيين الزمن كما لا يخفى على بصير

﴿ فتح دمشق ﴾

(وانحياز هرقل الى حمص)

لما انتصر المسلمون في وقعة اليرموك كان هرقل في اورشليم وقد جاءها
لاجل الاحتفال بميد تخليص الصليب المقدس الذي استرده من دولة الفرس
قبل ذلك ولم يكن هو ورجال دولته بموقنين بان قوة المسلمين تبلغ من كيدهم ما لم
تبلغه جيوش دولة الفرس العظيمة حتى جاءه خبر انتصار المسلمين في اليرموك
فغضب قلبه وأسقط في يده فنظر فرأى أن مقامه في اورشليم (القدس) خطر عليه
سيما اذا انساح المسلمون في أحشاء البلاد فأسرع بالرحيل الى شمال سورية ولحق
بمدينة حمص ليجمع لها قراً لأعماله الحربية ومن ثم أخذ يثب المقاتلة ويذكي الميون
ويسرح القواد الى مواقف الحرب وسلم أخا تذارق (لعليودور) القيادة العامة

وتربص «وفي حمص» وقد أخذ عليه بهض المؤرخين عدم حضوره الوقائع بنفسه
 وأنه لو حضرها لكان ذلك أدعى لتشجيع جنوده وأرجى للنصر على أن هرقل كان
 ملكاً حازماً ليس بالجاهل ولا الجبان يدلك على هذا ظفرد قبل حربته مع العرب
 بالفرس^(١) لهذا فلا بد لتخلف هرقل عن جيشه في حرب المسلمين من عذر

(١) كان الفرس غزوا بلاد الروم ودوخوا ممالك الدولة البيزنطية حتى وصلوا
 الى القسطنطينية وذلك حوالى سنة (٦١٤ م) فاشهر هرقل عليهم الحرب ثانية
 سنة (٦٢١ م) أي بعد الهجرة بسنة واسترد هذه البلاد والقصة مشهورة جاءت في
 القرآن الكريم في قوله تعالى (ألم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم
 سيغلبون في بضع سنين) ويعني بادنى الارض اذرعات وهي أدنى أرض الروم الى
 العرب وكانت الروم قد هزمت بها في بعض وقائعها وكان سبب نزول الآيات ان
 النبي صلى الله عليه وسلم كان قد ساءه وساء المسلمين ظفر الفرس اولاً بالروم لان
 الروم أهل كتاب وفرح مشركو العرب لان المجوس أميون مثلهم فلما نزلت هذه
 الآية راهن أبو بكر الصديق أبي بن خلف على أن الظفر يكون للروم الى تسع
 سنين مصداقاً لما نزل به القرآن والرهن مائة بعير (ولم يكن الرهن يومئذ حراماً)
 فظفرت الروم. وغلبه أبو بكر وأتى الخبر بظفر الروم النبي صلى الله عليه وسلم يوم
 الحديدية وكانت سنة ست للهجرة واذ كانت حملة هرقل على الفرس ابتدأت سنة (٦٢١ م)
 أو التي بعدها أي قبل الهجرة بسنة واحدة وكان الروم غلبوا مرة في هذه السنة
 فتكون استمرت هذه الحرب نحو سبع سنين وانتهت بظفر الروم مصداقاً لما نزل به
 القرآن الكريم في قوله تعالى (في بضع سنين) والضح ما بين الأربعة الى التسعة وقد
 جاء في تواريخ الغربيين ما يؤيد ذلك وحاصل ما ذكره عن هذا الحادث ادورد جيون
 الانكليزي في (تاريخ الامبراطورية الشرقية) ان كسرى ابروز ملك الفرس غزا
 بجهه شمس مملكة الرومان الشرقية «البيزنطية» في سنة «٦١٤ م» لاسباب لا محل لذكرها
 هنا فدوخ سورية ومصر و آسيا الصغرى حتى وصل الى حدود القسطنطينية ولما
 رأى الامبراطور هراكليوس «هرقل» ذلك الخطر المحقق بعاصمته خشي ان هو
 حارب الفرس قربها ان تسقط في ايدهم فجهز اسطولاً عظيماً شحنه بالمقاتلة
 والمؤن وخرج به في سنة «٦٢٢ م» من القسطنطينية حتى بلغ هلسبونت «جناق قلعه»

اضطره لهذا التخلف ولعله لما رأى منهم شدة البأس والدرية على الحرب وحسن
السياسة في البلاد التي افننجوها وشعر بميل السوريين اليهم وتأفقهم من جور
الحكام الرومانيين خامر نفسه شيء من اليأس من امكان دفع المسلمين عن البلاد
لا سيما وان الحرس الروماني في البلاد السورية لم يكن في عدد كافٍ لحماية البلاد
وانما كان حماها من العرب المنتصرة ومن نفس سكان البلاد الذين كانوا خليطاً
من السريان والعرب واليهود والروم واذا صح هذا الزان فلا يؤخذ هرقل
على انحيازه الى حمص وتباعده عن مواقع القتال أخذاً بالحيطة لنفسه وتمسكاً
بأسباب النجاة اذا ظفر المسلمون بمجنود الروم وانكفاً واعلى شمال البلاد

لم يكن المسلمون يومئذ على ما عهد فيهم من البداوة جاهلين بأحوال البلاد
غير خبيرين بقوة أهلها وطرقها ومسالكها بل كانوا على بصيرة من أمرهم
ووقوف على مبلغ قوة عدوهم بمن كان فيهم من سادات قريش الذين اختبروا حالة
البلاد في الجاهلية باختلافهم اليها لامتاجرة لهذا أعدوا لهذه الحرب عدتها من
التدريب والاناة وحسن البصيرة في ترتيب الجيوش وقيادتها يضاف الى هذا

ومن ثم مخر الاسطول في عباب البحر الابيض حتى انتهى الى الاسكندرون بعد
معاناة نصب شديد في البحر وهناك رأى هرقل في جون الاسكندرون مرسي أميناً
لسفنه لا يصل اليه كيد البحر ولا كيد العدو فأمر بان ترسو فيه السفن وانزل الجنود
الى حدود سورية وكينا « ادنه » وزتب معسكره قرب أسس في السهل الذي انتصر
فيه الاسكندر المقدوني على ملك الفرس « وهو سهل الاسكندرون » وأخذ يدرّب
جنوده على فنون الحرب ويمرهم للطعن والضرب ولما علم بذلك الفرس انكفأوا القتاله
من داخل البلاد فاتصر عليهم بحسن تدبيره الحربي ومزق جموعهم كل ممزق ثم جهز
عليهم حملة ثانية وما زال بهم حتى أجلاهم عن مملكته ولما كانت سنة « ٦٢٨ م » استقر
الصلح بين الفريقين وكان ولي ملك فارس كبرى ازدشير بعد أن قتل أباه ابرويز
فصالح هرقل على ان تعاد تخوم المملكتين الى أصلها اه وجاء في تاريخ الكامل لابن
الاثير ما يطابق معنى ما ذكره جيون وفيه زيادة تفصيل

ما يصاحب عامة المقاتلين من الشجاعة العربية وكمال الايمان وعدم الرهبة من الموت في سبيل نصره الأسلام وتعميم دعوه القرآن . لهذا فلا يتوهم من متوهم من بدو أو تلك الفاتحين الشجعان أن حروبهم مع الروم والفرس كانت همجية على غير نظام ولا ترتيب بل انهم كانوا على أحسن ما يكون من البصيرة بأمر الحرب يعلم هذا من دقق النظر في كيفية حروبهم مع الروم في الشام وكيفية قيادتهم للجيش وتبصرهم في تدويخ البلاد كما سيأتي بيانه في غضون الكلام على فتح دمشق وغيرها وستفرد له فصلاً خاصاً تفصل فيه الكلام على ذلك أحسن تفصيل ان شاء الله تعالى وهانحن ذاكرون هنا كيفية مسير المسلمين الى دمشق بعد اليرموك نقلاً عما ذكره الطبري من رواية سيف وذلك ببعض تصرف واختصار قال

لما هزم الله جند اليرموك وتهاقت أهل الواقصة وفرغ من المقامم والانفال وبعث بالانخاس وسُرحت الوفود استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب بن أبي الحميري كي لا يفتال برده ولا تقطع الروم على مواده^(١) وخرج أبو عبيدة حتى نزل بمرج الصفر وهو يريد اتباع القالة ولا يدري يجتمعون أو يفترقون فأتاه الخبر بأنهم اجتمعوا واتفقوا وان المدد قد أتى أهل دمشق من حمص فهو لا يدري أدمشق يبدأ أو يفتح من بلاد الاردن فكتب في ذلك الى عمر وانتظر الجواب وأقام بالصفر فلما جاء عمر فتح اليرموك أقر الامراء على ما كان استعمالهم عليه أبو بكر الآما كان من عمر وبن العاص وخالد بن الوليد فانه ضم خالداً الى أبي عبيدة وأمر عمر أن يعمونة الناس حتى يصير الحرب الى فلسطين ثم يتولى حربها

ولما انتهى كتاب أبي عبيدة الى عمر بالذي ينبغي ان يبدأ به كتب اليه (أما بعد

(١) أي كي لا تقطع عليه خط المواصلات على الاصطلاح المعروف الآن في فن الحرب

فابدأوا بدمشق فانهذوا لها فانهذوا حصن الشام وبيت مملكتهم وأشغلو اعنكم أهل
فحل بنخيل تكون بازائهم في نحورهم وأهل فلسطين وأهل حمص فان فتحها الله
قبل دمشق فذاك الذي نحب وان تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فينزل
بدمشق من يمسك بها ودعوها وانطلق أنت وسائر الامراء حتى تغيروا على فحل
فان فتح الله اعينكم فانصرف أنت وخالد الى حمص ودع شر حجيل وعمرأ وأخلها
بالاردن وفلسطين وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من امارته

فسرح أبو عبيدة عشرة قواد بالاعور السلمي وبعده عمرو بن يزيد بن
عامر الجرشى . وعامر بن حثمة . وعمرو بن كليب من محصب . وعمار بن
الصعق بن كعب وصيفي بن عتبة بن شامل . وعمرو بن الحبيب بن عمرو . وابدة
(ووليدة) بن عامر بن حثمة . وبشر بن عصة . وعمار بن محش (أو مخشي)
قائد الناس ومع كل رجل خمسة قواد وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى
لا يجدوا من يحتمل ذلك منهم فساروا من الصفر حتى نزلوا قريبا من فحل فلما رأت
الروم ان الجنود تريد منهم بشقوا المياد حول فحل فاردغت الارض ثم وحلت واغتم
المسلون من ذلك وحبس من فيها عن المسلمين وكان أول محصور بالشام أهل
فحل ثم أهل دمشق

وبعث أبو عبيدة ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحمص ردهاء . وبعث
علقمة بن حكيم ومسر وقافكا نابين دمشق وفلسطين والامير يومئذ يزيد بن
أبي سفيان (١) فقدم خالد بن الوليد وعلی محبته عمرو وأبو عبيدة وعلی الخليل عياض
ابن غنم وعلی الرجل شر حجيل بن حسنة فقدموا على دمشق وعلی الروم نسطاس
ابن نسطوس (وفي رواية باهان) فحصروا أهل دمشق ونزلوا حولها . فكان

(١) یعنی انه امير على حرب دمشق

أبو عبيدة على ناحية وعمر وعلى ناحية وخالد على ناحية ويزيد على ناحية وهرقل
(هرقليوس) يومئذ بحمص فحاصروا أهل دمشق نحواً من سبعمائة ليلة حصاراً
شديداً بازحف والترامي والمجانيق والروم معتصمون بالمدينة يرجون النيات
وذو الكلاع بينهم وبين حمص يمنع عنهم المدد وجاءت خيول هرقل مغيثة
لأهل دمشق فاشجتها الخيول التي مع ذي الكلاع وشغلها عن نصرته المشقيين
فلما أيقن أهل دمشق أن الامداد لا تصل إليهم فشاؤا وهنؤا وقد كانوا يظنون
أنها كالغارات قبل ذلك إذا هجم البرد فقل المسلمون فسقط النجم والقوم
مقيمون فعند ذلك انقطع رجاؤهم وندموا على دخول دمشق وفي غضون ذلك
ولدالبطريق الذي على أهل دمشق مولود فأعد للقوم ولحمة فأكلوا وشربوا
وغنلوا عن موافقهم ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالده
كان لا ينام ولا ينيم ولا يخفي عليه من أمرهم شيء عيون ذاكية وهو معني بما يليه
قد اتخذ حبالة كهيئة السلاطيم وأوهاقاً فلما أمسى من ذلك اليوم نهى من معه من
جنده الذين قدم بهم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومدعور بن عدي
وأمثاله من أصحابه وقالوا إذا سمعتم تكبيراً على السور فارقوا إليها وانهدوا للباب
فلما انتهى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدمون رموا بالحبال الشرف وعلى
ظهورهم القرب التي قطعوا بها الخندق فلما ثبت لهم وهقان تسلق القعقاع ومدعور
واثبتا الأوهاق بالشرف فتسلق خالد وأصحابه وكان المكان الذي اقتحموا منه
أحصن مكان يحيط بدمشق وأشد مدخلاً ولما استوا على السور حصد خالد
عامة أصحابه وانحدر معهم وخلف من يحيي ذلك المكان لمن يرتقي وأمرهم
بالتكبير فكبر الذين على رأس السور فهذه^(١) المسلمون إلى الباب ومال إلى الحبال

(١) في القاموس نهى الرجل نهض ولعدوه صمد لهم

بشر كثير فوثبوا فيها وانتهى خالد الى اول من يليه فأنامهم وانحدروا الى الباب
فقتل البوابين وثار اهل المدينة وفزع الناس ولا يدرون ما الشأن وتشاغل
اهل كل ناحية بمن يليهم وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف
وفتحوا للمسلمين فأقبلوا عليهم من داخل حتى مابق مما يلي باب خالد مقاتل
الأثيم ولما شد خالد على من يليه وبلغ منهم الذي أراد عنوة اجتمع من أفت
الى اهل الابواب التي تلي غير دو قد كان المسلمون دعواهم الى المشاطرة فأبوا
وابعدوا وجاءوا الآن يبذلون لهم الصلح فاجابوهم وقبلوا منهم وفتحوا لهم
الابواب وقالوا ادخلوا وامنوا من اهل ذلك الباب فدخل اهل كل باب بصلح
مما يليهم ودخل خالد مما يليه عنوة فالتقى خالد والقواد في وسطها هذا استعراضاً
وانتها بآلوه هذا صلحاً وتسكيناً فاجر وناحية خالد مجرى الصلح فصار صاحبا وكان
صلح دمشق على المقاسمة الدينار والعقار ودينار عن كل رأس فاقسموا الاسلاب
فكان أصحاب خالد فيها كاصحاب سائر القواد وجرى على الديار ومن بقي في الصلح
جريب حنطة من كل جريب ارض ووقف ما كان للملوك ومن صوب معهم
فيها^(١) وقسموا الذي السكلاع ومن معه ولأبي العور ومن معه ولبشير ومن معه
(وهم القواد الذين أرسلهم أبو عبيدة ليحولوا بين دمشق والامداد) وبعثوا
بالبشارة الى عمر وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر أن اصرف جند العراق الى العراق
فسرحهم وهم عشرة آلاف وعليهم هاشم بن عتبة ومعه القعقاع بن عمرو

(١) التي هو مايل من المحارب بعد وضع الحرب اوزارها وصيرورة داره
دار اسلام وهو الجزية وعشر التجارة وما يصلاح عليه من المال وحكمه ان يكون
لسائر المسلمين فيه نصيب وقد فصلنا الكلام على هذا تفصيلاً في كتابنا (تنبيه الافهام
الى مطالب الحياة الاجتماعية والاسلام) او يتناهة ان ما رمى اليه مقاصد الاشرافيين
في هذا العصر سبقهم اليه الاسلام لكن على وجه معقول لا يصادم أحكام العقل والحس

وذكر البلاذري في سبب فتح دمشق غير ما تقدم من رواية الطبري وقال ان فتحها كان بمائة الاسقف الذي كان اعطاه خالد عهداً واما نا على دمشق حين مروره عليها في اول مجيئه الشام وذلك بان ارسل اليه الاسقف بعض اصحابه واعلمه بان القوم في عيد لهم وان الباب الشرقي ردم وليس عليه احد من الحرس (وقدمت حكاية هذا الاسقف وصورة الكتاب في سيرة خالد بن الوليد) وان خالد لما دخل المدينة كان ابو عبيدة دهاها من باب آخر عنوة فالتقياني دخولهما بالمقسلاط وهو موضع النحاسين بدمشق وهو البريص الذي ذكره حسان ابن ثابت في شعره حين يقول

يسقون من ورد البريص عليهم بردي يصفق بالرحيق السلسل

ولا يخفى ما في هذه الرواية من الوهن لان الصحيح الثابت في الاخبار ان ابا عبيدة لم يدخل دمشق عنوة بل دخلها صاحبا

وقد اتفق كثير من الرواة والمؤرخين على ان الذي تولى عقد الصلح مع الدمشقيين هو خالد بن الوليد واهضاه له ابو عبيدة بعد ان اطعمه على كتاب عمر (رضى) بيزله عن امارته وممن ذكر هذا الطبري في روايته عن ابن اسحق والبلاذري في تاريخه فتوح البلدان وفي هذا ما يدل على ان خبر عزل خالد لم يأت وهم على اليرموك بل انما اتى وهم على دمشق او مرج الصفر وكتمه عنه ابو عبيدة ريثما تم الفتح وفي حكاية قيام المسلمين من اليرموك وتربصهم في الصفر في انتظار كتاب عمر بالذي ينبغي ان يبدوا به ما يستنتج منه ترجيح ورود الكتاب بهزل خالد وهم على الصفر والله اعلم

واما صلح اهل دمشق فقد كان كما مر في رواية الطبري على دينار على كل رأس وجريب من الحنطة على كل جريب من الارض وعلى المقاسمة على العقار والدينار

على أن هناك ما يوهن رواية من روى أمر المقاسمة فقد جاء في كتاب كتبه عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح مانصه (وأما الخنطة والشعير التي وجدتوها في دمشق وكثرت مشاجرتكم عليها فهي للمسلمين وأما الذهب والفضة فقيهما الخمس) وهذا يدل على أن المسلمين اختلفوا في هل يشاطروا المشركين على نصف ما وجدوه عندهم من الدينار والدرهم فكاتب أبو عبيدة يستشير في الأمر فأمره بأخذ خمس الفضة والذهب فقط وسير معه هذا الكتاب بحملته في باب كتبه إن شاء الله

وقال البلاذري في فتوح البلدان مانصه «زعم الهيثم بن عدي أن أهل دمشق صولحو على انصاف منازلهم وكنائسهم وقال محمد بن سعد قال أبو عبد الله الواقدي قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أرفيه انصاف المنازل والكنائس وقدروي ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل وهو بانطاكية فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون انتهى ما نقله البلاذري من قول الواقدي ويؤيده كتاب خالد بن الوليد الذي أعطاه لأهل دمشق وفيه الأمان على كنائسهم ودورهم لا يسكن منها شيء وقد مررت بصورة الكتاب في سيرة خالد على أنه سواء صحت هذه الرواية أو الرواية الأولى فإن المسلمين أجر وانصف كنيسة ماريوحنا مجرى الصلح والنصف الآخر مجرى السيف وهو النصف الشرقي الذي يلي الباب الذي دخل منه خالد بن الوليد وجعلوه مسجداً لهم وما زال كذلك حتى أيام الوليد بن عبد الملك فاشترى النصف الآخر منهم وجعله كله جامعاً لم يزل يعرف لهذا العهد بجامع بني أمية وسيأتي الكلام عليه في سيرة الوليد إن شاء الله

وأما باقي كنائس دمشق فلم يعرف أنه كان منها يسدهم بعد من المسلمين

الى خلافة عمر بن عبد العزيز خمس عشرة كنيسة وروى البلاذري ان بعضهم
أقطع كنيسة منها لبني نصر فردها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى النصارى
هذا واما الجزية فانها كانت في بادىء الامر دينارا على كل رأس كما علمت مما تقدم
ثم عدلها عمر بن الخطاب (رض) فجعلها على ثلاث طبقات على الغنى بنسبة غناه
والمتوسط بنسبة توسطه والفقير بنسبة فقره

الى هنا انتهى ما أجبنا ايراده من الخبر عن فتح دمشق التي كانت أم المدن السورية
ومهد الصناعة الشرقية وزهرة البلاد وازدادت بعد الفتح الاسلامي لاسيما في
عهد الامويين مجداً على مجدها وعمراناً على عمرانها واما ولايتها بعد الفتح فقد
صارت الى يزيد بن أبي سفيان ثم الى أخيه معاوية ثم قدر لها ان تكون بعد
ذلك عاصمة ذلك المملك الاسلامي العظيم الممتد من حدود الهند في الشرق الى
شواطئ الاطالنتيك في الغرب على عهد الامويين لاعاصمة سورية وحدها
وسياهي الكلام على هذا في محله ان شاء الله

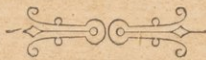
وقد اختلف المؤرخون في الزمن الذي افتتحت به دمشق فروى بعضهم
انها افتتحت في اواخر سنة ١٣ للهجرة وبعضهم قال في أوائل المحرم افتتاح سنة ١٤
وبعضهم قال انها افتتحت في رجب من هذه السنة ولعله الاصح

﴿ بطلان خبر ﴾

سأني بعضهم عن حكاية رآها في تاريخ انكليزي وهي ان خالد بن الوليد لما افتتح
دمشق صالح اهلها على أن من يريد منهم الجلاء يمهل بعد سفره ثلاثة ايام اذا مضت
وادركه المسلمون فدمه مهدور وان اهل دمشق جلوا وتبعهم المسلمون بعد
ثلاثة ايام فقتلوه ولا يخفى ما في هذه الحكاية من العار على المسلمين يومئذ فيما
لو صح عنهم مثل هذا الخبر مع انهم كانوا وفي الأمم الفاتحة بالهدوء ابعدهم عن

مثل هذا الظلم الذي يباه دينهم وتتنزه عنه شديدهم العربية و اخلاقهم الفطرية فبحثت
 عن هذا الخبر فيما دونه رواة الاخبار من المتقدمين كالطبري والبلاذري وابن
 واضح المعروف باليعقوبي وفي تواريخ المتأخرين كتاريخ ابن الاثير الذي هو اوثق
 التواريخ فلم أجد لهذا الخبر من أثر وانما رأيت في بعض تواريخ معاصرينا من
 المسيحيين كتاريخ سورية لجر جي أفندي نبي وتاريخ الوافي لامين أفندي شميل
 وكلا التاريخين وان كان مؤلفاهما عربيين الا ان عبارتهما تدل على أن ما في
 التاريخين مترجم عن لغة أعجمية لم تذق طعم العربية البتة وان المؤرخين كانوا بعد
 الناس عن تحقيق أمثال تلك الحوادث من كتب التاريخ العربية الوثيقة التي لم
 تغادر كبيرة ولا صغيرة الا أتت على ذكرها تفصيلا في البعض و اجمالا في البعض
 الآخر ولم تغفل حادثة من أدنى حوادث الفتح فكيف تغفل مثل هذه الحادثة
 ولعل بعض مؤرخي الاوربيين الولهين بالبحث عن مساوي المساميين وستر
 محاسنهم التقطوا ذلك الخبر من كتب المغازي والقصاصين كفتوح الشام وامثاله
 من الكتب التي هي أبعد عن الثقة وأقرب للخلط والخبط منها الى التاريخ أو عن
 كتب مؤرخي الروم وهي لا تخلو عن لغو القول والمبالغة في ذم الفاتح بالطبع
 على أنه مما يوهن أساس هذه الفرية ويدل على بطلان هذا الخبر ما قاله بعض
 مؤرخيهم من أن المسلمين ادركوا أولئك الناس وراء اللاذقية وفتكوا بهم
 بعد انقضاء الاجل (وكان بزعمهم ثلاثة أيام) ومن البديهي أن البلاديوم منذ كانت
 كلها دار حرب وكانت الجنود الرومانية والسورية كلها مرابطة في البلاد واقفة
 على قدم الأهبة لصد المسلمين الذين لم تكن سلطتهم بعد تجاوزت دمشق
 و حوران والناس واقفون لهم على قدم الأهبة في كل مكان لما يتوقونونه من
 انكفائهم على البلاد بعد فراغهم من دمشق فكيف يتيسر لسرية منهم ان تقتحم

البلاد الى ما وراء الالاذقية وهذا حال أهلها من اليقظة والاستعداد وما الحامل
 لجند المسلمين على تتبع أثر قوم لهم عليهم عهد وميثاق فاذا قيل الطمع فيقال ان
 امامهم البلاد لم تزل فسيحة الارحاء كثيرة الغنائم والخيرات وليس فيهم من
 يشك بمصير البلاد وأهلها وكنوزها اليهم في أقرب آن وان قيل غير ذلك من
 نحو التعصب أو الظلم أو غيره فيقال ان التاريخ يبرئ تلك العصابة المؤمنة بكتاب
 الله الآمر بالعدل الناهي عن الظلم عن أمثال تلك المساوي الشائنة وقدمر معناني
 هذا التاريخ ما يدل على ترفع أولئك القوم الفاتحين عن الحساس التي قضى عليها
 نظام دينهم الجديد وشرعهم المستقيم وعدا هذا كله فان الفاتحين مها بلغ بهم فساد
 الاخلاق والظلم فالسياسة تقضي عليهم بالجملة والرفق مع القوم المغلوبين ريثما
 يتم لهم الفتح والعرب يومئذ قد كان فيهم من القواد المحنكين مثل أبي عبيدة
 وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان فكيف يمكنون جندهم
 من إتيان مثل ذلك المنكر والبلاد على وشك الفتح وينبغي للمسلمين ان يتألفوا
 قلوب أهلها بحسن المعاملة وجميل المعاشرة مع أن العرب لم يكونوا في جاهليتهم مع
 شهرتهم بسفك الدماء ومشاربتهم على الغزو يعرضون للنساء والاطفال بالقتل
 فكيف بهم في الاسلام وقد حرم عليهم سفك الدماء ظلما ان يعرضوا الأوتك
 المساكين بالقتل وربما كان معظمهم من النساء والاطفال ان هذا لما ناباه نفوسهم
 العربية وتمنعهم منه المرؤة والدين اذن فذلك الخبر باطل من كل الوجوه واذا
 ورد في كتب مؤرخي الروم فصدره الغرض واذا ورد في كتب القصاصين
 فصدره الجهل ولا يشك في هذا عاقل البتة



بحث

(في هل كانت دمشق قاعدة الغسانيين)

سبق لنا في التمهيد الذي قدمناه في الجزء الاول عند الكلام على فتوح الشام ان قلنا على سبيل الاستنتاج ان معظم ولاية الشام كانت على عهد الفتح في أيدي العرب وانه كانت عليهم حماية البلاد واليهم ينتهي نفوذ الكافة والسلطان الى ان قلنا (والظاهر ان دمشق نفسها كانت عربية يومئذ بدليل انها كانت تحت الحارث الغساني أحد ملوك بني غسان على عهد الفتح الاسلامي فهي اذن عاصمة ذلك الملك العظيم المتمدن منها الى الشمال والشرق حتى البادية ومن الجنوب والجنوب الغربي حتى الحجاز والعقبة وكله كان مأهولا بالعرب)

وقد التمسنا في ذلك الجزء من أهل الفضل والعلم ان يتكروا علينا ببيان مواضع الخطأ فيما نقله أو زعمه في كل جزء لنبادر الى اصلاحه في الجز الذي يليه فكان ممن أجاب ملتتمسنا الفاضل المدقق جورجى افندي زيدان في مجلته (الهلال) الغراء فأخذ علينا ذلك القول بعبارة تدل على كمال أدب وفضل وتبني عن سعة في الاضطلاع ومييل عرفناه به للتحقيق ووهو أدى انتقاده على بهذا الصدد ان العرب لم يكونوا يومئذ الا في البادية وهوران وان دمشق لم تكن تحت بني غسان بل كانت حاضرة ولاية يحكمها ولاة من قبل القياصرة وان حاضرة بني غسان كانت بصرى في حوران وانه لم يقرأ ان أحداً من ملوك غسان أقام في دمشق أو تولى حكومتها الا اذا كنا اطلعنا على نص لم يطلع هو عليه وأن عرب الشام لم يكونوا إلا آلة بيد الروم يسوقونهم لقتال عرب العراق والفرس عند الحاجة وليس في المكانة التي وصفناهم بها ثمة : ونحن مع شكرنا لاجلال صديقنا الفاضل كتابنا محل النظر والانتقاد وإقرارنا بالعجز عن بلوغ

شأو المحققين في التاريخ نجيبه بما يلي

بنينا ذلك الاستنتاج ثمة على ما رواه الطبري من أن خالد بن الوليد لما جاء من العراق لنجدة المسلمين بالشام فتح كل أمر عليه من البلاد في مروره على القلوة والاسفل وكان آخر فتحه مما يلي دمشق (قُصم) وقاتل فيها بني مشجعة ثم انحدر إلى المرج من ثنية العقاب فقاتل فيه بني غسان والذي أوهمنا أن الطريق الذي مر عليه خالد منذ دخل البادية الشامية إلى أن بلغ دمشق كان مأهولا بالعرب جعل الطبري آخر الفتح مما يلي دمشق وقبل وصوله إلى ثنية العقاب (قُصم) وأنه قاتل فيها بني مشجعة من قضاة على أن بعد ان كتبنا ذلك الفصل راجعنا ما كتبه ياقوت في معجمه عن (قصم) فاذا هو يقول انها موضع بالبادية قرب الشام فدلنا ذلك الاستنتاج بما يفيد ضعفه اذا صح قول ياقوت تفاديا من ارتكاب الخطأ في وضع الظن. موضع اليقين كما رأيت في الجزء الماضي الا أن هذا اذ اتقينا قولنا أن القلوة والاسفل كأن مأهولا بالعرب لا ينبغي قولنا أن ما يليه شرقا إلى شطوط الفرات كان من أماكن العرب بدليل أن ذلك القسم لم يزل من منازل العرب الرحل إلى الآن والبلاد التي فيه كضمير والقريتين وتدمر والسخنة كل سكانها من العرب بل وهناك بعض القرائن التاريخية التي تدل على أن ذلك القسم الذي كان مملكة مستقلة عاصمتها تدمر الشهيرة كان محكوما بالعرب ومن تلك القرائن انفراد مدينة تدمر في طرف البرية في وسط منازل العرب

ومنها أن أحد اشرف هذه المدينة المسمى أوديناثوس الذي قام وهاجم سابور ملك الفرس وأفتك منه بلاد ما بين النهرين (الجزيرة) التي كان أخذها من الرومان ثم أسس لنفسه ملكا وبسط سلطته على الجزيرة وسورية في أواسط القرن الثالث قبل المسيح قد اختلف المؤرخون في أصله هل هو عربي أم سرياني

فاذا رجحنا كونه عربياً بقرينة موقع وطنه الجغرافي وهو تدمر ثبت معنا
 هذه المدينة وما حولها من البلاد كانت عربية ولم تنزل كذلك
 وكذلك لا ينفي قولنا ان القسم الواقع شرقي دمشق وهو مرج راهط كان
 مأهولاً ببني غسان لان النص صريح على ان خالداً واقعهم فيه يوم عيدهم . وكذلك
 لا ينفي قولنا ان القسم الذي يلي دمشق من جهة الجنوب الى حوران حتى العقبة
 والحجاز كان مأهولاً بالعرب فانه معلوم بالبداهة وكان اشهر مدنه بصرى
 واشمشكين واطلعنا في تاريخ الطبري وفي فتوح البلدان على نص يفيد ان شمالي
 سورية أيضاً كانت بعض مدنها أهولة بالعرب فقد جاء فيهما ان ابا عبيدة لما افتتح
 قنسرين صالحه أهل حاضر قنسرين وكانوا من تنوخ ومصر واهذا الحاضر لما
 تنخو افدعاهم الى الاسلام فأسلم بعضهم واقام على نصرانيته بنو سليح من قضاة ثم
 اسلموا في خلافة المهدي العباسي وكذلك حاضر حلب وهو غير حاضر قنسرين
 كان من مدن العرب ولا يبعد أيضاً ان يكون العرب هم الذين مصر واغزق في
 الجنوب الغربي من سورية فسميت غزة هاشم نسبة الى هاشم الثريد كما يقولون
 وحق لقوم يشعلون بالسكنى قسماً عظيماً من سورية ويتوطنون في أحشاء
 البلاد مع ما اشتهر عن العرب من حب الاستقلال والحرية ان يكون لهم من
 النفوذ والسلطان في البلاد أكثر مما لغيرهم من العناصر الأخرى التي كانت تقطن
 هذه الولاية العظيمة كالسريان والأرمن والروم واليهود وبقية الأخطا الذين
 هم ليسوا الامن الجالية حاشا العرب والسريان والبلاد وان كانت يومئذ تابعة
 لدولة الروم لانه لا يعقل ان يكون الجنس الروماني أكثر الاجناس القاطنين في
 سورية ولا أقواها أيضاً وإن كانت بيده حكومة البلاد
 اذا تقرر هذا فلا بدع ان يكون على الملوك من بني غسان حراسة البلاد

وأن يكون لهم فيها نفوذ أمر وسلطان لا سيما وأنهم رجال حرب كما أنهم أهل ثروة
وغنى لأن البلاد التي هم فيها كحوران والكرك ومعان وتدمر كلها بلاد زرع
وضرع وهي من أخصب البلاد السورية ولم تنزل كذلك إلى هذا العهد وإذا
أضفنا إلى هذا وهن الساطة الرومانية يومئذ وضعف سلطانها في البلاد لا تكون
مبالغين فيما قلنا عن استغلاظ شأن العرب في سورية وإن كان ذلك من قبيل
الاستنتاج

وأما قولنا إن دمشق كانت قبيل الفتح الإسلامي تحت الحارث^(١) الغساني
فإننا وإن لم نقف في شأنه على نص صريح سوى قول الدكتور فاندريك سياتي بيانه
إلا أن هناك من الاخبار التاريخية ما يستنتج منه أن عاصمة بني غسان قبيل الفتح
كانت دمشق الشام ومن تلك الاخبار ما ذكره الطبري في تاريخه عن مجي خالد
ابن الوليد من العراق إلى الشام حيث قال مانصه

ثم نزل (يعني خالداً) الكشْب حتى صار إلى دمشق ثم مرج راهط فلق
عليه غسان وعليهم الحارث بن الایهم (يريد به جبلة) الخ الخبر
وجاء في السير أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل شجاع بن وهب بكتاب إلى
الحارث بن أبي شمر الغساني يدعو إلى الإسلام فأثاد وهو بغوطة دمشق هيئ
النزل لقيصر وقد كان قاصداً إلياء فشغل عنه الحارث ثم دعاه يوماً وقرأ الكتاب
الذي معه وغضب وقال من يتزعمني ملكي الخ

ولما وفد حسان بن ثابت الأنصاري قبل إسلامه على آل جفنة وهم ملوك

(١) اسم الحارث يطلق على كل ملك من ملوك غسان كما يطلق اسم قيصر على
ملوك الروم وكسرى على ملوك الفرس وملك غسان الذي كان على عهد الفتح هو
جبلة بن الایهم

غسان امدحهم بأبيات قال فيها

لله در عصابة نادمهم
يوماً بجاق في الزمان الأول

ومنها

أولاد جفنة حول قبر أبيهم
قبر بن مارية المعيم الدخول

يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصنق بالرحيق السلسل

والبريص الذي جاء في الايات هو قصر لآل جفنة على نهر بردى الذي هو نهر دمشق وجلق من أسماء دمشق وقد تقدم معنا في خبر فتح دمشق ما قاله البلاذري في تاريخه من أن خالداً وأبا عبيدة النقياني دخولا إلى دمشق بالفسلطة وأنه هو البريص

ولا يخفى على الناقدان التصاق ملوك غسان بدمشق كما يرى من هذه الروايات يحمل المؤرخ المحقق على الحكم بانهم كانوا قبيل الفتح أصحاب السيادة على دمشق والذي يترجح عندنا أن الفرس لما دواخو الولايات الرومانية سنة (٦١٤ م) أقروا ملوك غسان على ما كان لهم وأقاموهم ملوكا على الشام ولما استعاد هراقل من الفرس البلاد لم يشأ أن ينزع من ملوك غسان الولاية لضعفه في حرب الفرس وخوفه من شغب القوم فاستمرت يدهم ولاية دمشق لحين الفتح الاسلامي بل هناك دليل آخر على أن ساطة بني غسان يومئذ تجاوزت ولاية دمشق وربما شملت سورية كلها فقد ذكر المؤرخون أن جبلة بن الايهم بن جبلة وهو آخر ملوك غسان ابني بين اللاذقية وطرابلس مدينة سماها باباسه وهي جبلة التي لم تنزل عامرة الى هذا العهد فاذا كان ملوك جفنة من بني غسان قبيل الفتح انما كانوا أمراء على عرب البادية وحوران وآلة يدي قيصر الروم يصدبهم غارات عرب العراق (كما قال صديقنا جرجي أفندي زيدان) فمألاقة جبلة

بسواحل الشام وما الداعي له لتمصير الامصار في أرض ليس له ولا لقومه سلطة فيها
ولا سلطان

لا جرم أن سلطة العرب كانت يوشد مبسوطة على الشام وكانت عاصمة
ملوكهم دمشق ولو لا ذلك لما تنسى لجلبة أن يبتنى تلك المدينة ويسمى باسمه ويؤيد
ذلك ما قاله الدكتور فاندريك في المرأة الوضية عند كلامه على دمشق وهو بنصه
وكانت (يعني دمشق) قبل الاسلام تحت آل جفنة ملوك غسان الذين
يقول فيهم حسان بن ثابت وذكر البيتين الثاني والثالث من الايات التي سبق
ايرادها

وايت شعري لماذا استعظم صديقنا على العرب أن يكونوا ملوك الشام قبيل
الفتح الاسلامي وهو يعلم أنهم أبناء مجدتها والسابقون الى حومتها وانهم تسلطوا
على هذه البلاد مراراً قبل الميلاد وبعده كما ذكر ذلك صديقنا في مجلته من عهد
قريب نقلنا عن بوسيفوس المؤرخ القديم ولا مرأى أن الحارث أحد ملوك
العرب على عهد طيباريوس قيصر المتوفي سنة ٣٧ للميلاد استولى على دمشق بعد
حرب شديدة وقعت بينه وبين صهره هيرودس على أثر طلاق هيرودس لبنت
الحارث ومما يؤيد سلطة الحارث على دمشق يومئذ قول بولس في رسالته الثانية
الى الكورنثيين وهو بنصه

(وفي دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينة دمشقيين يريد ان
يمسكني) وقد سبق ان قلنا ان اسم الحارث كان يطلق على ملوك العرب بالشام
وعدا هذا فان اذار جحنا قول القائلين بان اصل اوديناثوس التدمري الذي سبق
ذكرة عربي لاسرياني (والجنسين من اصل واحد) فلا يستبعد ان يكون للعرب
من السلطة في الشام قبيل الفتح الاسلامي ما كان لهم على عهد طيباريوس قيصر

وعلى عهد اوديناثوس الذي تملك الجزيرة والشام ثم امتد ملك زوجته الملكة
زنوبيا الشهيرة الى مصر وازعجت سطوتها ملوك ذلك العصر

هذا ما انتهى اليه علمنا في تحقيق هل كانت دمشق عربية أم لا هذا على
غموض تاريخ هذه الامة العربية وما دام العلماء مجدون في البحث عن آثار الأمم
القديمة فستكشف الايام من تاريخ عرب الشام ما كشفته من عهد قريب من
تاريخ عرب اليمن (حمير) مما يدل على بلوغ هذه الامة منتهى درجات المدينة في
العصور الغابرة والله اعلم

﴿ وقعة فحل ﴾

رأى المسلمون بعد فتح دمشق أن يناجزوا هراقل الا أنهم خافوا ممن
وراءهم من جيوش الروم في بيسان وكانوا ثمانين الفا على قول بعض الرواة كما ذكر
ذلك الطبري فاختروا مناخزة هؤلاء أولاً فاستخلف أبو عبيدة على دمشق
يزيد بن أبي سفيان وسار بجيش المسلمين قاصداً بيسان وعلى الناس شر حبيل بن
حسنة اذ كانت اليه ولاية الحرب في الأردن فبعث خالد بن الوليد على المقدمة وأبا
عبيدة وعمر أعلی مجنبتيه وعلى الحميل ضرار بن الازور وعلى الرّجل عياض ولما انتهوا
الى أبي الاعور (وقد كان بين الاردن وبين دمشق يمنع المدد عن أهل دمشق)
قدموه الى طبرية فحاصر هاوهم نزلوا بفحل وكان الروم بثقوا المياه بينهم وبين فحل
منعاً للمسلمين عن الوصول اليهم فكان عملهم هذا وبالاً عليهم لانهم أصبحوا
بعد خروجهم للحرب كالحصورين وكان به هلاكهم كما كان ذلك يوم اليرموك
اذ تركوا النهر وراءهم وعسكروا على الضفة التي نزل جنود المسلمين فاصبحوا بين
خطرين حتى اذا تمت عليهم الهزيمة لم يروا طريقاً للفرار فأخذتهم سيوف
المسلمين وهذا يدل على ضعف معارف قوادهم يومئذ بفنون الحرب وتمكن

الهلوع والاضطراب من نفوسهم تمكننا أضاع منهم الحيلة وأفقدتهم حسن التدبير
لما رأى المسلمون تلك المياه والوحد نزلوا بفحل ولم يسعهم التقدم الى حيث
يقيم العدو ببيسان فكتبوا الى أمير المؤمنين بذلك وأقاموا ينتظرون الجواب وهم
في رغد من ريف الاردن والروم في ضنك وقد ظنوا في المسلمين الغفلة عنهم
فخرجوا عليهم بقيادة قائد اسمه سقلار أو سقلار ورجوا أن يأخذوهم على غرة
والمسلمون حذرون وكان قائدهم شرحبيل لشدة يقظته وحزمه لا يبيت ولا يصبح
الا على تعبئة واستعداد للحرب فلما هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقتتلوا أشد
قتال كان ليلتهم ويومهم الى الليل فاضلم الليل عليهم وقد حاروا فانهزموا وهم حيارى
وقد أصيب قائدهم سقلار والذي يليه (أي القائد الثاني) واسمه نسطوس وركبوه
فلم يعرف الروم مأخذهم فانتهوا في الهزيمة الى الوحد فأدركتهم أوائل خيل
المسلمين فأخذوهم وما يمنعون يدلا مس

كان المسلمون يسمون هذه الواقعة ذات الرداغ لما لاقوا فيها من الوحد
الذي كانوا له كارهين فكان عوننا لهم على العدو ولما انتهت الحرب بفحل انصرف
أبو عبيدة ومعه خالد بن الوليد الى حمص ومضى بنى الكلاع الحميرى الذى كان
مرابطا بين جنود المسلمين وحمص ليمنع المدد عن العدو

أوهن المسلمون بفحل قوى العدو وأوقعوا الرعب في قلوب الروم
فتأهب كل أمير لتقصد الجهة التى ولي حربها فإفسار أبو عبيدة الى حمص وسار
شرحبيل الى بيسان وطبرية وتجهز يزيد بن أبى سفيان لاخر ورج الى سواحل الشام

بيسان وطبرية

سار شرحبيل الى بيسان ومعه عمرو بن العاص والحارث بن هشام وسهيل
ابن عمرو وكلاهما من انجاد قريش وساداتها فلما بلغ أهل بيسان ما أصاب جند الروم

بفحل تحصنوا من المسلمين بكل مكان فحصرهم المسلمون أياماً ثم خرج بعضهم
لقتال المسلمين فأناموهم وصالحهم من بقي على صلح دمشق وبلغ أهل طبرية الخبر
فصالحوا أبا الأعور علي إن يبلغهم شر حبييل ففعل فصالحوا شر حبييل على صلح
دمشق أيضاً ونزل القواد بجندهم في مدائن الأردن وقرأها وكان ذلك سنة
أربع عشرة للهجرة

✽ مروج الروم ✽

لما علم هرقل بما أصاب جنده في دمشق والأردن وبلغه مسير أبي عبيدة إلى حمص
رأى أن يرسل جيشاً إلى دمشق إما ليشتغل عن حمص جيش المسلمين وإما ليغتم
فرصة تفرق الجيوش الإسلامية عن دمشق فتسترد لها جنوده من يزيد بن أبي
سفيان فارسل ذلك الجيش بقيادة توذر (أمله تيودور) فنزل بالجيش في مروج الروم
غربى دمشق وبلغ ذلك أبا عبيدة فجاء ونزل بأزاء شنس وخالد بأزاء توذر فنازلهم
لما نزلوا شنس وسارت توذرى طلب دمشق فسار خالد وراءه في جريدة وبلغ يزيد بن
أبي سفان إقبال توذرى عليه فاستقبله بالجند فاقتنلوا ولاحق بهم خالد وهم يقتنلون
فأخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم إلا الشريد وقتل خالد توذراً وقال
نحن قتلنا توذراً وشوذراً وقبلة ما قد قتلنا حيدرا

نحن أزرنا العيضة الأء كيدرا

وأما أبو عبيدة فقد ناهد بعد خروج خالد شنس فاقتنلوا بمرج الروم وأصابهم
ما أصاب توذر وقتل أبو عبيدة شنس وانهمزم فلبهم إلى حمص وتبعهم بعض
المسلمين فلما انتهى الخبر إلى هرقل أمر عامل حمص بالمسير إليها وسار هو إلى الرها
(أورفا) وفي رواية إلى انطاكية وقال للعامل بلغني أن طعامهم (يعنى المسلمين)
لحوم الإبل وشربهم ألبانها وهذا الشتاء قد أقبل فلا تقتاتلوهم إلا في كل يوم

بارد فانه لا يبق الى الصيف منهم أحد

واذا صح صدور هذا الكلام عن هرقل فانه من الغرابة بمكان لان رجلا
مثله عجم عود القوم وجرب حربهم وعرف ثباتهم منذ سنتين لكبير عليه أن يعلق
آماله على مجرى الطبيعة ويفود بمثل هذا الهز من القول الا اذا أراد به تخفيف
الملح عن فلوب الجنود المدافعة وتهوين الخطب على قواده ريثما يتم عليهم أمر
القضاء الذي علمه هرقل من خلال الحوادث الماضية وانما يدافع ذلك القضاء
بآخر ما عنده من وسائل القوة والتجريض كي لاتهن نفوس الجنود ولا يستولى
اليأس على ضمائر الشعب

﴿ نذكر بعلبك وحمص ﴾

(سواحل دمشق)

علمنا مما سبق أن يزيد بن أبي سفيان كان يجهز بعد فتح دمشق للمسير الى
سواحل دمشق وأن أباعبيدة قصد حمص ولما جاء توذر الى مرج الروم تربص
يزيد وعاد اليه أبو عبيدة ولما انتهى أمر توذر لما انتهى اليه قصد يزيد سواحل
دمشق وذلك سنة (١٤) وعلى مقدمته أخوه معاوية بن أبي سفيان فابتدأ بصيدا
ففتحها ثم فتح عرقه وجبيل وبيروت وجلا كثيرا من أهلها ممن رغبوا الجلاء
وتولى فتح عرقه معاوية بنفسه ثم ان الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر
خلافة عمر وأول خلافة عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ورمها وشحنها بالمقاتلة
واقطعهم القطائع وانما تجرأ الروم على غزو السواحل لان المسلمين لم يكن لهم
يومئذ أسطول يمنع غارة الروم على السواحل اذ لم يكن من رأى أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب (رض) ركوب المسلمين للبحر وغزوهم فيه

وأما أبو عبيدة فقد قصد حمص عن طريق بعلبك وقدم اليها السمط بن

الاسود الكندي وقدّم خالداً الى البقاع فافتتح خالد بلاد البقاع ونزل أهل
 بعلبك الى أبي عبيدة فصالحوه على أن يكون لهم الامان على أنفسهم وأموالهم
 وكنائسهم وكتب لهم بذلك كتاباً استأني صورته ثم توجه الى حمص فمن قائل إنه
 وجد السمط قد صالحهم فأجاز صلحه ومن قائل إنه قاتلهم قتالاً شديداً وكانوا
 ينادون المسلمين القتال ويرأونهم في كل يوم بارد ووقتي المسلمون برداً شديداً
 وطال على الروم الحصار وكان بعض مشايخهم دعاهم الى مصالحة المسلمين فأبوا ولما
 اشتد عليهم الامر طلبوا من أبي عبيدة الصلح فصالحهم على صاح دمشق وأنزلها
 السمط بن الاسود الكندي في بني معاينة والاشعث بن مينا في السكون
 والمقداد في بلي وأنزلها غيرهم

وفي فتوح البلدان ان السمط قسم حمص خططاً بين المسلمين وأسكنهم
 كل مرفوض جلاً أهله أو ساحة متروكة

أما أبو عبيدة فقد بعث بالانخاس وخبر الفتح الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
 مع عبد الله بن مسعود فكتب اليه عمر . . ان أقم في مدينتك وادع أهل القوة
 والجلد من عرب الشام فاني غير تارك البعث اليك بمن يكافئك ان شاء الله

﴿ تحقيق خبر أجنادين واليرموك ﴾

(واختلاف المؤرخين فيها)

اختلف المؤرخون في وقعة أجنادين واليرموك لافن قائل ان الأولى كانت
 قبل فتح دمشق والثانية بعد فتح حمص ومن قائل بالعكس ولقد يبحر المؤرخ
 الناقد في التفريق بين هاتين الواقعتين وتعيين الزمن الذي وقعتا فيه ويكاد يشبهه
 عليه أمرهما في تخيل له ان الواقعتين واحدة أو ان الواقعتين كانتا في اليرموك
 واحدة في خلافة أبي بكر والأخرى في خلافة عمر رضي الله عنهما وذلك لما فيها

من التشابه في الاسباب والحوادث وقد كنت أظن أن هذا الاضطراب في خبر
الواقعتين قاصر على كتبنا وأن الغربيين ربما لم يتعمقوا في هذا الاضطراب لمعاسم
نقلوه من أخبار الفتح عن مؤرخي الروم الذين كتبوها عن مشاهدة لا من
طريق الرواية فاذا بالقوم وقعوا فيما وقع فيه مؤرخو العرب فقد رجعت ما كتبه
بهذا الصدد المؤرخ الانكليزي اذورد جيون^(١) في (تاريخ السلطنة الرومانية)
والمؤرخ الفرنسي نويل ديفرجي في كتابه بلاد العرب^(٢) فلم أعتز على ما يشفي
الغليل ويريح ستار اللبس فان الأول جعل وقعة أجنادين سنة (٦٣٣ م) الموافقة
سنة (١١٢ هـ) أي قبل فتح دمشق مع أن الأدلة التاريخية تؤيد حصول وقعة
اليرموك قبل دمشق لأجنادين وأما الثاني فقد قال إن مارآه في تاريخ أبي الفداء
في شأن اليرموك يعرفه اللبس والأشكال وأن هذا يوجب الارتياب في كلام
الشرقيين أكثر من الارتياب في كلام الغربيين إلى أن قال وهذا المهم من كلامهم
يدعو إلى الظن أنه حدث واقعتان في هذا المحل (أي في اليرموك) الأولى قبل
فتح دمشق والثانية بعد الاستيلاء على حمص

ولقد نكاد نجاريه في هذا الظن وأن هناك التباساً في الاسم وأن الاسمين
ربما يطلقان على مكان واحد لولم نر أن ياقوت فرق في معجمه بين المكانين فقال
ان اليرموك واد في طرف الغوريصب في الاردن وأن أجنادين موضع بالشام
من نواحي فلسطين من الرملة من كورة بيت جبرين كما أن الطبري أيضاً قال
عن أجنادين انه بلد من أرض فلسطين من عمل بيت جبرين
وبما ان حصول الواقعتين الواحدة قبل فتح دمشق والثانية بعدها أمر

(1) Gibbon's Roman Emqire

(2) Arabie par M. Noel. Desvergers

محقق عند المؤرخين لا خلاف فيه وان اختلفوا في تعيين زمن كل منهما فجعل بعضهم الأولى بمكان الثانية وهذه بمكان تلك وبالعكس فالذي يريد الوصول اليه الآن هو تحقيق أيهما كانت قبل فتح دمشق وأيها كانت بعدها فالذي اعتمده البلاذري في فتوح البلدان ان أجنادين هي الأولى واليرموك هي الثانية وجاراه على هذا الرأي ابن واضح الكاتب العباسي الشهير باليعقوبي في تاريخه المعروف بتاريخ اليعقوبي^(١) وجعل اليرموك بعد حمص وأما الطبري فإنه أورد خبر اليرموك كما أوردناه في الجزء الأول أي قبل دمشق وأورد خبر أجنادين مرة قبل فتح دمشق ومرة بعدها الواحدة من رواية سيف والثانية من رواية ابن اسحق على عادته في نقل الروايات على اختلافها وترك الحكم فيها للمطالع وتكاد هذه الرواية تكون أقرب للحق لولم يتوهم الرواة أن أجنادين الأولى هي التي اجتمع عليها الامراء ووافهم اليها خالد بن الوليد وهذه هي التواريخ التي بين أيدينا من كتب المتقدمين الذين نقلوا الاخبار بالرواية والالتأخرين فاذا كان اعتمادهم في سرد الوقائع على مادونه أو تلك اضطررنا أيضا في تعيين زمان الواقعتين ومكانهما وليس منهم إلا من أورد الخبر على علاته دون تخصيص ولا تحقيق وبما أن بعضهم قال ان أبا عبيدة رجع من حمص الى اليرموك بزعم انها بعد فتح حمص مع أن المرجح أن اليرموك هي الوقعة التي حضرها خالد بن الوليد لما جاء لنجدة المسلمين في سنة ١٣ وفتح حمص كان في سنة (١٤) أو التي بعدها فقد حملني ذلك على اعتقاد خطأهم في تأخير تاريخ وقعة اليرموك مع الظن باحتمال وصول أبي عبيدة الى حمص قبل مجي خالد من العراق فبسطت في الجزء الأول هذا الاحتمال خطأ إذا الحقيقة التي ظهرت لي في هذا بعد التدقيق في التاريخ أن رجوع أبي عبيدة من حمص إنما

(١) هذا التاريخ جزءان طبعا في ليدن ويوجد منه نسخة في المكتبة الخديوية

كان بعد فتحها ويومئذ اجتمع على الامراء في اجنادين واجتماعهم هذا هو غير اجتماعهم على اليرموك وانما تضارب الروايات في هذه الوقائع يدعو الى غموض الحقيقة وتشويش الذهن والذي صح عندي من تحقيق هذه الروايات الآن والتدقيق فيها ان هناك ثلاث وقائع متشابهات اضطرب في ترتيبها المؤرخون لتشابه البواعث والاسم وهي اجنادين الاولى وحدثت في اواخر سنة ١٢ أو أوائل سنة ١٣ واليرموك وكانت في جمادى سنة ١٣ واجنادين الثانية وكانت سنة (١٤) أو (١٥)

وقد ساق ابن جرير الطبري في تاريخه خبر هذه الوقائع الثلاث الا انه اورد خبر اليرموك واجنادين الأولى من عدة روايات كلها يخالف بعضها بعضاً ويدل على اضطرابهم في تحقيق مهل كانت اليرموك قبل اجنادين أو بالعكس أو كانتا وقعة واحدة ويؤخذ من مجمل هذه الروايات حصول وقعة في اجنادين لم يحضرها خالد بن الوليد وانما هي اما ان تكون لخالد بن سعيد لما بعثه أبو بكر لاطراف الشام وواقع هناك الروم وعليهم باهان أو ما هان على رواية مؤرخي العرب ووردان على رواية ادورد جيون الانكليزي واما ان تكون مع الامراء في أول دخولهم الشام لما بعثهم أبو بكر في اثر خالد بن سعيد ثم لما واقعوا باهان وأوقعوا به تفرقوا في أنحاء الشام فسرب لهم هرقل الجنود فعادوا الى اليرموك واستنجدوا بأبا بكر فأنجدهم بخالد بن الوليد فوافقهم وهم على اليرموك ثم لما تمت الهزيمة على الروم في اليرموك وسار الامراء الى دمشق ففتحوها ثم فحل فكان القتح ثم سار أبو عبيدة الى حمص وفتحها أرسل هرقل جنوداً جديدة الى سورية اجتمعت في فلسطين فعاد أبو عبيدة والامراء الى حيث يخيم جند الروم في اجنادين فكانت وقعة اجنادين الثانية والظاهر ان بعض المؤرخين ومنهم البلاذري واليمقوبي ظنوا أن وقعة

أجنادين واحدة فاعتبروا الاولى وجعلوا مكان الثانية اليرموك مع أن المرجح أن اليرموك هو المكان الذي اجتمع عليه الامراء ووافاهم فيه خالد بن الوليد من العراق بدليل ما قاله ياقوت في معجم البلدان وهو بنصه

اليرموك وادبناحية الشام في طرف الغوري صب في نهر الاردن ثم يمضي الى البحيرة المنتنة كانت به حرب بين المسلمين والروم في أيام أبي بكر الصديق رضى الله عنه وقدم خالد الشام مدداً لهم فوجدهم يقاثلون الروم متساندين : وساق مجمل الخبر كما ذكرناه في الجزء الاول ثم قال : وقال القعقاع بن عمرو يذكر مسيرة خالد من العراق الى الشام في أبيات

بدأنا بجمع الصفرين فلم ندع لغسان أنفاً فوق تلك المناخر

صبيحة صاح الحارثان ومن به سوى نفر نجتدهم بالبواتر

وجئنا الى بصرى وبصرى مقيمة فألقت الينا بالحشا والمعاذر

فضضنا بها أبوأبها ثم قابلت بنا العيس في اليرموك جمع العشار

والشاهد من كلام ياقوت هو هذه الايات التي تدل دلالة صريحة على أن

خالداً لما جاء الى الشام واقع غسان ثم فتح بصرى وانتهى الى جيوش المسلمين وهم في اليرموك

وأما أجنادين الاولى فان الذي يرجح انها كانت في أواخر سنة ١٢ أو

أوائل سنة (١٣) هو ما رواه بعض المؤرخين من أن أبابكر بشر بانتصار المسلمين

على الروم في أجنادين وهو بأخر روم مع أن انتصار المسلمين في اليرموك كان في

جمادى الثاني بعد وفاة أبي بكر وانما جاء المسلمين وفاته وهم على اليرموك

فهذا ما وصل اليه الفكر وانتهى اليه البحث في تحقيق وقعة اليرموك

وأجنادين التي قبلها وأما أجنادين الثانية وهي التي كانت عقب فتح حمص واضطر

أبو عبيدة أن يرحل من أجلها عن حمص وحذا حذوه باقي الأمراء لمصادمة
الجيوش العظيمة التي أرسلها إليهم هرقل واجتمعت في فلسطين ثم في أجنادين
فقد ذكر خبرها الطبري سنة (١٥) كما ذكره البلاذري واليعقوبي إلا أن
هذين زعم أنها وقعة اليرموك

على أن القرائن التي تحف بهذه الوقعة التي حدثت سنة ١٥ تؤيد أنها كانت
في أجنادين وذلك أن أجنادين من عمل فلسطين واليرموك من عمل الأردن
وعمالة الأردن كانت سقطت يومئذ في أيدي الجيوش الإسلامية وهم فيها
مرابطون وفلسطين لم تكن كذلك بل كانت على وشك السقوط وبسقوطها
يسقط بيت المقدس ومتى سقط بيت المقدس تقطعت بالروم الأسباب وقضى
على سلطان دولتهم في سورية بالانقلاب لهذا فلا يعقل أن هرقل يسرب جيوشه
إلى الأردن ويترك فلسطين معرضة لهجوم عمرو بن العاص الذي كان يقصدها
من الأردن ومعاوية بن أبي سفيان الذي عزم أن يأتيها من سواحل دمشق بل
المعقول أن هرقل لما جلا عن حمص وأقام في انطاكية أو الرها ووصلته الأخبار
بتغلب المسلمين على جيوشه في كل مكان ورأى أن أبا عبيدة قد بلغ حمص من جهة
الشمال وقطع طريق المواصلات والامداد ما بينه وبين الجنود الرومية من جهة
البر أرسل جيوشاً عظيمة من جهة البحر لتكون مدداً لأهل قيسارية وغزة
وإلياء (بيت المقدس) ولعل تلك الجنود أنزلت من يافا وعسكرت
بأجنادين لقرها منها إذ المسافة لا تزيد عن ثلاث ساعات بين يافا والرملة
وأجنادين من عملها كما قال ياقوت واليك ما رواه الطبري وغيره في شأن قيساريه
وغزة وأجنادين

﴿ فلسطين وأجنادها ﴾

لما انصرف أبو عبيدة من نخل الى حمص ونزل عمرو بن العاص وشر حميل
 ابن حسنة على بيسان وافتتحها وصالحهم أهل الأردن قصد عمرو فلسطين
 وكتب الى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بتفرقهم فكتب الى يزيد بن أبي سفيان
 بأن يذفيء ظهورهم بالرجال وان يسرح معاوية الى قيسارية^(١) وكتب الى عمرو
 بصدم الارطبون وكان في اجنادين والى علقمة بن مجز بصدم الفيقار وكان في
 غزة وكان مما كتبه الى معاوية (اما بعد اني قد وليتك قيسارية فسر اليها واستنصر
 الله عليهم واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله الله ربنا وثقنا ورجاؤنا
 ومولانا نعم المولى ونعم النصير)

فسار كل أمير لما أمر به وسار معاوية الى قيسارية وكان فيها من المقاتلة مائة
 الف أويزيدون على ما يؤخذ من كلام الطبري فافتتحها وكتب الى عمر بالفتح
 وبعث بالخبر مع رجلين من بني الضيبي ثم خاف منهما الضعف فبعث عبد الله بن
 علقمة القراسي وزهير بن الحلاب الخشمي وأمرهما أن يتبماهما وليسبعاهما
 فلحقاها فطوياها وهما نائمان وابن علقمة يتمثل

أرق عيني أخو جذام كيف أنام وهما أمامي

اذ يرحلان والهجير طامي أخو خشيم وأخو حرامي

وأما علقمة بن مجز رخصر الفيقار بغزة وجعل يرأسه فلم يشفه مما يريد أحد
 فأناه كأنه رسول علقمة فامر الفيقار جلالاً أن يقعد له بالطريق فاذا مر قتله فقطن

(١) هذا الاسم معرب قيصرية وهما نبتان واحدة تسمى قيصرية فلسطين وهي
 خراب الآن وخربت على عهد الصليبيين والاخرى قيصرية فيلبس وهي بانياس
 على ما قاله فانديك

علقمة فقال ان معي نفراً شركائي في الرأي فأطلق فأتيتك بهم فبعثت الفيقار الى ذلك
 الرجل لا تعرض له فخرج من عنده ولم يعد وفعل كما فعل عمرو بن العاص
 بالارطوبون لما احتال عليه بنفس هذه الحيلة ونجا من القتل
 وأما يريد معاوية الذي أرسله الى المدينة فوصل الى عمر رضي الله عنه فجمع
 الناس ايلاً وقال لتحمدا والله على فتح قيسارية وأباتهم على الفرح
 وأما عمرو بن العاص فقد سار بجيشه نحو الأرتوبون وكان من كبار القواد
 ودهاتهم وهو يعادل عند الروم بالدهاء عمر بن العاص عند العرب فتقدم نحوه
 عمرو وهو مخيم باجنادين بجند كشيء وعلى مقدمة عمر وشريحيل وعلى مجنبيه
 عبد الله بن عمرو وجنادة بن تميم المالكي مالك بن كنانة وقد كان الأرتوبون وضع
 بالرملة جنداً عظيماً وباليلياء جنداً عظيماً فكتب عمرو الى أمير المؤمنين بالخبر فقال
 قدر مينا أرتوبون الروم بأرتوبون العرب فانظر واعم تنفرج: وكان عمر رضي الله
 عنه من لدن توجه امرء الشام يمد كل أمير جنديرويه بالامداد حتى اذا أتاه
 كتاب عمرو وبترقيق الروم كتب الى يزيد بن أبي سفيان بان يبعث معاوية في خيله
 الى قيسارية وكتب الى معاوية كتاباً بأمرته على قتال أهل قيسارية وقد مر ذكره
 وذلك ليشغلهم عن عمرو وكان عمرو قد استعمل علقمة بن حكيم الفراسي
 ومسروق ابن فلان البسكي على قتال أهل ايلياء وبعث أبا أيوب المالكي الى الرملة
 وعليها التذارق ولما تابعت الامداد على عمر وبعث محمد بن عمرو مدداً لعلقمة
 ومسروق وبعث عمارة بن أمية الضمري مدداً لابي أيوب وأقام عمرو على
 اجنادين لا يقدر من الأرتوبون على سقطة ولا تشفيه الرسل فولىه بنفسه فدخل
 عليه كأنه رسول فابلغه ما يريد وسمع كلامه ونأمل حصونه حتى عرف ما أراد
 فحدثت أرتوبون نفسه بانه عمرو بن العاص فوضع له في الطريق من يقتله وفضن له

عمر و فاحتال للتخلص منه بمثل الحيلة التي احتال بها عاقمة على الفيقار ونجا عمرو
وعلم الأرتطون بحيلته فقال: خدعني الرجل هذا أدهى الخلق: وبلغت عمر بن
الخطاب فقال: غلبه عمرو والله عمرو:

لما عرف عمرو وأخذ الأرتطون ووقف بنفسه من حالة الروم على ما يريد
أن يقف عليه زحف عليهم بجنده واقتتلوا قتالا شديداً كقتال اليرموك فانهزم
أرتطون في الناس وأوى الى إيلياء ولما وصاها أفرج له المسلمون الذين على
حصارها فدخلها ثم أزالهم الى اجنادين

فهذه وقعة اجنادين التي اضطرب فيها المؤرخون وجعلها بعضهم على
البرموك سنة (١٥) مع ان اليرموك كانت سنة (١٣) كما تقدم الدليل على ذلك في
آيات القعقاع بن عمرو التي يذكر فيها التقاءهم مع خالد بن الوليد بجيش المسلمين
وهم على اليرموك على ان وقعة اجنادين هذه لم يذكر الطبري في سياقها
اسم أبي عبيدة وخالد وانها حضرها بعسكرهما من حمص الا انه لماساق خبر فتح
بيت المقدس بعد اجنادين ذكر في جملة رواياته عن فتح بيت المقدس ان الذي
كان على حصارها هو ابو عبيدة فاذا ضيفت هذه الرواية الى ما ذكره البلاذري في
فتوح البلدان واليعقوبي في تاريخه من رجوع هذين القائدين بجيش المسلمين من
حمص لانهما بقية الامراء في اليرموك سنة (١٥) مع ما علمناه مما سبق ان وقعة
اليرموك كانت سنة (١٣) لا سنة (١٥) وان المؤرخين ربما وهموا التشابه الوقائع
وقرب المكانين احدهما من الآخر بان وقعة اجنادين كانت على اليرموك صح
أن ابا عبيدة وخالد احضرا وقعة اجنادين هذه هذا اذا لم يكن هناك وقعة ثانية في
اليرموك كما كانت وقعتان في اجنادين الا ان القول بحدوث وقعتين في اليرموك
لم يبق عليه دليل واضح في التاريخ وأما القول برحيل أبي عبيدة بجيشه عن حمص

سنة (١٥) أي بعد فتحها وشخوصه الى جنوب الشام لأمداد المسلمين فقد اتفق عليه البلاذري واليعقوبي وما ذكره اليعقوبي بهذا الصدد قوله عن أبي عبيدة بعد أن فتح حمص

ثم أتاه خبر ما جمع طاغية الروم من الجموع في جميع البلدان وبعثه اليهم من لا قبل لهم به فرجع الى دمشق وكتب الى عمر بن الخطاب : وكتب اليهم عمر انه قد كره رجوعهم من أرض حمص الى دمشق : وجمع أبو عبيدة المسلمين وعسكر في اليرموك الى أن قال وكانت وقعة جليلة الخطب قتل فيها من الروم مقتلة عظيمة وفتح الله على المسلمين وكان ذلك سنة (١٥) وأوفد أبو عبيدة الى عمر وفدا فيهم حذيفة بن اليمان وقد كان عمر أرق عدة ليال واشتد تطلعه الى الخبر فلما ورد عليه الخبر خر لله ساجدا وقال : الحمد لله الذي فتح على أبي عبيدة فوالله لو لم يفتح لقال قائل خالد بن الوليد اه

وأما ما نقله البلاذري فقد تقدم ذكره في الجزء الأول ومؤداه أن المسلمين لما بلغهم اقبال الجنود الكثرة لوقعة اليرموك ردوا ما كانوا أخذوه من أهل حمص وقالوا لهم قد شغلنا عن نصر تكم والدفع عنكم فاتم على أمركم فاقسم النصارى واليهود انهم لا يدعوا عامل هرقل يدخل الى المدينة وأغلقوا أبوابها وحرسوها الخ

هذاما أورده المؤرخون بشأن اليرموك وأجنادين بسطناه هنا مع ما في كثرة هذه الاقوال من التشويش والاختلاف ليكون القارىء على بينة من الحقيقة والله بها عليم



﴿ فتح بيت المقدس ﴾

لما انتهى عمرو من أجنادين ترك أهل إيلياء (بيت المقدس) محصورين وأخذ يتم فتح مدن فلسطين وقرها ففتح غزة ولُدُونَابلس وبيت جبرين ومرج عيون وبافاوقيل إن يافا فتحها معاوية فلما أتم هذا الفتح قصد بيت المقدس وأخذ يخبر الأربطون مخبرة حبيبة ويطلب إليه تسليم المدينة والأربطون ممتنع عليه وكتب لعمر وكتابت يقول فيه : انك لست بصاحب فتح إيلياء بل صاحبه عمر : فكتب عمرو إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) يستمهده ويقول : إني أعالج حرباً كؤوداً صدموا (كناية عن شدتها) وبلاداً أذخرت لك فرايك : ولما انتهى الكتاب إلى عمر نادى في الناس ثم خرج فيهم حتى نزل الجابية^(١)

وفي رواية للطبري أن أبا عبيدة هو الذي كان على حصار إيلياء وأن سبب قدوم عمر إلى الشام أن أهل بيت المقدس طلبوا من أبي عبيدة أن يصالحهم على صلح مدن الشام وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب فكتب إليه بذلك فسار عن المدينة وكتب للأمراء أن يوافقوا بالجابية ليوم سماه لهم وأن يستخلفوا على أعمالهم فلقوه حيث رفعت لهم الجابية فكان أول من لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول وعليهم الديباج والحريير فكبر على ذلك الخليفة العظيم الذي ولع بالتقشف وازدري بنعيم الحياة الفانية أن يرى آثار التعم بادية على قواده على قرب عهدهم بالخوشنة وتخلقهم بخلق العفة والجد والقناعة فنزل وأخذ الحجارة فرماهم

«١» قال ياقوت الجابية من قرى الجولان من أعمال دمشق ثم من عمل دمشق قرب مرج الصفر في شمالي حوران ويقال لها جابية الجولان أيضاً قال الجواس بن القعطل أعبد المليك ما شكرت بلادنا فكل في رخاء الامن ما أنت آكل بجابية الجولان لولا ابن بجدل هلكت ولم ينطق لقومك قائل

بها وقال: سرع ما فتم عن رأيكم اياي تستقبلون بهذا الزبي وانما شبعتم منذ سنتين
 سرع ما نددت بكم البطنة وتالله لو فملتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم:
 فقالوا يا امير المؤمنين انها يلامعة^(١) وان علينا السلاح: قال: فنعم اذن:
 وركب حتى دخل الجابية وعمر ووشر حليل بأجنادين فيبينما عمر معسكره بالجابية
 فزع الناس الى السلاح فقال ماشا نكم فقالوا الاترى الخليل والسيوف فنظر فاذا
 كرددوس يلمعون بالسيوف فقال عمر هذه مستأمنة فلا تراعوا وامنوهم فامنوهم
 واذهم اهل ايلياء

كان اهل ايلياء في ضنك عظيم وحصار شديد وقد ايقنوا بعد انقطاع المدد
 عنهم واستيلاء المسلمين على اطراف الشام ومدنها العظام انهم ماخذون لا محالة
 وان دولة الروم دالت وسلطتهم عن البلاد زالت وخافوا اذا سلموا المدينة
 للمسلمين ان لا يصالحوهم على ما صولح عليه اهل المدن الأخرى لكثرة مالاتي
 المسلمون منهم من العناء وما بذلوا في حربهم من الدماء ولما تحقق عندهم من أن
 بيت المقدس مكرم عند المسلمين لانه محل الاسراء ومقر الانبياء والظاهر انهم
 خافوا لهذا السبب على كنيستهم العظمى أن ينزعها منهم المسلمون وقبلتهم المقدسة
 ان يحرمهم منها الفاتحون مع أن المسلمين كانوا احرص الناس على الوفاء بالعهود
 والزمهم لشرعة الانصاف مع المغلوبين وكانوا اذا صاحوا قوما على شئ وكتبوا
 لهم بذلك عهدا صار ذلك العهد سنة لمن بعدهم في معاملة أولئك المعاهدين لا يحيد
 عنها احد من المسلمين وانما هو الروع أخذ بقلوب اهل بيت المقدس فراوا تو كيدا
 للامان وتوثيقا لعري العهد أن يباشروا ذلك مع امير المؤمنين عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه فطلبوا من الامراء حضوره بنفسه ولما بلغهم وصول امير المؤمنين

«١» قال في القاموس اليلامعة مالمع من السلاح كالبيضة

الى الجابية أوفدوا اليه ذلك الوفد فتلقاهم المسلمون براية الامان فاخبروا أمير المؤمنين انهم نواب في الصلح عن أهل إيلياء وأن أمراء الجند الرومي وهم أرطوبون والتدارق لحقا بمصر فصالحهم على إيلياء وحيزها والرملة وحيزها فصارت فلسطين نصفين نصف مع أهل إيلياء ونصف مع أهل الرملة وكتب لهم بذلك كتباً وكتب لأهل إيلياء خاصة كتاباً استرد صورته في هذا الكتاب ثم جعل على ذينك القسمين أميرين فجعل علقمة بن حكيم على الرملة وأحوازها وأنزله الرملة وجعل علقمة بن مجز زعي إيلياء وأحوازها وأنزله إيلياء ونزل كل واحد منهما في عمله في الجنود التي معه وضم عمر بن العاص وشر حميل اليه بالجابية فلما انتهى الى الجابية وافق عمر (رض) راكباً فقبلاً ركبته وضم هو كل واحد منهما محتضنها

وكان فتح إيلياء سنة (١٦) وقيل سنة (١٥) ولما تم عمر عهد الصلح أراد المسير الى بيت المقدس فأتى له بيرذون فركبه فلما سار جعل يتخاج^(١) به فنزل عنه وضرب وجهه وقال: لا علم الله من علمك هذا من الخيلاء ولم يركب برذوناً قبليه ولا بعده ثم دعا بفرسه فركبه ثم سار حتى انتهى الى المسجد الأقصى ليلا فدخله فصلى فيه ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالاقامة فتقدم فصلى بالناس ثم انصرف ودعا بكمب الاحبار (وكان لما دخل المسجد قال: ارقبوا لي كمباً: فلما أتى به قال له: أين ترى ان نجعل المصلى: فقال: الى الصخرة: فقال: ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعتك نعليك: فقال: أحببت أن أباشره بقدمي: فقال: قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدرها اذهب اليك فانالم تؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة: فجعل قبلته صدره

(١) يضطرب ويتميل

ثم قام الى كنيسة^(١) قد كانت الروم دفنت بها بيت المقدس في زمان نبي اسرائيل
وقال يا ايها الناس اصنعوا كما اصنع وجثافي اصلها وحثافي فرج من فرج قبائه
وسمع التكبير من خلفه وكان يكره سوء الرعة^(٢) في كل شئ فقال: ما هذا فقالوا:
كبر كعب وكبر الناس بتكبيره: فقال: على به: فأتى به فسأله عن سبب تكبيره
فقال يا امير المؤمنين انه قد تنبأ على ما صنعت نبي منذ خمسمائة سنة وسردله خبيراً
طويلاً من الاسرائيليات لا محل لذكره هنا

ولا جرم أن يظهر كعب الاحبار سروره ويكبر لصير بيت المقدس الى
المسلمين وهو اسرائيل الاصل يعلم سوء ما لاقى بنو اسرائيل من الرومان
وما كانوا يلاقونه من النصارى من الاضطهاد والتعصب الذي منعهم من حرية
التوجه الى قبلتهم والتمتع بأول معبد لهم كما يعلم جميل معاملة المسلمين لاهل
الكتاب واطلاقهم لهم حرية التعبد والسكنى والاعمال حيثما كانوا وانى أقاموا
ولهذا السبب كان اليهود في سورية يتمنون إيدالة دولة الروم ويحرضون عليهم
المسلمين ومن ذلك ما رواه الطبري ان عمر بن الخطاب لما نزل الجابية قبيل فتح
إيلياء جاءه يهودى من يهود دمشق وقال له يا امير المؤمنين لا ترجع الى بلادك
حتى يفتح الله عليك إيلياء وما زال ملازمه حتى تم الفتح وشهد عقد الصلح

(١) الكنيسة الزبالة ويراد بيت المقدس الهيكل الذي بنى على الصخرة وقد كان الروم من
زمان نبي اسرائيل هدموه وألقوا عليه الزبالة نكايه باليهود فبنى عمر فوقه مسجداً ثم وسع
بعد (٢) جثا أي جالس على ركبتيه وحثا من حثا التراب يحثوه ويحثيه ومعناه ان عمر
حثا التراب في ذيل ثوبه والرعة بالكسر كما في القاموس الهدى وحسن الهيئة أوسوها
وهو ضد والتحرّج أي التنطع ولعله هو الأقرب للمراد من قوله يكره سوء الرعة

﴿ لا وتبين في الاسلام ﴾

رأيت ما قاله عمر (رض) لكعب الاحبار وهو قول لانجب ان يفوتنا
البحث فيه لهذا رأينا ان نفرده هذا الفصل فنقول

اولع الانسان بالافراط كما اولع بالتفريط في كل شؤونه الروحية والجسمية
ولو انصف واعتدل ولم يطلق لنفسه العنان ليلبغ مقام الملائكة في أعلى عليين
او يهبط بها الى مقر الشرور في اسفل سافلين لكانت السعادة الدائمة به الزم
وطريق النعيم الحيوي لديه أوسع ولما احتاج الى كثير من هذه القوانين وقوامها
وزعماء السيطرة وجنودهم والحكام وأعاونهم والسجون وحراسها بل وكان
اكتفى بدين واحد قويم وشرع آلهي مستقيم ولم يشوه وجه الشرائع ولم يدع
لعدد الاديان وارسال الرسل في ان وان

أجل اولع الانسان بالشطط حتى في العقائد فينبأ يكون هذا في طرف
التفريط مارقا من كل دين منكر الشكل نحلة هائما في المادة التي يتناولها حسه
وينكر ما فوقها عقله يكون الآخر مسلما العقيدة بما لا يبعد طبعه عن طبيعته طالبا
بخياله ما يظن له قدرة فوق قدرته وسلطة أعلى من سلطته وأول ما يلاقه في طلبه
يعلق بقلبه ويظنه منجم عقله والغاية التي يطلبها في سيره فتولع به نفسه ويقوى فيه
أمله ويختص به عمله فيغلو في عبادته غلو المادي في مادته حتى يساويه من طرف
الافراط بالتوجه تارة للامطار واخرى للاشجار وآونة للاحجار ووقنا للارواح
وآخر للاشباح الى غير ذلك مما هو داخل في المادة قريب من تناول الحس .
فكان العقل الانساني في حال الايمان والكفر أسير المادة لا يفلت من شرك
الحس ولا يدع عن الى ما فوق المادة ويصعد الى أفق الكمال الالهية ريثما يتلق
برهان ربه بواسطة الانبياء ويطمئن الى التسليم بقوة آلهية تفوق قوى المادة

وتعلمو عن العقل وتتحكم على الكائنات تحكم الصانع المختار ثم لا يلبث أن ينحط عن هذه المرتبة فيعود الى نحيزته الاولى للهبوط الى هوة النقص والتوجه الى مظاهر المادة ولو تدريجاً حتى يلتصق بالحضيض ويود الى الشرك وهو يظنه الايمان ويخاله منتهى العبادة وإن من دين الا اصيب اهله بهذا المصاب واشركوا مع الله الارواح تارة وأخرى الانصاب تو سلاله على زعمهم بالحس وارتياح الى ماتحت النظر والعقل والله سبحانه وتعالى فوق ما يتصورون ليس من المادة ولا المادة منه بل هي مخلوقة له مفتقرة اليه وليس بينه وبين خلقه سبب منهي توصل به اليه بل هو كما قال في كتابه الكريم (الله لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) الآية

ومن الثابت أن العرب كانوا على دين ابراهيم الذي هو كباقي الاديان الالهية دين التوحيد بالله والايان بانه تعالى خالق الكون وما فيه وإنكار ما دون ذلك من الاعتقاد بشيء من المادة ومن التمسك في العمل بأهداب الشرك ولكن لم يلبثوا أن تدرجوا في مدارج المادة وهبطوا الى حضيض الشرك وتدرجوا من الاعتقاد بالارواح الى الاعتقاد بالاشخاص ثم الى الاعتقاد بالانصاب والاحجار وغير ذلك مما هو داخل في المادة واقع تحت الحس وهم مع ذلك كانوا يزعمون انهم مؤمنون لا مشركون وانهم بعبادة المادة يعبدون الله ويتقربون بها اليه كما أخبر عن ذلك القرآن بقوله تعالى (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى) وهذا من الاغراق في الجهل والانحطاط في العقيدة والافساد لاصل التوحيد ولم يكن هذا الافساد قاصراً على العرب فقط بل عم سائر أرباب الاديان مما لمحل بسطه الآن

اذ تمهد هذا علمنا ان الاسلام بما جاء به من آيات التوحيد الخالص من كل

شائبة من شوائب الشرك انما جاء لاستئصال شائبة الوثنية من نفوس العرب وغيرهم من ارباب الاديان بمحو شائبة الاعتقاد باي اثر من آثار المادة و صرف النفوس عن التوجه الى تلك الآثار بالحس لتتوجه الى واجب الوجود بالضمائر والاكتفاء باستحضار هيبة جلاله في القلب وتمكين الاعتقاد بان الآثار الواقع تحت الحس انما يقوم قوامه بالموثر المستحضر في الضمير الخارج عن الحس اذ بغير هذا لا يقوم التوحيد اثر متين في النفس ينجي من منزلة القدم الى الوثنية المفضية الى الشرك المؤدي الى الجحود وانما الانسان مادة وهذه اعراض منها تنمو وتعضم في النفس مادامت النفس مستشعرة بشيء من وجوب التعظيم لغير الله تعالى والتوجه لأي اثر من آثار المادة وساء منقلب الظالمين

هذا هو التوحيد الذي جاء به الاسلام ودعا اليه النبي محمد عليه الصلاة والسلام وانما اضطربت العقول وساءت الاوهام لتفاوت الافهام وتباين مراتب المسلمين في العلم بحقيقة الدين والاحاطة باسراره والوقوف على جميع مقاصده حتى على عهد الرسالة واليك الدليل

أخرج الامام أبو الفرج ابن الجوزي في السيرة العمريّة عن المغرور بن سويد قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب في حجة حبهما قال فقرأ بنا في الفجر (ألم تر كيف فعل ربك باصحاب القيل) « ولثلاف قريش » فلما انصرف رأى الناس مسجداً فبادروه فقال : ما هذا : قالوا : هذا مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هكذا أهلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثارا نبيائهم بيعا . من عرضت له فيه صلاة فليصل ومن لم تعرض له صلاة فليمض :

فلو كان أولئك المصلون يومئذ في مرتبة عمر في العلم واستشعر وامن إقبالهم على ذلك المسجد للصلاة فيه تعظيما له كما استشعر به عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين

للمبادروا للصلاة فيه الا اذا عرضت لهم صلاة ولا جرم أن أعظم الناس فهماً
 للاسلام وعلماً بغوامض الدين ووقوفاً على مقاصد النبوة المحمدية وما كانت
 تدعو اليه من التوحيد البحت الخالي عن كل شائبة من الشوائب التي مر ذكرها
 هم أهل السابقة من المهاجرين الاولين الذين تلقوا الدين أنجماً كان ينزل بها الوحي
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن البعثة ولازموا الرسول ولازمة الظل
 فاكتسبوا سر شريعته وأدركوا سراي غرضه وقلده في أعماله وأقواله وانتهجوا
 منهجه واهتدوا بسيرته فتفوقوا على غيرهم في العلم بالدين وعرفوا حقيقة التوحيد
 ومن هؤلاء من هم في المرتبة الأولى في فهم مقاصد الاسلام ومنهم عمر بن
 الخطاب رضى الله تعالى عنه ومن تتبع سيرته واثم النظر في أقواله وأفعاله وانطباقها
 على الكتاب الكريم ونهج السنة القويم علم ما هو التوحيد الذي أرشده اليه
 الاسلام وعرفه أولئك الصحابة الكرام فأرادوا أن يحجوا به كل أثر من آثار
 الوثنية عن صفحات الضمائر والقلوب وحسب العاقل دليلاً على هذا قول عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه لكعب الاحبار لما أشار عليه بعمل المصلى الى الصخرة: لقد
 ضاهيت اليهودية يا كعب الى قوله اذهب اليك^(١) فانالم تؤمر بالصخرة ولو كننا
 أمرنا بالكعبة: وقد مر الخبر في الفصل السابق نقلاً عن الطبري ولأجله عقدنا
 هذا الفصل ليكون به عبرة وذكري لقوم يعقلون

تقدم معنا كيف تدرج العرب الى الوثنية حتى أنسوا بلبس الاجحار
 وعكفوا على عبادة الاصنام وأن أصول التوحيد عند آرياب الاديان كلها أفسدت
 تدرجاً كما حصل في دين العرب وانما كان مبدأ هذا التدرج الاستسلام للشعور
 بوجوب تعظيم مظهر من مظاهر المادة يظن أن له صلة بما فوق المادة كالمعابد مثلاً

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في تاريخ الطبري بهذا اللفظ ولعلها اليك عنى

ثم يأخذ هذا الشعور ينمو ويتعدى المظهر الأول الى غيره ويتدرج في أطوار التعمدله حتى تنقلب صورة التوحيد المرتسمة على صفحات الضمائر الى صورة من صور المادة متجسمة للحس ويستحيل الايمان بآله واحد فوق المادة الى آلهة شتى كلها من المادة ولها صلة بها وهذا هو الشرك التام الجلي ومبدؤه ذلك الشرك الخفي ولم تكن دعوة الاسلام قاصرة على استئصال الوثنية فقط بل كان من مقاصدها الاولى والغايات التي ترمى اليها بل من اولها بالاهتمام وأجدرها بالعناية تطهير النفوس من كل أثر من آثار ذلك الشعور الفاسد ولو أشبهه بدقته دقة الجرثومة الحية التي لا ترى الا بالنظارة المكبرة الا انها اذا وجدت منتبهاً لحما لها تولد عنها ما لا يحصى من الجرثيمات في بضع نوان فن قال بخلاف ذلك أو ظن ان الاسلام يتسامح في تلك الجزئيات أو يبيح تعظيم أي مظهر من مظاهر المادة تعظيماً دينياً فقد أخطأ ونسب العيب الى دين الله لهذا ولما أشرب قلب عمر (رض) من التوحيد الحق الصادق لم يتسامح مع كعب الاحبار حتى في خلعه نعليه عند دخوله المسجد الأقصى وأخذه على عمله ذلك كما أخذه على رأيه في جعل المصلّي الى الصخرة كما رأيت وسترى من أخباره بهذا الصدد ان شاء الله

هكذا كان فهم كبار الصحابة للدين ومن أمعن النظر في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في إحدى خطبه التي مر إيرادها في هذا الكتاب وهو (ان الله لا شريك له وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوا الابطاعته واتباع أمره) يعلم كيف كان اوائل الصحابة الكرام يعلمون الناس التوحيد ويقتلون من أعماق نفوسهم أصول الشرك ورحم الله امرءاً أحاسب نفسه وعرف دينه ونأدب بأدب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونبذ بدع النفوس وأهواءها وتنكب مواضع الزلل وواقف الحطل وسؤال الفهم

والله ولي الرحمة وهو القاهر فوق عباده

﴿ فتح حماه واللاذقية وقنسرين ﴾

قيل إن هذه البلاد وما يليها شمالاً إلى انطاكية فتحها أبو عبيدة قبل مسيره من حمص إلى إيلياء أي سنة (١٥) وقيل إنه فتحها بعد عودته من إيلياء سنة (١٦) وعندى أن هذا الاصح

سار أبو عبيدة إلى معرّة حمص فصالحه أهلها على صلح حمص وسار إلى حماة فصالحه أهلها أيضاً وبعث خالد بن الوليد إلى قنسرين وسار هو إلى اللاذقية وقيل بل سار إليها عبادة بن الصامت فامتنع عليه أهلها أياماً فاحتال على فتحها بأن أمر الجنود أن يحفروا أسراباً في الأرض كل سرب يستر الرجل وفرسه فاجتهد المسلمون حتى حفروها ثم انهم أظهروا القبول إلى حمص فلما جن عليهم الليل عادوا إلى معسكرهم وحفائرهم وأهل اللاذقية غارون يرون أنهم قد انصرفوا عنهم فلما أصبحوا افتحو أبوابهم وخرجوا وأخرجوا سرحهم فلم يرعهم إلا تصييح المسلمين إليهم ودخولهم من باب المدينة عنوة فهرب قوم من نصارى اللاذقية ثم انهم طلبوا الأمان على أن يترجعوا إلى أرضهم ففقو طعوا على خراج يؤدون قلو أو أكثرها وتركتم لهم كنيسهم وبنى المسلمون باللاذقية مسجداً جامعاً بأمر عبادة ثم وسع بعد

ثم أخذ عبادة يتم فتح عمالة اللاذقية بأمر أبي عبيدة ففتح جبلة وانظر سوس وبانياس والمرقب وغيرها وكل هذه البلاد لم تزل معروفة إلى الآن بهذا الاسم وكان فتحها سنة (١٥ هـ) أو سنة (١٦ هـ)

وأما خالد بن الوليد فإنه لما وصل إلى حاضر قنسرين زحف إليه القائد مينا س بجيش الروم فاقتتلوا قتالاً عظيماً وقتل مينا س فأمماً الروم فماتوا على دمه وأما أهل

الحاضر وكانوا من العرب من تنوخ نزلوه وهم في خيم الشعر ثم ابتنوا المنازل
فارسوا الى خالد انهم عرب وانما حشروا ولم يكن من رأيهم حرب به فدعاهم
الى الاسلام فاسلم بعضهم واقام على النصرانية بنو سليح بن حلوان بن عمران بن
الجاف فتركهم خالد فاسلموا بعد ذلك بيسير وقيل اسلموا في خلافة المهدي العباسي
ولما فرغ من حاضر قنسرين^(١) فتحصن أهلها منه فقال: انكم لو كنتم في السحاب
لحملنا الله اليكم أو لأنزلكم الله لينافظروا في أمرهم وما لقي أهل حمص فصالحو على
صلح حمص فأبى إلا اخاب القلعة فأخربها

ولعمري ان قومًا بلغ اعتقادهم بالنصر الى هذا الحد ليقوم لا تعصم منهم
العواصم ولا الحصون ولا تثبت امامهم الجيوش وانما حملهم على هذا الاعتقاد
يقينهم الثابت بوعد الله ورسوله لهم بالنصر اذا نصر والحق وتمسكوا بعري
الايمان فكانوا يدا على من ناوهم وعون لمن نصح لهم ووالاهم ومن لهذا غير
أولئك الفاتحين الا خيار الذين جمعهم كلمة الاسلام على الاخوة التي لا تنصم
عسوتها والطريق التي لا يضل سالكها الا اذا انحرف عنها وزاغ عن صراطها

﴿ ذكر مسير هرقل الى القسطنطينية ﴾

كان هرقل بعد فراره من حمص قصد انطاكية ثم ارتحل على قول بعضهم
الى الرها (أورفا) في الجزيرة ليجتمع منها جيشاً يمد به أهل حمص قبل سقوطها في
يد المسلمين وكان المسلمون كما قدمنا في غير هذا المحل يقظين لا تخفى عليهم من أمر
الروم خافية ولما استشعروا بمقاصد هرقل أدرب عليه من الكوفة عمرو بن مالك

(١) مدينة كانت على بعد مرحلة صغيرة من حلب ويقول ابن حوقل ان هذه المدينة
أخربها الملك باسايوس ثم تجددت عن يد الامراء من بني بسيس التنوخية ثم أخربها
عن آخرها تاج الدولة . وأما حاضر قنسرين فقريّة قرية منها

من قبل قرقيسيا وعبد الله بن المعتز من قبل الموصل والوليد بن عقبة من بلاد الجزيرة بجيوش المسلمين وطوا بلاد الجزيرة وخلفوا وراءهم عقبة ثلاثاً وتوا من خلفهم

وكذلك أدرب من قنسرين مما يلي الشام خالد بن الوليد وعياض بن غنم بجيش من المسلمين وعندئذ رحل هرقل إلى القسطنطينية وعاد القواد إلى أماكنهم دون حرب. ولما بلغ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ما فعله خالد قال: أمر خالد نفسه يرحم الله أبابكر هو كان أعلم بالرجال مني^(١) وقد كان عزله كما مر في سيرته وعزل المثني بن حارثة الشيباني وقال: اني لم أعزلهما عن ربيعة ولكن الناس عظموها فخشيت أن يوكلا اليهما

وأما هرقل فإنه مضى على وجهه واستتبع أهل الرها فأبوا أن يتبعوه وقالوا نحن ههنا خير منا معك وتفرقوا عنه وعن المسلمين لما وصلوا إلى مدينتهم التي كان أول من دخلها منهم وأنبح كلابها وأنفرد جاجهازياد بن حنظلة وهو صحابي وكان مع عمرو بن مالك مسانده

وكان إدرب المسلمين إلى الرها ورحيل هرقل عنها سنة ١٦ ولما ارتحل هرقل لحقه رجل كان أسيراً في أيدي المسلمين فأقلت فقال له: أخبرني عن هؤلاء القوم: فقال له أحدهم كأنك تنظر إليهم فرسان بالنهار ورهبان بالليل ما يأكلون بدمتهم^(٢) إلا ثمن ولا يدخلون الإسلام. . . يفتقون على من حاربهم حتى يأوا عليه: فقال هرقل: لئن صدقتني ليرثن ما تحت قدمي هاتين:

(١) وفي رواية أن عمر قال هذا القول لما فتح خالد قنسرين وقد ذكرناه في سيرة خالد (٢) يعني من أهل البلاد التي دخل أهلها في دمتهم

هذه الصفات السامية التي قل أن تجتمع في فاتح من الفاتحين هي التي مهّدت
 لأولئك الأبطال تدويخ الممالك الشاسعة وقلب كيان الدول لا عددهم القليل
 وعدتهم الضعيفة بإزاء عدة الروم والفرس وعديدهم وضخامة ملكهم ومناعة
 حوزتهم ولهذا استشعر هرقل بضعف بنيانه وتقلص ظل سلطانه فيئس من
 عود ملكه في الشام وما يليها اليه فوقف للمباءة عنها بالحسرة ان وعاد بالخذلان وقال
 مودعاً تلك البلاد الزاهرة و الملك العريض

عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومي أبداً إلا
 خائفاً حتى يولد الولد المشؤم وياليتيه لا يولد ما أحلى فعله وأمر عاقبته على الروم :
 وفي رواية أنه قال

قد كنت سلمت عليك تسليم المسافر فإما اليوم فعليك السلام يا سورية
 تسليم المفارق ولا يعود اليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد الولد المشؤم وليته
 لم يولد :

(فتح حلب وانطاكية وغيرهما)

بعد أن تم لأبي عبيدة فتح حماة وقنسرين واللاذقية وغيرها سار إلى حلب
 وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهري فوجد أهلها متحزين فنازلهم فلم يلبثوا أن
 طلبوا الصلح والامان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ومنازلهم والحصن الذي
 به أفاضوا ذلك فاستثنى عليهم موضع المسجد وكان الذي صالحهم عليه عياض ولما
 انتهى اليهم أبو عبيدة أنفذ صلحه . وقيل إن أبا عبيدة لم يجد أحداً من المقاتلة بحلب
 وإن أهل حلب صالحوه على مدينتهم بأن راسلوه من انطاكية ولما تم لهم الصلح
 عادوا إلى مدينتهم وبينما أبو عبيدة في حلب أتاه الخبر بعصيان أهل قنسرين فوجه
 اليهم السمط بن الاسود الكندي فأخضعهم وقيل استعصى عليه فتح حلب فتركها

وسار الى انطاكية وكتب الى عمر بذلك فبعث اليه كتاباً يلومه فيه فرجع وفتحها
ثم قصد أبو عبيدة حاضر حلب وكان حاضر قنسرين يجمع أصنافاً من العرب
فصالحهم أبو عبيدة على الجزية ثم انهم أسلموا بعد ذلك وحاولوا بعيد وفاة الرشيد
العباسي الاستيلاء على حلب فاستنجد أهل حلب من حولهم من العرب ولم
يستطيعوا استنجاد دار الخلافة لحصول فتنة محمد الأمين فيها فأبجدهم العباس بن
زفر الهلالي ونازل أهل الحاضر فرحلوا عنه الى قنسرين ثم غدر وأهل قنسرين
نجلوهم هوّلاء عن بلدهم ومن ثم تفرقوا في البلاد فقوم نزلوا تكريت وقوم
ارمينيا وغيرها

ثم قصد أبو عبيدة انطاكية وكانت ذات خطر وشهرة وقد التجأ اليها كثير
من فلاة قنسرين وغيرها من البلاد وتحصنوا فيها وبعثوا بجيش منهم الى مهربة
على فرسخين من انطاكية لصد المسلمين فلقى أبو عبيدة هذا الجيش ففضه وأجأهم
الى المدينة وحاصر أهلها من جميع أبوابها فصالحوه على الجزية والجلء فجلب بعضهم
وأقام بعضهم فأمهم ووضع على كل حالم منهم ديناراً أو جريب خنطة وسار عنهم
فنفقوا فوجه اليهم عياض بن غنم وحميب بن مسلمة الفهري فقتلها على الصلح
الأول. ومن يرى ان فتح انطاكية كان قبل إيلياء يقول انها نقضت بعد رجوع
أبي عبيدة الى فلسطين فوجه اليها من إيلياء عمرو بن العاص ففتحها وممن قال هذا
البلاذري في فتوح البلدان وما نخاله صواباً

وكانت انطاكية بسبب موقعها الجغرافي وحصانها وتفوقها على مدن
سورية عظيمة الذكر والأمر عند عمرو وعثمان رضي الله عنهما ولما فتحت كتب عمر
الى أبي عبيدة أن يرتب فيها جيشاً من المسلمين من أهل الحسبة والرأي يربط فيها
وان لا يجبس عن ذلك الجيش العطاء وهكذا فعل بعده عثمان رضي الله عنه فقد

أمر معاوية وكان يومئذ والي الشام ان يلزمها قوماً من المسلمين وان يقطعهم
القطائع ففعل

وبلغ أبو عبيدة بعد فراغه من أمر انطاكية ان جمعاً من الروم بين معرفة
مصرين وحلب فسار اليهم وقتلهم وفرق جمعهم ثم فرق خيوله في أنحاء البلاد
فتحت بوقاوسر مين وتيزين وجميع أرض قنسرين ثم سار أبو عبيدة الى حلب
وقد نقض أهلها فنازلهم وأخضعهم ثم سار أبو عبيدة نحو قورس ففتحها صلحاً
وقتح تل عراز وونيج وسير عياضا وحبيا في جيشين من المسلمين فأتما فتح
سورية الى حدود القرات شرقاً وأسيا الصغرى شمالاً وجعل أبو عبيدة على كل
كورة فتحها عاملاً وضم اليه جنداً من المسلمين وبعث جيشاً مع ميسرة بن
مسروق العبسي الى أطراف أسيا الصغرى فلقى جمعاً للروم معهم عرب من تنوخ
وعسان يريدون الحاق بهرقل فأوقع بهم ثم لحق به مالك بن الاشتر النخعي مدداً
من قبل أبي عبيدة وعادوا جميعاً سالمين غانمين وسير جيشاً آخر الى مرعش مع
خالد بن الوليد ففتحها وأخربها وعاد والظاهر ان الذي دعاه الي اخراها عدم
وجود جند كاف يقوم بحمايتهم من هجمات أهل الجزيرة والروم والافرب بما يكون
أخرب حصنها فقط لثلا يعتصم به أهلها بعد وينتقضوا على المسلمين

﴿ مهاجمة هرقل لسورية بعد استقرار ملك المسلمين ﴾

هكذا انقضى أمر الروم في البلاد السورية وتم للمسلمين فتحها بعد
حروب طويلة استمرت ثلاث سنين ولاقى جند المسلمين في غضونهم من العناء
وبذلوا من الدماء ما جعل ثمن هذه البلاد عليهم غالياً ومقامها في نظرهم عالياً وكان
لرجال قريش وأشرافها في حرب الشام خاصة من الاثر العظيم والبلاء الجسيم
مالم يكن لقوم غيرهم في الفتوحات الأخرى وقتل منهم في وقائع الشام عدد كبير

لا سيما في وقعة اليرموك وكان ممن قتل منهم عكرمة بن أبي جهل وابنه عمرو وخالده
ابن سعيد وهشام بن العاصي وسهيل بن عمرو وأبان بن سعيد وأضرابهم من
صناديد قريش وأشرفها وكان للنساء القرشيات من البلاء ما كان للرجال أيضاً
فقد روى الطبري أن النساء المسلمات قاتلن يوم اليرموك وخرجت جويرة ابنة
أبي سفيان (القرشية) في جولة وقال البلاذري: وقاتل يوم اليرموك نساء من
نساء المساميين قتلاً شديداً وجعلت هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان تقول
: عضدوا الغلفان بسيفي فكم :

وبالجملة فقد لاقى المسلمون في فتح الشام أهوالاً شداداً وصادموا عدواً
استمات في الدفاع عن حوزته والذب عن سلطانه اذ لم يكن هرقل وجنوده بأقل
ثباتاً وإقداماً وجراءة من العرب يدلك على هذا ما ظهر من الروم في الوقائع
الأولى التي حدثت في اليرموك ودمشق وحنبل وأجنادين وغيرها وعدا هذا
فانه لما استقرت قدم المسلمين بالشام وتمكن سلطانهم منها في الشرق والغرب
وسار أبو عبيدة عن انطاكية بعد أن استخلف عليها وعلى قنسرين وحبلى وغيرها
من استخلف من القواد لم يستقر لهرقل حال ولم يهدأ له بال فأعاد الكرة على
البلاد السورية في سنة (١٧ هـ) بتجريض أهل الجزيرة له ووعدهم له بالمظاهرة
والنصرة فلم يفجأ المسلمين الا وهرقل قادم بجند كثيف الى حمص من طريق البحر
واستمد أهل الجزيرة وكاتب أهل حمص بالخروج على المسلمين فأبوا عليه وأرسلوا
اليه إنقاذ عاهدنا المسلمين فنخاف أن لا ننصر وكان أبو عبيدة في حمص فاستمد
خالد أن جاءه من قنسرين بمن معه من الجنود فانضم أهل قنسرين بعده الى هرقل
وحاصر هذا أبو عبيدة في حمص فاستشار أبو عبيدة القواد فأشار عليه خالد بالمناجزة
وأشار غيرهما بالكتابة الى عمرو ومطاولته هرقل ريثما يأتي منه الجواب فعمل برأيهم

وكتب الى أمير المؤمنين يستمده وجاءت لهرقل الجيوش والامداد وكان امداد الجزيرة وحده ثلاثين الفاً على ما رواه الطبرى وبلغ الروم من المسلمين كل مبلغ ووصل الكتاب الى عمر فكتب الى سعد بن أبي وقاص في العراق ان ابا عبيدة قد أحيط به ولزم حصنه فبث المسلمين بالجزيرة واشغلهم بالمسلمين عن أهل حمص وكان عمر أعد في كل مصر قدراً من الخيل لكون ان كان وكان في الكوفة أربعة آلاف فرس فلما وصل كتاب عمر الى سعد بن أبي وقاص بالجنود مع القمعاق بن عمرو وعبد الله بن عتيان وسهيل بن عدي وعياض بن غنم وكان عياض قد عاد الى العراق بعد فتح الشام لانه من جنود العراق وأشار عليهم بأمر عمر بن الخطاب أن يسلك كل أمير طريقاً الى الجزيرة فيقتصدوا حد قرقيسياء والآخر الرقة والثالث نصيبين والرابع حران والرها واهتم لهذا الامر عمر بن الخطاب (رض) فخرج من المدينة ممدداً لأبي عبيدة حتى نزل الجابية وكان القمعاق تعجل بأربعة آلاف فارس الى حمص ولما بلغ الروم ذلك انفضوا الى مدائنهم وبادروا المسلمين اليها فتحصنوا ونزل المسلمون عليهم فنعوهم عن امداد هرقل فذب الفشل في جنوده وراسل طائفة من تنوخ خالد بن الوليد بالتسليم أو الهزيمة وكان خالد بن الوليد لشجاعته وعلو همته لا يجب الغلبة الا بقل صفوف الاعداء وانهما جزتهم في الهياج فأرسل الى تنوخ والله لولا اني في سلطان غيري ما بايت أقتلهم أم أكثرتم أو أقتلهم أو ذهبتم فان كنتم صادقين فانفثوا^(١) كما انفث أهل الجزيرة فوعدهم بالهزيمة اذا خرج اليهم المسلمون وقال المسلمون لابي عبيدة قد تفرق أهل الجزيرة وندم أهل قنسرين وواعدوا من أنفسهم وهم العرب فاخرج بنا هذا وخالد بن الوليد ساكت فقال له أبو عبيدة مالك لا تتكلم فقال: قد عرفت الذي

(١) يقال انفث الرجل أي فتر وكسل

كان من رأيي فلم تسمع من كلامي : قال : فتكلم فاني أسمع منك وأطيعك : قال :
فاخرج بالمسلمين فان الله تعالى قد نقص من عدتهم (يعني الروم) وبالعدد يقاثلون
وانما قاتل منذ أسلمنا بالنصر فلا تحفلك كثيرتهم

روى الطبري بعد سياق هذا الخبر عن علقمة بن النضر وغيره قالوا لجمع
أبو عبيدة الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال

أيها الناس ان هذا يوم له ما بعده أمان حي منكم فانه يصفو له ملكه
وقراره وأمان مات منكم فانها الشهادة فأحسنوا بالله الظن ولا يُكرهن اليكم
الموت أمرٌ قد اقترفه أحدكم دون الشرك توبوا الى الله وتعرضوا للشهادة فاني
أشهد وليس أوان الكذب أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من
مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة :

وكأنما كان في الناس عقل ^(١) نشطت فخرج بهم وخالد على الميمنة وعباس
على الميسرة وأبو عبيدة في القلب وعلى باب المدينة معاذ بن جبل ونشب القتال
فانهم لذلك اذ قدم التعقاع متعجلاً في مائة وانهزم أهل قنسرين بالروم فركبهم
المسلمون وتمت الهزيمة وعاد هرقل وجنوده بالحبيبة وظهر من يقظة المسلمين
واستعدادهم واهتمام أمير المؤمنين بهم في هذه الحادثة ما رأيت مما لا يظن بقوم
مشاهير حديثي عهد بالبداءة ولما ظفر المسلمون جمعهم أبو عبيدة وخطبهم وقال
لا تتكلموا ^(٢) ولا تزهدي في الدرجات فلو علمت انه يبقى منا أحد لم احدثكم
بهذا الحديث !

وتوفي اليه آخر أهل الكوفة في ثالث يوم من يوم الواقعة فكتب المسلمون
الى عمر وهو بالجالية بالفتح وبقدم أهل الكوفة بعد ثلاثة وطلبوا منه الحكم

(١) جمع عقال وهو ما يعقل به البعير (٢) قال في القاموس نكل نكص وجبن

في ذلك فكتب اليهم ان اشركوهم وقال: جزى الله اهل الكوفة خيراً يكفون
حوزتهم ويمدون اهل الامصار

﴿ ما كل حديث تحدث به العامة ﴾

(وندم ابي عبيدة على نقله الحديث لعامة الناس)

كل مسلم اكتبته كنهه الدين الاسلامي ووقف على حكمه واسراره يرى من
آياته العظمى في الترغيب والترهيب ما لو احسن استعماله ووضع في موضعه لسكني
لازعاج النفوس الشريرة عن مواطن الرذيلة مهما التصقت بها وامعنت فيها
ولجمال النفوس البارة نوراً على نور والبها من الفضيلة لباساً لا يصيبه بلي وقد
جاء الكتاب الكريم بالترغيب ليكون باعثاً للنفوس على العمل الصالح رجاء
الثواب الاخروي الذي اعد الله لعباده الصالحين لا ليكون وسيلة لاستدراج
النفوس في مدارج الاستباحة طمعاً في عفو الله لهذا جاء بازاء الترغيب بالترهيب
لترسم على صفحات النفوس صورة العقاب كما ارتسمت صورة الثواب فيكون
لها منها داع الى الخير يذكرها بالثواب ويمكن منها الرغبة فيه لا الى حد الطمع
والفرور ثم الاستدراج في الشرور . وذاجر عن الشريد كرها بالعقاب ويمكن
منها الرهبة منه لا الى حد الانقطاع الى تقويم اود النفس وتعطيل وظائف الحياة
ولا الى حد اليأس والقنوط ثم الاسترسال في الشهوات واقتراف المنكرات^(١): على
ذلك الاساس بني الترغيب والترهيب في الاسلام وكل ما جاء منه في الحديث
النبوي فالمراد منه عين ما اراده القرآن ولكن ما الحيلة وقد اوع كثير من علماء
المسلمين بالافراط في الوعظ ترغيباً وترهيباً وحملوا اعادة الناس على طريقتهم في

(١) لنا بهذا الصدد كلام مشبع في كتابنا (تنبيه الافهام الى مطالب الحياة الاجتماعية

والاسلام) فليرجع اليه من أحب

فهم الدين فأكثر وامن حمل الحديث وروايته دون التفهم له والعلم بمقاصده
 ووضع كل شيء منه في محله والتفريق بين صحيحه وموضوعه حتى أغر و العامة
 بعقيدة الاباحة لكثرة ما يروون لهم من أحاديث التزغيب ولو موضوعة
 كفضائل الصيام والصلاة وفضائل الشهور والايام وفضائل التلاوات وجلها
 ان لم نقل كلها من الموضوع الذي تستدرج به العامة للاستباحة لاعتقادهم بأن من
 صام كذا غفر له من السيئات كذا وكذا ومن تفعل بيوم كذا محيت سيئاته الى كذا
 ولقد بلغ بعضهم سوء الفهم للدين أن جعلوا لبعض القصائد النبوية من الفضائل
 ما لم يجلوه للقرآن فقالوا ان البيت الفلاني منها لشفاء الاسقام والآ خر لمحو
 الذنوب والآ ثام والثالث للنجاة من ظلم الحكام فليت شعري اذا اعتقد العالمي أن
 تلاوة بيت من قصيد يكفي لمحو كل ما يقترفه في يومه من الآ ثام فالى أية درجة
 ينتهي فساد أخلاقه وشرور نفسه وماذا ينفعه القرآن بأوامره ونواهيه ووعده
 ووعيده وحكمه وأحكامه

ألهم ان هذا الغاية الاستهانة بالدين والجهل بمقاصد الاسلام ومنشؤه
 اضطراب الافهام ولبس الحقائق بالا وهام منذ أخذ الوضاعون بالكذب على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلوا في الدين ما ليس منه يضاف اليه الا كثر
 من حمل الحديث على غير تفقه فيه ووضع له في مواضعه التي أرادها الشارع
 وقصدها الاسلام ولو تتبع العلماء سيرة الصحابة الكرام سيما خاصتهم الذين
 لازموا النبي عليه الصلاة والسلام وفهموا هذا الدين حق الفهم لرأوا كيف أنهم
 كانوا يقلون من رواية الحديث الا للخاصة أو ما تعلق منه بالا حكام حتى بلغ بعمر
 رضى الله عنه ان كان ينهى عن رواية الحديث ويقول عليكم بالقرآن كما سترى بعد
 وما ذلك الا خوف الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت

الرواية والنقل وخوف افتتان العامة بما ليس لهم به علم وبما لم يتفقهوا فيه
من الحديث

أبو عبيدة بن الجراح كان من خيرة الصحابة وعلى جانب من التفقه في الدين
والورع والتقوى دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأن يسميه أمين هذه الامة وقد
سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً بما لم يسمعه منه أحد من الصحابة
أو سمعه بعض الخاصة فرأى هذا الأمين أن يطوى هذا الحديث بين
الجوانح ويضن به على العامة كما ضن به عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن
عقول العامة يلابسها الاعتزاز ونفوسهم يلامسها الضعف وحب الشهوات فيهم
بالوعيد أولى وبالزامهم ظواهر الشرع أحرى ولكن لما ألتجأته الضرورة
القصوى وهو محصور مع المسلمين في حمص ورأى منهم فتوراً عن الحرب
لأنهم في نفوسهم أوجبوا أصابهم كلا وانما هول رهبة الخالق التي تمكنت من
افتدتهم وقلوبهم وأخافهم من الموت لذاته بل لما بعمده قام فخطب فيهم وثلى
عليهم ذلك الحديث وهو (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) استحثاثاً
لهممهم وتخفيفاً لروعهم مما بعمده الموت رجاء رحمة الله وعبوه عن ذنوب اقترفوها
مما دون الشرك اذا تابوا وانا بوا

قال لهم هذا وهو يظن ان هذا الحديث لا يتمدى اسماعهم لاعتقاده انهم
اذا خرجوا لمكافحة الروم لا يبقى منهم أحد يحدث به أو يلبس نفسه اثر منه
لكثرة من كان على حصارهم من جنود الروم ولما تم الظفر للمسلمين ونجوا من براثن
العدو ندم على ان حدثهم بذلك الحديث وخشي من ان يعلق في نفوسهم شئ منه
مع أنه علقه على التوبة فقام وخطب فيهم فقال

(لا تسكوا ولا تزهدوا في الدرجات فلو علمت انه يبقى منا أحد لم أحدثكم

بهذا الحديث)

وتالله إن قوم بلغ بهم الايمان الصادق واليقين الثابت ذلك المقام مقام الرهبة من الله ومن الوقوف بين يدي قدرته بعد الموت لقوم عامتهم أعلم بالدين وأخلص في اليقين من خاصتنا ومع هذا فقد ندم أبو عبيدة على أن حشدتهم بذلك الحديث فليت شعري كيف يكون الحال بعد ذلك العصر وماذا يشترط في المحدثين وجملة علوم الدين ألا يشترط الوقوف على مقاصد الاسلام والنفقة في الحديث والعلم بحالة المخاطبين واجتناب الغلو معهم في الترغيب والترهيب ومرعاة ما يلبس عقولهم من القوة والضعف وأن يتيسر هذا وقد نتج عن كثرة الرواية وحمل الحديث بلا تفقه فيه زيف العقول عن مقاصد الشرع واجترأ الكذابين على وضع الحديث وشحن الكتب الاسلامية بما لا يرضاه الله والرسول وهو ما كان يحذره عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولهذا نهى في عصره الذي هو خير العصور عن الاكثار من رواية الحديث فبالاك بما يلي عصره من العصور

ذكر الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الاندلسي في كتابه جامع بيان العلم^(١) وفضله في باب ذكر من ذم الاكثار من الحديث دون التفهم له والتفقه فيه ما نصه

عن ابن وهب قال سمعت سفيان بن عيينة يحدث عن بيان عن عامر الشعبي عن قرظة بن كعب قال: خرجنا نريد العراق فشى معنا عمر الى حرار فتوضأ فغسل اثنتين ثم قال: أتدرون لم مشيت معكم: قالوا نعم نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيت معنا: فقال: انكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي

(١) يوجد من هذا الكتاب نسخة خطية في مكتبة الازهر

النحل فلا تصدوهم بالا حاديت فتشغلوهم . جوّدوا القرآن وأفلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أناسه يركم : فإما قدم قرظة قالوا حد ثنا قال نهانا عمر بن الخطاب اه

ثم قال ابن عبد البر بعد هذا بقليل ما نصه : قول عمر إنما كان لقوم لم يكونوا أحصوا القرآن نخشى عليهم الاشتغال بغيره عنه اذ هو الاصل لكل علم هذا معني قول أبي عبيد في ذلك : ثم قال بعد ذلك أيضاً : ان نهيهم عن الاكثار وأمره بالاقلال من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان خوف الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفاً أن يكونوا مع الاكثار يحدثون بما لم يتيقنوا حفظه ولم يعوّدوا لان ضبط من قلت روايته أكثر من ضبط المستكثر وهو أبعد من السهو والغلط الذي لا يؤمن مع الاكثار فلهذا أمرهم عمر من الاقلال من الرواية اه

﴿ القواد الذين حضروا فتوح الشام ﴾

ممن كان له البلاء الحسن من القواد في فتوح الشام غير القائد العام الذي كان خالد بن الوليد وبعده أبو عبيدة بن الجراح . خالد بن سعيد وعمر بن العاص ويزيد ابن أبي سفيان وأخوه معاوية وحبيب بن مسامة الفهري وعياض بن غنم الفهري وشرحبيل بن حسنة وكل هؤلاء من قریش الا الأخير فانه حليف بنى زهرة من قریش وأما غير هؤلاء ممن ليسوا من قریش فهم ذوالسكلاع الحميري والقعقاع ابن عمرو^(١) والسبط بن الاسود الكندي وعلقمة بن مُجَزّ وعلقمة بن حكيم الفراسي وعبادة بن الصامت ومالك بن الاشتر النخعي ومسروق بن فلان العمي

(١) القعقاع وعياض هما من جند العراق لا الشام ووفدا مع خالد بن الوليد أيام حبيته من العراق وعاد القعقاع بعد فتح دمشق وعياض بعد فتح انطاكية وقيل قبلها الى العراق

وأبواب المالكي وغيرهم

هكذا تم فتح هذا القطر السوري لأولئك القوادبواسل وقد رأيت من
حسن ترتيبهم للجيش وإيمانهم بطرق البلاد وتفننهم بأساليب الحرب وقهرهم
للعدو وما يدل على علو كعبهم في فن الحرب وخبرتهم بالبلاد حتى كان أمير المؤمنين
وهو بالمدينة يصدر أوامر للأمرءة كيف يسرون وأي المسالك يسلكون
وأي البلاد يقصدون كأنما كان ينظر إلى هذا القطر على خارطة مصورة بين يديه
والعلة في هذا أن القطر السوري بسبب اتصاله بمجزرة العرب من جهة الحجاز كان
كجزء طبيعي منها عرف العرب طريقه وبلادته وأحواله كافة كما عرفوا نفس
المجزرة يضاف إليه أن قسما عظيما منه كان مأهولا بالعرب من مضر وكانت صلة
الاختلاط والمتاجرة غير منقطعة بين الحجاز وسورية تمتد إلى أجيال متطاولة
قبل المسيح وكانت قوافل قریش قبل الاسلام تتردد إلى سورية أكثر من
غيرها لهذا كان كثير من الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب عارفين بطرق البلاد
وأحوالها ذوى علاقة تجارية بسكانها

﴿ مخلصه جغرافية ﴾

(ونظرة اجتماعية)

قد رأينا بعد الفراغ من الكلام على فتح سورية أن تأتي على خلاصة
جغرافية للبلاد السورية نضمها أهم المباحث الجغرافية والاجتماعية المتعلقة بهذا
القطر قديما وحديثا مع بيان صناعته وعدد سكانه وأقسامه وحياته كل ذلك
على وجه الاجمال الذي يسهل المقام اذا التفصيل ليس من شأن التاريخ العام بل هو
من شأن التواريخ الخاصة فنقول

يحد سوريا شمالا ولاية أدنه (كيليكيا) من آسيا الصغرى وشرقا القرات

والبادية وجنوباً جزء من بلاد العرب ويقال له تيه بنى اسرائيل وغرباً بحر الروم
 أي البحر المتوسط وقد قام في هذا القطر حكومات كثيرة تعددت بتمدد
 الاقوام القاطنين فيه كالفينيقيين^(١) والحثيين والاموريين والسكنانيين وغيرهم
 من الشعوب ثم رحل اليه بنو اسرائيل من مصر وزاحموا سكان البلاد وأخذوا
 قسماً عظيماً منه وغزاه كثير من الدول القديمة كدولة الفرعنة المصريين والماديين
 والفرس واليونانيين والرومانيين وعرب الاسلام ولم تثبت فيه دولة من
 الدول الفاتحة كما ثبتت قدم دولة الرومانيين ودولة الاسلام فقد كان ابتداء
 دولة الرومان فيها من سنة ٦٥ ق م الى سنة (٦٣٣ م) حيث ابتدأ الفتح
 الاسلامي في البلاد السورية وكانت نهايته (٦٣٨ م) أو (١١٧ هـ) وفيها تقلص
 ظل الروم عن هذا القطر وقد كان عهد الرومانيين مقسوماً الى ثلاثة
 أقسام كبيرة وهو فلسطين وتوابعها ودمشق وتوابعها وانطاكية وتوابعها
 وكان القسم الشمالي منه يسمى سورية والقسم الجنوبي يسمى فلسطين
 فأطلق عليه اسم سورية منذ تملكه الرومان ولما تملكه المسلمون أطلقوا عليه اسم
 الشام وقسمه عمر (رض) الى أربعة أقسام القسم الاول الثغور وسماها هارون
 الرشيد العواصم وهي حمص وقنسرين وحلب وانطاكية وحاضرة هذا القسم

(١) الفينيقيون كانوا يسكنون سواحل الشام الجنوبية وبعض الشمالية وكانت
 عاصمتهم القديمة صيدا ثم ابتوا صوراً حوالي سنة ١٥٠٠ قبل المسيح بعد خراب صيدا
 وكانوا من أنشط الشعوب وأعرفهم بسلوك البحار وطرق الاستعمار فاستعمروا
 معظم جزائر البحر الابيض وذهبوا الى سواحل افريقيا الشمالية وأسسوا هناك مدينة
 قرطاجنة الشهيرة التي يقال انها كانت قرب تونس وقطعوا مضيق جبل طارق الى المحيط
 وبالجملة فقد كانوا أعظم دول البحار في عهدهم ويشبههم بعض المؤرخين بدولة انكلترا
 لهذا العهد

حمص والقسم الثاني دمشق والقسم الثالث الأردن وحاضرته مدينة الاردن
 (طبرية) والقسم الرابع فلسطين وهذا قسمه الى قسمين قسم حاضرتة الرملة وقسم
 حاضرتة إيلياء (القدس) وكل قسم من هذه الاقسام يسمى جنداً وتحت كل قسم
 اقسام تدعى كوراوسياتى الكلام على هذا بالتفصيل في غير هذا المحل ان شاء الله
 وقد توفرت في هذا القطر أسباب المكاسب الثلاثة وهي الزراعة
 والصناعة والتجارة لخصب اراضيها وموقعه الجغرافي ونشاط أهله للعمل الا ان
 هذه الاسباب كانت تملو وتسفل بنسبة حال الدول الحاكمة في هذا القطر ومن
 المقرر ان عمر ان الممالك تابع لترقى الدول وقد كانت دولة الرومان الشرقية على عهد
 الفتح الاسلامي دولة لحقها الهرم والعجز وغفت من ممالكها آثار التمدن
 الروماني العظيم لما اصاب أهلها من الانشقاق الديني والاختلاف المذهبي الذي
 اودى بحياتهم السياسية وفترق جامعتهم المليية ولما تولى الامبراطورية هرقل
 سنة (٦١٠ م) كان أمر المجادلات الدينية في أشده فحاض الامبراطور نفسه في
 غماره واشتغل بالامور الدينية تاركا أمور الدولة السياسية لوزرائه وأرباب
 دولته ومن ثم ظهر الوهن في الدولة في أتم مظاهره فغزتها دولة الفرس
 واكتسحت جزءاً من ممالكها عظيمها وهو آسيا الصغرى وسورية ومصر وكاد
 الامبراطور هرقل يزايل بكرسيه الامبراطوري القسطنطينية ويتخذ قرطاجنة
 عاصمة له لولم يمنعه عن هذا العزم بطريك القسطنطينية حتى نهض مرة ثانية
 بجنان ثابت لمحاربة الفرس واسترد منهم ما انتزعوه من ممالكها كما تقدمت
 الاشارة اليه فيما مر من هذا الكتاب

ولا ريب في أن ما اصاب هذه المملكة من التقهقر يومئذ كان لسورية منه
 حظ عظيم ونكبت كما نكب ذلك الملك العريض بسوء السياسة والضعف

والانقسام لاسيما وانها كانت حديثة عهد بمعارك الفرس التي لم يكن مضى عليها
 لحين الفتح الابضع عشرة سنة: اذن فهذه البلاد لم تكن لمادوخها المسلمون راقية
 مراقي العمران ولم تكن أسباب المكاسب الثلاثة متوفرة عند السكان إلا ان
 استعدادها الطبيعي لقبول العمران وما فيها من بقايا المدينة الغابرة تكفل برقي
 أهلها في مراقي السعادة مذ بسطت عليها دولة العرب المسلمين جناح السلطان
 نعم نحن ليس لدينا نص تاريخي واضح على مبلغ ما وصلت اليه هذه البلاد
 من الرقي على عهد الخلفاء الراشدين والامويين في صدر الاسلام لما أن أخبار تلك
 العصور انتهت الينا بالرواية ولم يكن تدوين التاريخ الاسلامي معنيابه في ذلك
 العصر إلا ان هناك من الأدلة والاسباب ما يحملنا على الظن بل اليقين بأن البلاد
 السورية صارت يومئذ الى أبعد غاية من غايات الترقى في أصول المكاسب الثلاثة
 الصناعة والتجارة والزراعة

من المعلوم بالبداهة أن العدل أساس العمران ومتى تنظمت أصول الجبائية
 ورفع عن الرعية العسف وخففت المظالم وأطلق للاهلين عنان الحرية توفرت لهم
 أسباب الراحة ونشطوا من عقل الخمول فهبوا للاخذ بأسباب المكاسب
 وتبسطوا في مناحي العمران وقد رأيت فيما مضى من أخبار الفتح كيف أن سكان
 البلاد كانوا ايصالون على مقدار معين من الجزية والخراج لم يتجاوز حد العدل
 والاستطاعة وروعت فيه بالطبع ثروة البلاد ومقدرة كل فرد من الاهلين وان
 هذا القدر المعين في عصر الفتح استمر على ما هو عليه مدة الخلفاء الراشدين
 والامويين وصدر أمن خلافة العباسيين وان سيده محافظة الخلفاء على العهد والني
 بأيدي السكان ويضاف اليه تجنب تلك الدول لأسباب السرف لقرب عهداها
 بالبداوة ووجدتها في تأسيس الملك وعدم حاجتها لهذا السبب الى التعسف في

الجباية والاكثر من المظالم وقد كانت جباية الاقسام السورية الاربعة في عهد
الامويين على ترقى العمران في البلاد هي ما يأتي تفلا عن فتوح البلدان
دينار

الاردن ١٨٠٠٠٠

فلسطين ٣٥٠٠٠٠

دمشق ٤٠٠٠٠٠

العواصم (وهي حمص وقنسرين وحلب وانطاكية وتوابعهم) ٨٠٠٠٠٠

الجمع ١٧٣٠٠٠٠

وهذا المبلغ ليس بشيء بالنسبة لعمران البلاد يومئذ وربما بلغت جباية
البلاد في عصور تقهرها أكثر من ذلك وجبايتها الآن على تدينها في العمران وفقد
الصناعة منها وضعف التجارة والزراعة فيها أكثر من جبايتها في صدر الاسلام
كما سترى

وهذا دليل على تناهي الخلفاء يومئذ بالعدل وعدم عسفهم في الرعية يضاف
اليه أيضاً جلوس الخلفاء بأنفسهم للمظالم الى عهد عمر بن عبد العزيز وإنصافهم
لرعية وقيامهم على وسائل العمران وتمصير الامصار وتأسيس الملاجى كوضع
عمر بن الخطاب لدور الضيافات الخاصة بأبناء السبيل والمنقطعين وترتيبها في
الطرق من الحجاز الى الشام ومنها الى المراق وتأسيس معاوية لمدينة طرابلس
الشام وتمصير سليمان بن عبد الملك لمدينة الرملة وتشديد الوليد بن عبد الملك
الملاجى لازمنى والمجذمين وأمره ببناء الفنادق للمسافرين فيما بين الاقطار
المتباعدة كما صنع عمر بن الخطاب وعنايته أي الوليد بأصلاح الطرق المسهلة لنقل
التجارة وإطلاق الخلفاء حرية المعتقد بين الطوائف الوطنية من اليهود

والنصارى وعدم إنحياز أحدهم لفريق منهم دون آخر كما كان يخازم ملوك الروم
ويثرون بين الرعية نائرة التبغض والشحناء كل هذا وغيره من أسباب الراحة
والأمن ودواعي الترقى والعمران يدلنا على رقي البلاد على عهد الخلفاء الراشدين
والامويين والعباسيين أيضاً وتمتع أهلها بسعادة الراحة والعمران التي لم يتمتع بها
هذا القطر في عهد غير دولة المسلمين الا قليلا على عهد الفينيقيين أيام مجدهم
والرومانيين أيام تمدنهم

ولما انقسمت دول الاسلام على بعضها تداول هذا القطر السوري عدة
من الدول كالفاطميين والأتراك والاکراد والجرأ كسة أخذ بالانحطاط تبعاً
لانحطاط الدول الحاكمة وأصيب من النكبات بما لم يصب به غيره من الاقطار
الاسلامية اذ هاجمته في أواخر القرن الخامس من الهجرة جيوش الصليب
واستعرت في أرجائه نيران تلك الحروب المشؤمة مدة جيلين كاملين الله أعلم بما
أصاب في غضون هذا القطر من الخراب والتدمير ثم تبع ذلك هجوم النصار عليها
في نصف القرن السابع للهجرة وتخريبهم للمدن والامصار وفعلهم في البلاد
وأهلها الافعال السكبار ونلى ذلك هجوم تيورلنك عليها في أواخر القرن الثامن
بعدا كتساحه لما في طريقه من ممالك الاسلام وفعل في سورية الافاعيل وأجلى
عن دمشق خاصة أهل العلم والصناعة واستصحهم معه في عودته الى سمرقند

على ان موقع هذه البلاد الجغرافي وطبيعة أرضها المشهورة بالخصب
وأهلها المعروفين بالجلد حفظ لها ذماء الحياة وأعان أهلها على تحمل المصائب فلم
تنحط الى الدرجة التي تفقد معها أصول المكاسب بل استمرت حلب ودمشق
الى عهد قريب محطاً لحركة القوافل الآتية من العراق تحمل بضائع المعجم والهند
وتعود بالبضائع الشامية بل والبضائع الغربية أيضاً اذ كان هذا الطريق قبل فتح

ترعة السويس أخصر طريق بين الغرب والشرق
وكذلك الصنائع فإنها بقيت حية نامية حتى في العصور المتأخرة على عهد
ملوك الطوائف يدان على هذا ما بقي منها وما لم يبق أيضاً وجود أثره الذي ينبت
عنه فإما الباقي منها إلى الآن فصناعة الأقمشة الحريرية والقطنية كأقمشة اللبس
المعروفة بالشاهية أو القطنية والديما أو الغزالية والألاجا والحامدية وغيرها
وكأقمشة الزينة كالستائر والمتكئات وغيرها من أقمشة الحرير والصوف والقطن
المتخصصة بالزينة وأخصها الأطلس المعروف قديماً بالدامسوق إلى غير ذلك من أنواع
الأقمشة كالشراشف والمناشف والكوفيات والاحزمة كل هذا باق إلى الآن
وهو في أعلى طبقة من دقة الصناعة ورواء المنظر ومثانة النسيج وبهاء الألوان
وتناسب النقش وقد اختلفت ببعض هذه الصنائع دون البعض الآخر كثير من
البلدان السورية كحلب وحمص ودمشق وطرابلس والذوق (من لبنان)
 وغيرها

وصناعة الخفر والنقش على الخشب بالصدف المعروفة (بالمفصص)
وهي من الصناعة الخاصة بدمشق وقد ترقى الآن فتعدت الصدف إلى النقش
بقطع الخشب الملون الدقيقة بحيث لا يظنها الناظر إليها إلا منقوشة بالدهان
لتماسك الأجزاء الصغيرة والتحامها التحاماً لا يظهر منه أن النقوش إنما هي
أجزاء صغيرة ملتصقة في الخشب إلا بعد إمعان النظر فيها والتدقيق في نقوشها
وصناعة الصابون ومعاملها لم تنزل تشتهل إلى الآن في حلب ودمشق
ونابلس وغيرها

وصناعة النشا وفي دمشق معامل كثيرة لها تسمى القاعات لم تنزل لهذا
العهد تصنع كميات عظيمة من النشا إلا أنه قل تصديره إلى الخارج بسبب مزاحمة

النشا الافرنجى له في البلاد التي كان يصدر اليها كعصر وغيرها
وصناعة الدباغة وهي موجودة في معظم المدن السورية الا انها ساذجة لم
تترقى الا في مدينة زحلة التابعة لجبل لبنان فانها تحسنت الآن وكادت تضاهي
الجلود التي تصنع في زحلة الجلود التي تصنع في معامل أوروبا
وصناعة البناء والحفر في الاحجار ونقشها نقوشاً ثائرة أو مجوفة وهي صناعة
قديمة في البلاد تمتد الى زمن الفينيقيين كما استدل على ذلك بالآثار الحجرية الباقية
الى الآن والظاهر انها كانت تختلف باختلاف حال الدول وجها للبدخ وميلها
للعمران فالبناء في عصر الفينيقيين ومن تلاحم من الدول في سورية كان ظاهر
الفخامة عظيم الضخامة منقن النقش والترتيب كما يكل بعبك الذي بلغ الغاية في
إتقان البناء والتصوير الناقى على الحجر الصلد ومثله هيكل تدمر أيضاً على أنها لم تر
أثراً يشبهها إلا وأخر الدولة الرومانية ولما جاء الاسلام وتبسط الامويون في
العمران وابتنى الوليد جامع دمشق وبيت المقدس ظهر ثابته فن إتقان البناء وكان
أجمل رواء منه في عصر الرومانيين من حيث النقش الدقيق على الاحجار المعروف
لهذا العهد بالحفرو والتنزيل وأما في القرون الوسطى الهجرية فقد انحطت هذه
الصناعة انحطاطاً قليلاً بدليل ما نشاهده منها في بعض المساجد التي بنيت على عهد
الملوك الجراكسة وغيرهم كجامع الملك الظاهر بدمشق ثم نهضت في القرون
المتأخرة وترقت من فن البناء صناعة الزخرف والحفرو والتنزيل ترقياً عظيماً حتى
هذا العهد وقد بنى في العام الماضي محراب لجامع الأموي كله من القطع الرخام
الملونة الصغيرة فكانت على تناسب أوضاعها وإتقان صنعها وترتيب أشكالها
معجزة من معجزات الصناعة ومثله المنبر الذي أقيم في جانبه وعلى نمطه أيضاً
وصناعة الزجاج وهي اليوم متدنية جداً لا تتعدى صنع القوارير الساذجة

ومعاملها موجود في دمشق وغيرها

وصناعة الحبال المتخذة من قشر القنب وهي مترقية عظيمة الخطر وتوجد
مصانعها بكثرة في دمشق وتصنع مع الندر في بيروت وحماة
وصناعة النحاس ونقشه نقوشاً ناتئة ومحفورة وكانت فقت مندخمسين
سنة ثم عادت الآن بسبب كثرة رغبات الاوربيين بالآنية النحاسية التي من
هذا النوع

وصناعة الصاغة وهي الآن مترقية في معظم المدن السورية
وصناعة أدوات الخيل وهي الآن مترقية وقد تناوات كثير آمن الصناعات
كصناعة الهميانات والصناديق الجلد وغيرها: فهذه الصناعات الباقية الى الآن في
سورية ويوجد غيرها أيضاً مما لا أهمية لذكره وأما الصناعات التي اندثرت وإنما
تدل عليها آثارها فهي صناعة القيشاني وكانت خاصة بدمشق والموجود منها لهذا
العهد في بعض المنازل والحمامات والجوامع يدل على ترقى هذه الصناعة في العصور
المتأخرة ترقياً عظيماً خصوصاً في القرن التاسع والعاشر الى الثاني عشر وفي جامع
الشيخ محي الدين العربي في الصالحية الذي ابتناه السلطان سليم العثماني في أوائل
القرن العاشر نوع منه بلغ الغاية في الاتقان ودقة الصنع وبهاء اللون وتناسق
النقوش وكذلك الموجود في جامع الدرويشية وتاريخ صنعه المكتوب عليه هو
سنة (٩٨٣ هـ) والموجود في جامع السنانية وتاريخ صنعه المكتوب عليه هو
سنة (١٠٠٠ هـ) وقد دثرت هذه الصناعة في القرن الماضي لانحصارها في عائلة
واحدة ضن آخر فردمها بتعليم هذه الصناعة لسواه ومات فماتت معه والخبر
عن هذا متواتر مستفيض الى اليوم عند الدمشقيين والظاهر أن أصل هذه
الصناعة فارسية بدليل نسبتها الى قيشان المحرفة عن قاشان بلي في فارس

وصناعة الخزف وقد كانت أيضاً في أعلى طبقة من الدقة وتدل آثارها على أنها كانت مرتقية في القرون الوسطى والمتأخرة الهجرية وانما عرفنا ذلك بمشاهدة قطع من مصنوعات الخزف استخرجها الدكتور (هوردوشانو) من التل المعروف بتل الباب الشرقي خارج دمشق لما اشترى من الحكومة هذا التل وأزاحه من بضع عشر سنة فوجدناها تشابه ما اكتشفته جمعية البعثة الاثرية الفرنسية في مصر من القطع والآنية الخزفية المصنوعة في عهد الفاطميين والجزراكسة^(١) وقد شاهدت بعض هذه القطع المصرية عند صديق لي الماني وعليها اسم العامل بالعربية إلا أنني لم أعثر في القطع الدمشقية على اسم للمعمل ولا العامل وأنا أبحث الآن عن ذلك فاذا عثرت على شيء من هذا القبيل ربما أعود لذكره في مكان آخر على وجه التفصيل

صناعة الفسيفساء وهي قطع صغيرة من الزجاج الملون والمذهب تنقش بها الجدران بأن ترصف على طبقة من الجبس على أشكال شتى جميلة الصنع والترتيب تمثل الأنهار والأشجار والابنية الجميلة وهي من أنفس الصنائع التي وجدت بدمشق وهي من مخترعات الروم بدليل ان الوليد بن عبد الملك لما ابنتي الجامع الأموي بدمشق استعملها من القسطنطينية ورصف جدرانها كلها بالفسيفساء على أشكال شتى تمثل الجامع والأشجار والأزهار ولاكثر ما طرأ على الجامع من الحريق تساقطت عن جدرانها الفسيفساء إلا قليلاً منها في الحائط المقابل للمنبر في الحرم الداخلي والحائط الغربي والشامي في الحرم الخارجي فإما ما كان منها على الحائط الداخلي فقد تناثر بهضه في الحريق الذي حدث منذ بضع سنين وأما ما كان

(١) راجع مذكرات البعثة الاثرية الفرنسية المطبوعة باللغة الفرنسية

منها في الحرم الخارجي فقد أدركته في طفولتي وقد تشعثت القناطر الحاملة
للجدار ولما أريد ترميمها اقتلع ما عليها من الفسيفساء إما عمداً عن جهل بقيمة
الاثريّة وإما اضطراراً فكان يجمعه الأولاد وخدمة الجامع يومئذ ويبيعونه
للسياح. والظاهر أن صناعة الفسيفساء استمرت في الشام إلى ما بعد القرن السابع
بدليل ما يشاهد منها في جدران بعض جوامع حلب وجامع الملك الظاهر بيبرس
بدمشق إلا أن القطع غير متماسكة في التركيب ولا منتظمة في الرصف وليس لها
من بهاء الصنع ودقة التناسب في النقش ما كان لمثلها في الجامع الأموي وهو يدل
على انحطاط صناعة النقش بالفسيفساء يومئذ انحطاطاً انتهى إلى تركها تماماً

وصناعة السيوف الدمشقية وقد كان يتنافس بها ويضرب المثل بلين متونها
ومضائها وقد دثرت منذ أجلي تيمورلنك صناعتها معه إلى سمرقند على أنه لم تنزل
إلى هذا العهد صناعة الأسلحة والسيوف موجودة بدمشق وغيرها من مدن
سورية إلا أنها منحطة عن مرتبتها الأولى

وصناعة الاثواب البيض المعروفة (بالخام الصالحاني) وكانت خاصة
بدمشق وبعض قرى جبل قلمون ولم يبق لها اعتبار منذ كثرت وارد البضائع
الافرنجية التي من نوعها إلى سورية وكان من بضع سنين شيخ في صالحية دمشق
ومن أرباب هذه الصناعة طاعن في السن قد بلغ من السكبر عتياً يقول إن الصالحية
منذ أربعين سنة فصاعداً كانت منازلها كلها أشبه بمعمل واحد يحوك أهله تلك
الاثواب البيض من القطن المغزول بالشام وإن أهل الصالحية جميعهم كانوا في تنم
وغنى زائد من ثمرات هذه الصناعة فأصبحوا الآن في ضنك وعسر لفقداهم
أولمدم الحاجة إليها

وقال ذلك الشيخ إنه أدرك أسواق دمشق وكل سوق منها لأرباب

صناعة مخصوصة كسوق الشمايين واللبادين والغلاينية^(١) والخرّاطين وسوق
السلاح والعلبية وسوق المراتية والقبارين وغير ذلك من الاسواق التي لم يبق
اصنائع أهلها إلا رسم دارس وعهد طامس اللهم الا العلية والخرّاطين فقد بقيت
منهم بقية الى الآن لعدم استغناء البلاد عن صناعتهم لهذا اليوم

ومن الصنائع النفيسة التي فقدت من دمشق وكانت خاصة بها صناعة
الدهان المعروف عند الدمشقيين (بالعجمي) وهو بأن ينقش باطن سقف الغرفة
والجدوران المبطنة بالحشب بالجبس الناتئ على أشكال بديمة ويذهب بعضها
وبعضها يلون بالوان غير زاهية وهي من أدق الصنائع النفيسة وأجملها وكان لهذا
النوع تركيب مخصوص من الدهان بحيث يستمر لونه لا مآ ذابها ورونيق
مهما تطاولت عليه السنون ويوجد لهذا العهد كثير من آثار هذه الصناعة في
منازل دمشق ومنها ما هو موجود في منزل أسعد باشا العظم الذي يقصده السياح
للفرجة وفي منزل عبد الله باشا ومنزل المرادي ومنها ما مضى على بنائه لهذا اليوم
نحو مائة وخمسين سنة ولم يزل الدهان الذي فيه زاهياً جميلاً كما تصنع بالامس .
والظاهر أن فقد هذه الصناعة من دمشق قريب عهد لوجود بعض آثارها التي
لم يعض عليها الى اليوم أكثر من ستين سنة وإنما أهملت في السنين المتأخرة
لكثرة ما تحتاج اليه من النفقات التي لا يتحملها الآن أهل الترف والبذخ للفقير
الذي ألم بالبلاد منذ انحطت فيها أسباب المكاسب وقد تقدم القائلون ببناء الجامع
الاموي لهذا العهد بعد الحريق الذي طرأ عليه الى بعض الدهانين الطاعنين في
السن الذين يعلمون شيئاً من هذه الصناعة بدهن السقيين الذين يليان القبة من
الجنوب والشمال بذلك الدهان فأتقنوا صنعه إلا أنهم أدخلوا فيه بعض الالوان

(١) صناع الغلايين التي يستعمل بها التبغ

الزاهية فخالف أصل الصنعة إلا أنه جاء جميلاً وافيًا بالفرص لا عيب فيه
 هذا ما أرادنا بسطه عن حالة سورية الصناعية والاجتماعية وبقينا لكلام عن
 حالتها لهذا العهد من حيث الترقى أو الانحطاط سواء كان في العلوم والمعارف أو
 في الصناعة والزراعة ودرجة ثروة البلاد من هذه الاشياء ومراتب أهل مدنها
 منها وعدد نفوسها والسكك الحديدية التي أنشأتها الشركات الاجنبية فيها الى
 غير ذلك مما يتعلق بالحالة الاجتماعية على العموم في هذه البلاد وبما أنها تابعة في
 هذا كله الى المملكة العثمانية فقد أرجأنا الكلام على ذلك الى الاجزاء التالية
 التي نخصصها لرجال الدولة العثمانية ونتكلم فيها عن هذه الدولة التي نضرع الى الله
 تعالى أن يؤيدها بروح القوة والعلم ويصونها عن الزوال بأن يرشد رجالها الى
 طرق الخير وينزع من نفوسهم حب الشهوات ويزرع فيها حب الملة والوطن
 لينقذوا الأمة العثمانية من خطر الانحطاط الى دركات الضعف والاضعاج لئلا
 أشرفت عليها لهذا العهد وكاد اليأس من سلامة استقلالها يستولى على نفوس
 العقلاء من أفرادها الذين بقي فيهم ذمء من الحياة وأثر من الشعمور فباتوا
 يتقلبون على مضاجع الآلام وتساورهم الهوم والجسام ولا سبيل لهم الى إصلاح
 الحال وتدارك خطر المآل لانهم اذا نصحو أزموا بالحياة واذا صدقوا خرجوا
 في عرف الجهلاء من عهد الامانة وهي حالة يارباه تؤذن بتسفل الاخلاق
 وضعف العقول وموت الوجدان فانقذنا اللهم بفضلك منها وارشدنا للتبرئ
 من عارها الذي جعلنا عبرة في الآخريين والعبوة في أيدي الغريبين انك
 مجيب الدعاء



❦ باب ❦

❦ فتح العراق وفارس ❦

(إنتداب أبي عبيد ووقعة الجسر وغيرها)

تقدم معنا أن أول عمل عمله عمر (رض) في خلافته هو إجلاء أهل نجران وعزل خالد بن الوليد وانتداب الناس لحرب الفرس فأما الخبر عن الامرين الأولين فقد بسطناه فيما سبق وأما الخبر عن حرب الفرس فذلك أن المثنى بن حارثة الشيباني الذي خلف خالد بن الوليد على حرب العراق وفد على أبي بكر في حال مرضه ليفاوضه في شأن الهجوم على بلاد فارس ماداموا مختلفين بينهم على من يولونه الملك بعد شهريراز الذي أدت موته إلى تلك سابور ثم قتله وقيام أزره يمدخت ثم بوران إلا أن أبا بكر رضي الله عنه لم يسمعه إجابة طلب المثنى لمرضه فأوصى عمر بن الخطاب (رض) أن ينتدب الناس بعد توليه منصب الخلافة مع المثنى بن حارثة لحرب الفرس فقام عمر في صبيحة اليوم الذي دفن في ليلته أبو بكر وانتدب الناس لقصد العراق فلم ينتدب له أحداً لأن وجه فارس كان أكره الوجوه إلى المسلمين وأثقلها عليهم أشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأئمة فلما كان اليوم الرابع عاد فانتدب الناس وتكلم المثنى بن حارثة فقال يهون على المسلمين خطب الفرس

يا أيها الناس لا يظمن عليكم هذا الوجه فانا قد تبجحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقي السواد (يعني الشق الغربي الذي هو العراق العربي) وشاطرناهم ولننا منهم واجترأ من قبلنا عليهم ولها إن شاء الله ما بمردها الله
وقام عمر (رض) في الناس فقال

إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجمة^(١) ولا يقوى عليه أهلها إلا بذلك
 ابن الطراء المهاجرون عن موعود الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في
 الكتاب أن يورثكموها فانه قال (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) والله مظهر دينه
 وممزن ناصر ومولي أهلها مواريث الأمم. أين عباد الله الصالحون اه

فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي وثي سعد بن عبيد وسليط
 ابن قيس فلما اجتمع ذلك البعث قيل لعمر أمر عليهم رجلا من المهاجرين والانصار
 فأبى وقال إن من سبق الى الدفع وأجاب الى الدعاء أولى بالرياسة ثم أمر أبا عبيد على
 الجيش وقال له: إسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشركمهم في الامر
 ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين فانها الحرب والحرب لا يصلحها إلا الرجل المسكيت
 الذي يعرف الفرصة والكف^(٢) ولم يمتنعني أن أوامر سليط إلا سرعته الى الحرب
 وفي التسرع الى الحرب ضياع إلا عن بيان والله لولا سرعته لأمرته ولكن
 الحرب لا يصلحها إلا المسكيت

خرج أبو عبيد في آخر جمادي الأولى أو أوائل جمادي الثانية سنة (٥١٣ هـ)
 ومعه سعد بن عبيد وسليط بن قيس أخو بني عدي بن النجار والمثنى بن حارثة
 الشيباني فتقدمهم المثنى الى الحيرة وكان استقر أمر فارس لبوران فاستدعت رستم
 من خراسان وتوجهت اليه حماية البلاد وسلمته قيادة الجند فكتب رستم
 الى دهاقين السواد أن يشوروا ودس في كل رستاق رجلا ليثور بأهله وبعث جنداً
 لمصادمة المثنى وبلغ المثنى ذلك فضم اليه مسالحه واجتمع اليه المسلمون فسار بهم
 الى خفان ونزلها حتى قدم أبو عبيد وكان أول من سار من الدهاقين جابان في فرات

(١) النجمة طاب الكلاء (أي المرعى) في موضعه كما في القاموس

(٢) يعني الرجل المتأن الذي يعرف ساعة العمل فيعمل وساعة الكف فيكيف

بادقلى فسار اليه أبو عبيد فالتقوا بالمارق وتقاتلوا فهزم أهل فارس

﴿ موعظة ﴾

لما هزم الفرس أسرى جابان أسره مطرب بن فضة التيمي فخذه جابان بأن
وعده بشئ يعطيه له فآمنه وخلقى عنه فأخذه المسلمون فأتوا به بأبي عبيد وأخبروه أنه
الملك وأشاروا عليه بقتله فقال: انى أخاف الله أن أقتله وقد آمنه رجل مسلم
والمسلمون فى التوادد والتناصر كالجسد مالزم بعضهم فقد لزم كلهم: فقالوا له انه
الملك وانه هو الذي حاربنا: قال وان كان لا أغدر فتركه

أنظر رحمك الله الى هذا الامير العظيم النفس الصادق الايمان الذى ملك
ناصية عدوه الذى غدر بالمسلمين وأثار عليهم نائرة البلاد وقابلهم بشكران الجميل
وخرق العهد فأبى أن يقتله لمه سبق له من فرد من أفراد المسلمين الذين بلغ بهم
التناصر والتوادد ثم إن أميرهم يقوم بحق صغيرهم ويلتزم بما التزم به حقيرهم فإن
تلك النفوس البارة والاخاء المتوثق والوجدان الحساس والتناصر النافع مما طرأ
بعد ذلك على المسلمين من فساد الاخلاق وضعف اليقين وانحلال عرى الاخوة
حتى باتوا ألباعاً على بعضهم وحراباً على أنفسهم يتميزهم الاعداء ويتقلب عليهم
القاتحون وأمراؤهم فى تناكر وتخاذل يتربص بعضهم أذى بعض ويتمنى أحدهم
زوال ملك أخيه انفراداً باسم الرياسة وطاعة لهوى النفس الشريرة وما يتمنون فى
الحقيقة الا زوال ملك الاسلام وما يطمعون الا شيطان الخذلان

اللهم قد انفرجت بيننا وبين السلف مسافة الخلف وصوح نبت الاسلام
وتناكرت النفوس وتقطعت أسباب الاخاء وانحطت أخلاق الامراء وتفشى
الجهل فى قصور العظام وتنوسيت أصول الدين وغلبت الشهوات وتقلب علمنا
الأمم وحسبنا من جزائك العادل ما القينا من جور أمرائنا وتحكم أعدائنا

فاهدنا من الحق والعلم صراطاً نخلص به الى طاعتك فيما أمرت فنوثق عرى
الاخاء ونبذ من كانوا سبب التقاطع والشحناء ونجدد عهد التسالف وتمسك
باسباب التناصر والتكاتف انك مجيب الدعاء

﴿ عود الى خبر أبي عبيد ﴾

انهزمت جنود جابان من الممارق ولحقت بكسكر حيث يخيم قائد اسمه
نرسي من الأسرة الكسروية فأمر أبو عبيد بالرحيل ورحل بجنده حتى نزل
بكسكر وكان أهل كسكر وما حولها من البلاد ينظرون مجيء الجالينوس مدداً
لهم من قبل رستم فعاجلهم أبو عبيد والنوايا يمكن يدعى السقراطية فاقتتلوا قتالاً
شديداً فانهزم الفرس وهرب قائدهم نرسي وغلب على عسكره وأرضه وأقام أبو
عبيد وسرح القواد لاستخضاع من حوله من أهل السواد فجاء فروخ وفرزنداذ
المثنى بن حارثة وطلباه من الجزاء والذمة عن عن باروسما ونهر جو بر فبلغهم بأبوعبيد
فصالحاه على شيء معلوم

﴿ موعظة أخرى ﴾

لما تم الصلح بين أبي عبيد وبين فروخ وفرزنداذ جاءه بآية فيها انواع
أطعمة فارس من الالوان والاخبصة وغيرها فقالوا هذه كرامة أكرمناك بها
وقرى لك : قال : أكرمتم الجند وقرىتموهم مثله : قالوا : لم يتيسرو ونحن فاعلون
: فقال أبو عبيد فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند فردوه وخرج حتى نزل باروسما
فاتاه الاندزغرمثل ما جاء به فروخ وفرزنداذ : فقال : لهم أكرمتم الجند بمثله
وقرىتموهم : قالوا لا : فردوه وقال لا حاجة لنا فيه بثس المرء أبو عبيدان صحب قوماً
من بلادهم اهر اقواد هم دونه أولم يهريقوا فاسسنا ثم عليهم بشيء يصيبه لا والله
لا يأكل مما آفأه الله عليهم الاممياً كل أو ساطهم

هكذا كان الامراء وقادة المسلمين يفعلون ويمثل هذه الاخلاق يمتازون
 وبحب المساواة مع عامة الناس في السراء والضراء يوصفون ويمثل هذه الخصال
 الجميلة يسودون لا بالاستئثار بفضي المسلمين ولا بالترفع عن عامة المؤمنين ولا
 باستلاب مال البلاد التي احرزها المجاهدون بسيو وفهم وأسألوا على جوارها بما هم
 وهذا المبدأ الذي نأسس عليه الاجتماع الاسلامي منذ ثبت الاسلام في
 أرض العرب هو مبدأ الاشتراك المعقول الذي ينجبظ للوصول اليه زعماء هذا
 المذهب لهذا العهد خبط عشواء لضلالهم عن طريقه المستقيم وغلوا في غلو
 الجاهل بخوافيه اذ فاتهم أن البداوة وسداجة الفطرة أصل في قبول الخير والشر
 وأن الانسان اذا افسدت الحضارة نحيزته واخذ حب البسوخ بمجامع قلبه
 استحال تقويم اودنفسه وإرجاعه عن غلوائه والاقلال من اثرته وكبريائه والاخذ
 على أيدي قاداته وزعمائه مالم يكن هؤلاء هم المرربون لشعبهم القائمون على تقويم
 اخلاق من دونهم لهذا كان زعماء الامة وخلفاؤها في صدر الاسلام قدوتها
 الصالحة في تربية تلك النفوس الساذجة على مبدأ حب العدل والمساواة ومشاطرة
 الخير والشر والسكف عن الشهوات وعن حب الاثرة بالنفي والجاه والنفخة
 الباطلة كما رأيت في قصة أبي عبيد (رض) وبلغ بعمر بن الخطاب (رض) بغضه بداء
 حب الاثرة وكرهه لا كتمناز البعض للمال دون البعض الآخر ان كان يحصى
 مال عماله قبل أن يسند اليهم الامارة لكي يناقشهم الحساب بعد ذلك عما يزيد عن
 مقتناتهم من المال قبل الامارة ويصادرهم عليه ثم يردده على المسلمين وبلغ على بن أبي
 طالب رضی الله عنه في خلافته أن عاملا من عماله أسرف في جمع المال ومال الى
 التمتع وحاد عن سبيل القصد فكتب اليه كتابا طويلا مما جاء فيه قوله
 أيها الممدود كان عندنا من ذوى الألباب كيف تسبيغ شرابا وطعاما وانت

تعلم أنك تأكل وتشرب حراماً وتبتاع الاماء وتشكح النساء من مال اليتامى
والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الاموال وأحرزهم
هذه البلاد. فأتق الله واردد الى هؤلاء القوم أموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنتي
الله منك لا عذرنا الى الله فيك ولأضربك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً
الأدخل النار الخ

فأين هذا الخليفة في مشربه القويم ومذهبه المستقيم في تأديب العمال
بأدب نفسه وحملهم على طريق القصد وعدم السرف في أموال العباد ممن يربي
عماله على العكس من ذلك ويطلق يدهم في أموال الناس بل ويحكمهم في رقاب
الرعية ويذني فاجرهم منه ويقصي عفيفهم عنه وكيف يقوم للقائلين بهذا المذهب
الآن قائمة بين أقوام أمات شعورهم الاستغراق بالترف وقتلهم الخنوع للشهوات:
ان هذا لا يتيسر الآن الا اذا صبغ اديم الارض بنجيع الانسان وتبدل الاشرار
بالاخيار وذلك أمر بعيد

✽ عود الى خبر أبي عبيد ✽

رحل أبو عبيد من السقاطية وقدم المثنى في تعبته حتى قدم الحيرة وكان
الجالينوس رجع الى رستم ومن أفلت من جنوده واستحنه على مقابلة المسلمين
فوجه بهم من جاذويه ورد الجالينوس معه فاقبل بهم من جاذويه ومعه راية كسرى
(درفش كايان) وكانت من جلود لئمر^(١) وأقبل أبو عبيد حتى نزل بالمرحة على

لهذه الاية قصة عجيبة جاءت في أخبار الفرس وما خصها أن أحد ملوك الفرس
جار على رعيته واسترسلت حكومته في الظلم الى حد لا يطاق فقام من رعيته يوماً رجل
حداد حامل بين قومه عظيم في نفسه فخرج من حانوته ورفع على عصا طويلة الجلد
الذي يربطه احداد عادة في وسطه ونادى في الناس من لا يطبق الظلم فاي تبغني فاتبعه
عامه الناس فقتلوا ذلك الملك ورجال دولته وأسس ذلك الحداد الدولة الكسروية =

ضفة النهر المقابلة للضفة التي فيها معسكر الفرس وتسمى قس الناطف فبعث اليه
 بهن جاذويه إما أن تعبروا الينا وندعكم والعبور وإما أن تدعونا نعبركم
 فأشار عليه الناس بعدم العبور وكان من أشدهم إلحاحاً عليه بعدم العبور سليط بن
 قيس فأبى قبول اشارتهم وترك الرأي وقال لا يكونوا أجراً على الموت منا وعب
 ومعه المسلمون وكان الفرس في عدة لم ير مثله المسلمون

وهذا وان يكن اقدم من أبي عبيد رضى الله عنه وشجعاً لا يصدران
 عن غيره الا انه خطأ وقع فيه لا مريد لله وكانت عاقبة هذا الخطأ أن قُتِل
 أبو عبيد اذ هجم على فيل من الافيال وضربه فخبطه الفيل وكانت أسرع السيوف
 في أهل فارس وأشرفوا على الهزيمة فلما خبط أبو عبيد وقام عليه الفيل جال
 المسلمون جولة ثم انهزموا وركبهم الفرس فبادر رجل من ثقيف الى الجسر فقطعه
 قصد إرجاع المسلمين عن الهزيمة فانهى الناس اليه والسيوف تأخذهم من خلفهم
 فتهافتوا في الفرات ولما رأى المثنى بن حارثة ذلك البطل الجليل هذا الحال بادر هو
 ونفر من الشجعان فحوى الناس حتى عقدوا الجسر وعبروهم ثم عبروا في آثارهم
 فأقاموا بالمروحة والمثنى جريح وهرب الناس على وجوههم وقتل سايط بن قيس
 الذي نصح أبا عبيد على عدم العبور وبقي المثنى في جمع قليل ولما انتهى الخبر الى
 عمر بن الخطاب اشتد عليه الامر وبلغه ان بعض الفارين أوى الى المدينة فخطب
 فقال: عباد الله اللهم ان كل مسلم في حل مني أنا نائمة كل مسلم يرحم الله أبا عبيد لو كان
 عبر فاعتصم بالحنيف أو تحيز الينا ولم يسقتل لكناله فئمة:

واذ كان المسلمون يعلمون أن الفار من القتال آثم لقوله تعالى في الكتاب

فأخذ ملوكها راية الحداد شعاراً لهم ثم جاءوا من جلود النمر وسمو هادر فشن كايان

وكانوا لا يخرجونها الا حين الحاجة القصوى

السكريم (ومن يؤلهم يومئذ ذبُرُهُ الأمتجرِ فألقتال أومتجيزاً الى فئته فقتدباء
بغضب من الله) الآية فقد ندم المسلمون واستحيوا من الفرار وجزع المهاجرون
والانصار جزعاً شديداً ولما رأى عمر رضى الله عنه جزعهم قال : لا تجزعوا يا معشر
المسلمين انافتمكم انما انجزتم اليّ : وبلغ الجزع بما ذا القارىء احد بنى النجار ان كان
اذا قرأ هذه الآية بكى فيقول له عمر : لا تبك يا معاذ انافتمك وانما انجزت اليّ :
وذلك تخفيفاً لروعه ودفماً لجزعه فرحم الله تلك النفوس الطاهرة ما أخوفها
من الله وأشدّها تمسكاً بالكتاب وأجزعها من الوقوع في الخطأ ورضى عن عمر بن
الخطاب ما أرحم قلبه وأعظم على المسلمين حنانه

كانت جنود الفرس عقب وقعة الجسر حاولت العبور الى الضفة الثانية
ومطاردة المسلمين ولكن من عناية الله بالمشي ومن بقى معه من الجند القليل جاء
الفرس ماشغليهم عن العبور اذ وصلهم الخبر أن الناس بالمداين قد تاروا وبرستم
وانقسموا قسمين قسم معه وقسم مع الفيرزان فتمكن المشي من جمع القبائل التي
حولها وأمدّه عمر (رض) بجري بن عبد الله البجلي وقد كان قومه أوزاعاً متفرقين
في قبائل العرب فجمعهم له عمر وأمره عليهم وبعث عصمة بن عبد الله من بني عبد
ابن الحارث الضبي فيمن تبعه من بني ضبة وكتب الى أهل الردة فلم يوافه منهم
أحد الا رمى به المشي وكان ممن قدم على عمر رضى الله عنه بنو كنانة وطلبوا أن
يوجهوا الى الشام فقال لهم ذلك أمر قد كفيتموه عليكم بالعراق واسنة قبلوا جهاد
قوم قد حووا فنون العيش لعل الله أن يورثكم بقسطكم من ذلك فتعيشوا مع من
عاش من الناس فقام غالب بن فلان الليثي وعمر بن جة البارقي وقال كل واحد منهما
لقومه يا عشير تأهأ حبيبوا أمير المؤمنين الى ما يرى وامضوا له فأجابوا الى ذلك فدعا
لهم عمر بخير وأمر على بنى كنانة غالب بن عبد الله وعلى الازد عرفة بن هرثمة

وسرّهم فخرج هذا في قومه وهذا في قومه حتى قدما على المثنى
 وقدم على عمر (رض) هلال بن علفة التيمي فيمن اجتمع اليه من الرباب
 فوجهه وقدم عليه المثنى الجشمي جشم سعد فامر به على بن سعد وسرّحه وجاء اليه
 ربيعي في اناس من بني حنظلة فامر به عليهم وخرجوا حتى قدم بهم على المثنى بن
 حارثة فرأس بعده ابنه شبت بن ربيعي وقدم على عمر غير هؤلاء من زعماء
 العرب فوجههم الى المثنى

وكان الفرس لما أحسوا باجتماع العرب وبكثرة من جاء من النجدة للمثنى
 ابن حارثة جمعوا كلمتهم وجاء الفيروزان ورستم الى بوران وأخبراهما انهما اتفقا على
 أن يرسلوا الى قتال المسلمين مهران بجيش كثيف واستأذناها بذلك ثم بعثا مهران
 بجنده حتى نزل من دون الفرات والمثنى وجنده في محل يدعى البويب على شاطئ
 الفرات لاخر وكانت الجنود اليه متواصلة وجاءه أنس بن هلال النمري ممدّا في
 أناس من نصارى التمر وقدم عبد الله بن كليب الغنبي المعروف بمردي الغمد في
 أناس من نصارى تغلب فلما رأوا نزول العرب بالعجم قالوا نقاتل مع قومنا
 وانضموا الى جند المسلمين ولله مات فعل الجامعة القومية في النفوس

لما اجتمعت جموع العرب والفرس بعث مهران الى المثنى إما أن تعبروا الينا
 وإما أن نعبركم فقال المسلمون اعبروا الينا فعبروا اليهم وجاء وهم من قبل نهر
 بنى سليم في صفوف ثلاثة ولهم ضوضاء وزجل فقال المثنى للمسلمين ان الذم
 تسمعون ففشل فآلزموا الصمت ثم تقدم اليهم المثنى وعلى مجنبتيه بشير وبسر بن أبي
 زهم وعلى مجردته المعنى وعلى الرجل مسعود بن حارثة وعلى الطلائع النسيير وعلى
 الرداء مذعور وكان على مجنبتى مهران الآزابه مرزبان الخيرة ومرزبان شاه ثم

خرج المثنى يتعهد صفوف المسلمين ويحضّضهم^(١) ويأمرهم بأمره ويهزّهم بأحسن ما فيهم تحضيضاً لهم ولكّهم يقول انى لا رجوان لا تؤتى العرب اليوم من قبلكم والله ما يسرني اليوم لنفسى شىء الا وهو يسرني لعامتكم فيجيبونه بمثل ذلك وأنصفهم المثنى في القول والفعل وخلط الناس في المكروه والمحبوب فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً لاسيما وانه كان على شرفه وعلو منزلته شجاعاً ميمون النقيية فكان المسلمون يحبونه ويعجبون بقيادته كما يعجبون بقيادة خالد بن الوليد

ثم ان المثنى كبر وكبر المسلمون وكان واعدتهم بالهجوم عند رابع تكبيرة فعاجلهم الفرس من الأولى وخالطوهم والتحم القتال وجعل المثنى كلما رأى خلافاً فى صف من صفوفه يرسل لاهل الصف رجلاً يقول ان الامير يقرأكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم فيقولون نعم ويمتدلون ولما طال القتال واشتد حمل المثنى وحمل معه انس بن هلال ومرّدى الفهر وقصد المثنى مهران فأزاله حتى دخل في ميمنته واضطربت صفوف الاعاجم ولقى غلام نصرانى من تغلب مهران فقتله ثم استوى على فرسه وتضع مضع الفرس فانهزموا وبادرهم المثنى الى الجسر ففتح مرورهم منه فهربوا مصعدين ووصوبين والسيوف تأخذهم من كل جانب وكان ذلك بحسن قيادة ذلك البطل الجليل المثنى بن حارثة الذي أظهر من البراعة والشجاعة في هذه الواقعة ما يخدله طيب الذكر الا أنه أظهر يومئذ ندمه على أخذه بالجسر وقال: لقد عجزت عجزة وقي الله شرها بما بقى اياهم الى الجسر وقطعه حتى أخرجتهم فاني غير عائد (يعنى الى مثل هذا الخطأ) فلا تعودوا ولا تقبلوا بي ايها الناس فانها كانت مني زلة لا ينبغي احراج احد الا من

(١) حضّضهم كحضّضهم اى حثهم وأحماهم عليه كما في القاموس

لا يقوى على امتناع: هذا من حسن بصيرته وسديده رأيه ونايته للحق رضى الله عنه
ومات من أعلام المسلمين ممن كانوا جرحوا في هذه الواقعة ناس منهم خالد
ابن هلال ومسهود بن حارثة اخو المثنى فضلى عليهم المثنى وقال والله انه ليؤمن علي
وجدى (أي اسفه وحزنه) أن شهدوا البويب. اقدموا واصرروا ولم يجز عوا ولم
ينكوا. وأن كان في الشهادة كفارة لتجاوز الذنوب

وكان اشد الناس بلاء في هذه الحرب من شهدوا وقعة الجسر مع ابي عبيد
لاستحيائهم من الفرار في تلك الواقعة ولما انهزم الفرس في البويب انتدب المثنى
جرير بن عبد الله البجلي لعبور الفرات وتبع انصاره فانتدب معه من شهدوا واقعة
الجسر وغنمو اغنائهم كثيرة وعادوا

﴿ شجاعة النساء المسلمات ﴾

ذكر ابن جرير الطبري ان المثنى وعصمة وجرير اصابوا في ايام البويب غنما
ودقيقاً وبقراً فبعثوا بها الى عيالات من قدم من المدينة وقد خلفوهن بالقوادس
والى عيالات أهل الايام قبلهم وهم بالحيرة وكان دليل الذين ذهبوا ابن صيب
العيالات الذين بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن ببيعة فلما رُفِعوا (أي ظهروا)
للنسوة فرأين الخيل تصايحن وحسبها غارة فقهمن دون الصبيان بالحجارة والعمد
فقال عمرو ابتهاجاً بهن: هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش: وبشر وهن بالفتح: وكان
على الخيل التي اتهم بالنزل (الضيافة) النسيير فأقام في خيله حامية لهم

ولا جرم فلو لم يكن لجيش المسلمين ثقة بشجاعة نساين وامكان دفعهن
العدو والمفاجى لما تركوهن في القلاة بلا حامية وتقدموا هم لحرب الفرس وقد رأيت
كيف كان النساء المسلمات في اليرموك يقاتلن مع الرجال وكذلك قاتلن في
القادسية وكن يأخذن الجرحى من ميدان الحرب ويضعن جراحهن ويمرضهن

ذكر الطبري في معرض كلامه على فتح ميسان ان المغيرة سار الى اهل ميسان
 وخلف الاثقال فلقى العدو دون دجلة فقاتل اربعة بنت الحارث بن كلدانة (طبيب
 العرب المشهور) لو لحقنا بالمسلمين فيكننا معهم (أي عوناً لهم) فاعتقدت لواء
 من خمارها واتخذ النساء من خمرهن رايات وخرجن يردن المسلمين فانهن
 اليهم والمشركون يقتلونهن فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ظنوا ان مدداً
 أتى المسلمين فانهن موأوا تبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدة وهذا العمل من النساء
 المسلمات لعمرى غاية في الجراءة ونهاية في الاقدام وحق لمثلهن ان يدخلن في
 مصاف الرجال ويأتين بأعظم الاعمال وقد أظن أدورد جبون في تاريخ
 الامبراطورية الشرقية بشجاعة النساء المسلمات التي أظهرنها على حصار دمشق
 ومما قاله عنهن: إن هؤلاء النساء اللاتي تعودن الضرب بالسيف والطمع
 بالرمح والرمي بالنبل هن اللاتي اذا وقعت احداهن في الاسر تكون قادرة على
 حفظ عفتها ودينها من أي انسان يريد ههنا بسوء

ولقد صدق فيما قاله والآن كما كان لرجالهن ان يدعوهن يخالطن الرجال في
 معامع الحرب والقتال ومن البديهي ان الحجاب لم يكن يمنع النساء المسلمات عن
 مخالطة الرجال في الحل والترحال ولكن كان لهن من الاخلاق الفطرية والعفة
 الاسلامية ما يغنيهن عن مثل الحجاب الثقيل الذي ابتدعه سكان المدن
 الاسلامية لما استغرقوا بالرفاه والترف وأفسدت أخلاقهم عوامل الحضارة
 فاذا كان لنسائنا الآن من العفة وسلامة الاخلاق وطهارة النفس وحسن
 التربية ما كان لتلك النساء في صدر الاسلام ساغ للقائلين بتخفيف الحجاب في هذا
 العصر ان يطلبوا إبراز المرأة من وراء الجدر بحلى العفة والكمال ويعطونها حقوق
 الرجال والآن فالكلام عبث لا يجدي والموقف حرج ينبغى للخروج منه اناة

وبصيرة والله أعلم بمصير الامور

﴿ عود الى خبر المثنى ﴾

لما فرغ المثنى من أمر البويب وتشدت جنود الفرس وعاد جري بن عبد الله البجلي من غزاته فرق المثنى جنوده في السواد وأخذ يستخضع البلاد التي عصت من قبل وكانت له وقائع كثيرة مع العرب ظفرت بها المسلمون بما شاؤوا من متاع ومال وبلغت غاراتهم شرقاً الى قرب مدائن فارس وشمالاً الى الجزيرة فأوقموا الرعب في قلوب الاعداء فقام الفرس لذلك وقعدوا

﴿ كلمة على دولة الفرس قبيل الفتح ﴾

ليس أضرب على الامم وأشد خطراً على استقلال الممالك من تنازع السلطة وتمهات الناس على حب الرياسة وميل الزعماء الى الاستئثار بمصالح الملك اذا ضعف جانب الممالك وتشعثت بناء الدولة وقل ما انتهت الدول في أواخر عهدها الى هذا الحال من تفرق الرأي وتغلب حب الذات والاستئثار بمصالح الملك ووضع رغبات الجمهور دون رغبات الافراد الا انتهى ذلك بزوال ملكها وتناقص ظل سلطانها وقد كانت دولة الفرس أصيبت في أواخر عهدها بهذا الداء العضال والمرض القاتل ولعله بدأ بها على عهد كسرى ابرويز في أواسط الجيل السادس بعد المسيح فقد ذكر المؤرخون ان كسرى هذا عسف الناس وشره الى أموال الرعية واستعمل رجلاً على استخلاص بواقي الخراج فعسف الرعية وظلمهم فنفرت قلوبهم منه وتحوات انظارهم عنه وكان قد بلغ به الامر ان أقصى أولاده الى بابل ومنعهم من التصرف فاغتمت عظماء المملكة ضعف سطوة كسرى وتفرقت قلوب الرعية عنه فأحضر وامن بابل ولده شيرويه وأرغموا والده على التنازل اليه عن الملك ثم أرغموا ابنه على قتله فقتله ولما صفا له الملك وشعر بتفرق أهواء زعماء

سلطنته وأحسن بضعف نفسه أصابه وسواس أفضى إلى أن أمر بقتل أخوته
وكانوا سبعة عشر أخاً ذوى مشورة وعلم وأدب وأنبه أخته بوران وازرميدخت
على فعلته فندم وأصابه حزن وغم فمات دون السنة من ملكه فملك الفرس عليهم
ابنه ازدشير وكان صغير السن فتكفل به أحد المتطلعين إلى الرياسة من أرباب
الدولة واسمه بهادر جنسن فحسده قائد جنود الثغور وامتعص من عدم
استشارته في تولية ازدشير فاتخذ ذلك ذريعة إلى التعتن وبسط يده بالقوة وطمع
في الملك فأقبل بجنده نحو المدائن عاصمة الأكرسة فدخلها وقتل جماعة من
الرؤساء وقتل ازدشير فتولى الملك بعده شهريراز وهو من غير بيت الملك ولم
يمكث في الملك إلا أربعين يوماً وقتله أشياخ ازدشير فملكته بعده بوران ثم ملك
بعدها رجل اسمه خشن شبنده فانكر الهندسيرة فقتلوه ثم ملكت ازرميدخت
وخطبها إلى خراسان فاحتالت عليه حتى قتلته فانتصر له ابنه رستم وجاء بجنده
إلى المدائن فتمكن من ازرميدخت وسمل عينيها ثم قتلها وأقام مقامها بوران
فوقع الخلف بينه وبين الفيرزان أحد عظماء الدولة وتنازع السلطة وتفشت
القوضى في الملك وظهر الخلل والضعف على الدولة ولما انتزع المسلمون منها
العراق ودحر المشي جيوش الفرس وتحفز جنود الإسلام للوثوب على عرش
الأكرسة دب في عامة الشعب الفارسي ديب الشعور بحرج الموقف الذي
وقفت فيه دولتهم وأحسوا بالخطر الذي جره عليهم أمر أوهم وقادتهم فهبوا من
سباتهم العميق فأقبل رجالهم وذوو الرأي منهم إلى الفيرزان ورستم وقالوا لهما: لم
يرح بكم إلا اختلاف حتى وهننا أهل فارس وأطمعنا فيهم عدوهم وإنه لم يبلغ من
خطر كما يُقر كما فارس على هذا الرأي وإن تعرضاها للهلكة ما بعد بغداد وساباط
وتكرت الأمدائن (يعنون البلاد التي احتلها المسلمون) والله لتجتمعان أو

لنبدان بكم قبل أن يشمت بنا شامت ووالله ما جر علينا هذا الوهن غيركم يا معاشر
 الرؤساء لقد فرقتم بين أهل فارس وبتطموههم عن عدوهم ولولا أن في قتلكم
 هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة ولئن لم تنتهوا نهلكنا بكم ثم نهلك وقد اشتقينا منكم
 لما سمع رستم والفيرزان ما سمعا من القوم تبها من غفلتها وخشيتها
 هلاكها فبجشامع القوم عن رجل من آل كسرى يولونه الملك ويجمعون عليه
 كلمة الناس فوجدوا يزيد جرد بن شهر يار في اصطخر وقد كانت أمه غيبته هناك
 وهو طفل اشفاقاً عليه من القتل فجأوا به وملكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة
 إلا أنه كان ضعيف الرأي والقلب ومع هذا فقد أطاعه الناس ونسبوا الرؤساء
 شهواتهم الخبيثة تفادياً من الخطر المحيق بالدولة فالتفتوا حوله وأطاعوه وتباروا في
 معونته فرتبوا المسالخ والجنود وشحنوا الثغور بالمقاتلة وأعدوا العدة والعديد
 لقتال المسلمين

﴿ استعداد مثنى ﴾

(ومسير سعد بن أبي وقاص إلى العراق)

لما بلغ المثنى بن حارثة اجتماع الفرس على يزيد جرد وتجهزهم لحرب المسلمين
 كتب إلى عمر (رض) وبيناه هو بانتظار الجواب كفر أهل السواد بالعهد وتقصوا
 ما بينهم وبين المسلمين بدسائس الفرس فخرج المثنى على حامية حتى نزل بذي قار
 حتى جاء المسلمين كتاب عمر وفيه . (أما بعد فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم
 وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ولا تدعوا في ربيعة
 أحداً ولا مضر ولا حلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا جلبتموه
 فان جاء طائفاً أو أحشرتهم . احموا العرب على الجدة اذا جد العجم فلتلقوا
 جدهم بجدكم)

فلما وصل الكتاب اهتم المثنى بأمر عمر وأحسن الرأي الحربي والتدبير
 فنزل بذي قار وفرق الجندي على خط واحد من الجبل وشرف الى غصني^(١) حيال
 البصرى فكانوا في أمواه العراق من أولها الى آخرها مسالح^(٢) بعضهم ينظر
 الى بعض ويعيث بعضهم بعضاً أي جعلهم أشبهه بحصن واحد متمد من حيال
 البصرة الى شراف والجبل أي من أول العراق الى آخره وهو ترتيب بلغ الغاية من
 بعد النظر في فنون الحرب ونظام الجيوش وتنظيم خطوط الدفاع وأعاد الفرس
 كذلك مسالحهم وشحنوا بالجنود ثغورهم وباتوا خائفين هائبين والمسلمون
 متحمسون وهم كالأسد ينازع فريسته

وأما عمر بن الخطاب فإنه كتب الى عماله على العرب والكلور يستحثهم على
 استنفار العرب وكل من له نجدة وبأس فمضت الرسل بالكتب ووافاه القبائل الى
 المدينة ممن كان طريقهم عليها ومن كان طريقهم على العراق انضموا الى المثنى
 وخرج عمر في أول المحرم سنة (١٤) فمسك على ماء قرب المدينة يدعى صراراً
 والناس لا يعلمون بشيء مما يريد وكانوا اذا أرادوا أن يسئلوه شيئاً رموه بعمان
 أو بعبد الرحمن بن عوف فاذا لم يقدر هذان على علم شيء مما يريدون ثابوا بالعباس
 فسأله عثمان عما يريد وعن عزمه فنأدى الصلاة جامعة فاجتمع الناس اليه فأخبرهم
 الخبر ثم نظر ما يقول الناس فقال العامة سيز وسيز بنا ملك فقال استعدوا وأعدوا
 فاني سأتر الآ أن يجي رأيي هو أم مثل من ذلك ثم بحث الى أهل الرأي فاجتمع اليه

(١) في معجم البلدان جبل موضع بالبادية على اجادة طريق القادسية الى زبالة
 بينه وبين القرعاء ستة عشر ميلاً وهو بينها وبين الرمانتين وشراف بين واقصة
 وقرعاء على ثمانية أميال من الاحساء وغصني تصغير الفضلاء لعامر بن ربيعة وقيل جبال
 البصرة (٢) جماعة المسلحين وفي اصطلاح الحرب الآن النقط العسكرية أو خطوط الدفاع

وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأعلام العرب فقال احضروني الرأي فاني
سائر فاجتمعوا جميعاً وأجمع ماؤهم على أن يبعث رجلاً من الصحابة و يقيم ويمده
بالجنود فان كان لدى يشتهي من الفتح فهو الذي يريد ويريدون والآعاد رجلاً
آخر وندب جنداً آخر حتى يجي نصر الله

الحكم النبائي في الاسلام

علم عمر (رض) ان مكافحة الفرس بات أمراً حتمياً لا بد عنه وان القوة
والرأي مناط الظفر بدولة هي أعظم دول الارض رهبةً لذلك العهد فاذا تسر هدم
بنيانها ونزع سلطانها تمهد للمسلمين سبيل السيادة على الأمم ورفعت أعلام
الاسلام على صروح الممالك والآ كان الخطر على المسلمين عظيماً والامر جلابعد
اذهيجوا أمر فارس والروم واحفظوا الدولتين القيصرية والكسروية لهذا
رأى من السداد ان لا يفوته رأي عامة المسلمين وخاصتهم فيمن يوليه أمر هذه
الحرب فاستشار العامة فأشاروا عليه بالمسير بنفسه لانهم بأمرهم أرغب وخلقهم
أطوع واستشار الخاصة فأشاروا عليه بتسليم القيادة لغيره وبقائه في المدينة لانهم
بقيمة حياته أعرف وعلى وجوده بعيداً عن ساحات القتال أحرص : وكان تخلف
عن الجمع علي وطلحة رضى الله عنهما لان الأول استخلفه عمر على المدينة والثاني
كان على مقدمة الجيش فرأى أن لا تفوتهما الشورى فاستدعاهما وجمع الناس
جميعاً وقام فيهم خطيباً ولهم مستشيراً فقال

أما بعد ان الله عز وجل قد جمع على الاسلام أهله فآلف بين القلوب
وجعلهم فيه اخواناً والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب
غيره وكذلك يحق على المسلمين ان يكونوا وأمرهم شورى بينهم وبين ذوى
الرأي منهم . فالناس تبع لمن قام بهذا الامر . ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم

الناس وكانوا فيه تبعاً لهم . ومن قام بهذا الامر تبع لأولى رأيهم ما رأوا لهم
ورضوا به لهم . يا أيها الناس اني انما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي
منكم عن الخروج فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً وقد أحضرت هذا الامر من
قدمت ومن خلقت) ويعني بمن خلف علياً وطاحه لانهم لم يحضروا الرأي الأول
كما ذكرنا

لمعرك أي ملك في العالم يبعثه الوجدان الطاهر أن يضع نفسه عن رضى
واختيار في موضع فرد من عامة رعيتيه ويقول كما قال عمر للمسلمين (من قام بهذا
الامر فانه تبع لذوى الرأي منهم) فجعل نفسه تبعاً لذوى الرأي وجعل المسلمين تبعاً
لهم فيما يرتأون تمحيصاً للحق والرأي وهذا هو الحكم النيابي الذي تقوم به سعادة
الأمم ويرتفع شأن الدول ولم يتوصل اليه قوم إلا بعد جهدهم وجهادهم قاداتهم
المستبدين وأمرائهم القاهرين وقد وضع أساسه الاسلام وبدأ به أبو بكر وعمر
رضي به واخلاصاً لله وارشاداً للمسلمين لما ينفعهم في أمر دنياهم إلا أن هذا
الحكم لم يدم لان العبرة باستمرار العمل والعمل لم يستمر لارتباطه بوجدان
الخلفاء وإخلاصهم وعدم ارتباطه بالروابط القانونية والقيود المعروفة وتركه
يترقى بطبعه بترقى الأمة وعلى مقتضى حاجة الزمان لهذا لم يستمر إلا باستمرار
دولة الخلفاء الراشدين مع ان حالة القوم البدوية وميلهم الفطري للحرية يقنضيان
استمرار الحكم النيابي في الدول العربية وانما أرغم القوم على مخالفة الفطرة
البدوية منذ قامت دولة بني مروان في وسط الممالك الاعجمية وخالط خلفاؤها
الاعاجم من الفرس والروم ورأوا مبلغ تبسط يد الحكومة السالفة في الرعية
وسلطانها القاهر الذي هو فوق سلطان الوجدان والحاكم على الحرية والعدل
لا المحكوم منهما والنفس تتلون أحياناً بألوان البيئة وتبدل أخلاقها بتبدل المنشأ

والمكان فراق أو أئمة الخلفاء سلطان الحكم المطلق وغلبوا على أمرهم بحكم لوسط
فتغلبوا على حكم الفطرة واتقادوا الميل النفوس الى التبسط في السيادة حتى بلغ
بمبد الملك بن مروان أن خطب يوم ما خطبة أشار فيها الى أن من راجعه في أمره
فقد تعرض للقتل مع أن عصر بنى مروان هو العصر الذي كان يرجى به استثمار
البذور الديموقراطية التي بذرها الخلفاء الراشدون لاستغلال شأن الاسلام
يومئذ وتفرغ الناس الى النظر في الشؤون الادارية بعد انهما كهمهم في الشؤون
الحربية واشتغالهم بالفتح وما نخال الباعث للأمة العربية على الانقلاب اشهوات
الملوك من بنى مروان الا ذلك المزيج الذي تألف منه جسم المجتمع الاسلامي
يومئذ وأخصهم الموالي من النبط والفرس والروم الذين كان يسميهم معاوية بن
أبي سفيان رضى الله عنه (الجرعاء) ويتوقع منهم كثيرا من الشر وفي الحقيقة فقد
غلبت يومئذ الأمة العربية على أمرها بتفرق عصبيتها وتشتت قبائلها في فارس
والروم والشام ومصر وافريقيا والاندلس فلم يفهم ذلك الفتح عن استبعاد
خلفائهم الذين خلا لهم الجو وتفرق عنهم أنصار الحرية الذين كان يقومون
بتعاهدوا ذلك النبات الطيب لانما في عصر الحضارة الاسلامية واجتناء ثمراته
الشبيهة فبسطوا يد القوة وتبسطوا في الاستبعاد ولو علموا ان الحكومة النيابية
شرط في بقاء الدول وسياسج للملك يقيه وثبات الدول الناشئة لما نزعوا امتياز
الجبروت وهدموا ركن الشورى اذ مطمح نظر الشعوب ومناطق سعادة الناس
الحرية والعدل ومتى كان هذان أساس الحكم في دولة من الدول فقد تحصل الناس
على منتهى ما يرجون من بقاء هذه الدولة سائدة عليهم حاكمة فيهم وليس لهم من
وراء ذلك غرض الا الذود عنها والذب عن حوزتها ذودا عن حوزتهم وذبا عن

راحة مجتمعاتهم

لواستمر بنو مروان سائرین علی نهج الخلفاء الراشدين الواضح في حكم
الناس علی اصول الشوری وعدم التسلط علی حرية الضمائر والافكار اذن والله
لما وجد بنو العباس نصیراً لدعوتهم ولا راغباً فی دولتهم وهمل یلجئ الناس الی
التوثب علی الملوک والخروج علی الدول والرغبة عنها الی غيرها الا فساد الحكم
وإفساد قلوب الرعية بالتسلط الجائر والاستبداد القاهر

لعمرك لو أحسن بنو مروان السياسة وتمسوا وسائل سلامة الدولة
لجعلوا لأخلافهم تلك الحكومة الديموقراطية الساذجة التي وضعها لهم الخلفاء
الراشدون حكومة ثابتة الدعائم منتظمة الشؤون آخذة بأطراف الحاجة بربطها
بقوانين خاصة ترسخ عليها دعائمها وتقوم بها أصولها والطريق الی هذا كان سهلاً
عليهم لو التمسوا الیه الحيلة باستقصاء أخبار مجاورهم من الروم الذين قامت
لأسلافهم الرومان كثير من الحكومات النيابية كانت آثارها وأخبارها معروفة
لذلك الجليل من الروم محفوظة في مؤلفات القوم والذي أتاح لهم وللخلفاء
الراشدين قبلهم أخذ اللازم لقيام الدول من الاصول الادارية وغيرها عن الروم
والفرس (كوضع عمر (رض) للتاريخ ووضع له للدواوين علی اصول الفرس
والروم واتخاذ معاوية للحجاب وضرب عبد الملك للنقود وغير ذلك من الامور
التي لم يكن لها اثر عند العرب) كان يتيح لهم ترتيب حكومة ثابتة علی اصول
التجارب التي عاينها غيرهم من الأمم التي سبقتهم في الحضارة لو اخلصوا النية
ونظروا الی المستقبل بنظر الحكمة والروية ولو فعلوا الوضع والدول الاسلام
أساساً باتت في نوع الحكم لا يتأتى لاية دولة اسلامية بعد جيلهم ذلك أن تضع مثله
البتة لاسباب عديدة أهمها إصاق الفقهاء بعد كل شئ بالدين وحظرهم علی الأمة
العمل بأي أمر نافع الا ما سبق للصحابة والتابعين وكان عندهم كالتنزيل لا يجيد

عنه أحد من المسلمين ولو نخر عظامهم فساد الحكم المطلق وأكل لحمهم الظلم
 وذهب بسطانهم التباع عن الانتفاع بأصول الترقى عند الأمم الأخرى كما
 انتفع الاوربيون من المسلمين في كثير من أصول مدنيهم السالفة أيام الحروب
 الصليبية وقبلها وهذا بحث طويل نمسك عنه الآن على وعد العود اليه في
 محل آخر ان شاء الله

﴿ عود الى خبر الشورى ﴾

لما انتهى عمر من خطبته أشار عليه طلحة وعلي بما أشار عامة الناس ونهاه
 العباس وعبد الرحمن بن عوف عن هذا الرأي وقال له الثاني: أقم وابعث جنداً فقد
 رأيت قضاء الله لك في جنودك قبل وبعد فإنه ان يهزم جيشك ليس كهن يمتسك
 وانك ان تقتل أو تهزم في أنف الأمر خشيت أن لا يكبر المسلمون وان لا يشهدوا
 أن لا إله الا الله أبداً :

ونعم هذا الرأي والاخلاص من عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اذا ن
 المسلمين يومئذ كانوا أحوج الى حياة عمر والاسلام لم يمتد ويتأصل في الجزيرة
 والفتنة لم تركد فلو أصيب عمر بشئ لصدق ما قاله عبد الرحمن بن عوف لان هيبة
 عمر وعزيمته وانه أبو بكر قبله ورويته مهدت لمن جاء بعدهما السبيل ومكنت
 للاسلام والمسلمين السلطان في الارض

بيننا المسلمون في المشورة وافي عمر كتاب سعد بن أبي وقاص وكان عامله
 على صدقات هوازن بمن اتخبه له من أهل النجدة لحرب الفرس وهم الف فارس
 فقال بعض المسلمين لعمر (رض) قد وجدته : قال فن : الاسد عادياً : قال من
 هو : قالوا سعد : فانه الى قولهم فأرسل اليه فقدم عليه فأمره على حرب العراق
 وانتدب معه الناس فكان أهل اليمن ينزعون الى الشام وكانت مضر تنزع الى

العراق فقال عمر (أي لأهل اليمن) أرحامكم أرسخ من أرحامنا ما بال مضر
لا تذكر أسلافهم من أهل الشام

﴿ وصية عمر لسعد ﴾

لما أمر عمر سعد أَرْضَى الله عنهما أوصاه فقال

ياسعدُ سعدُ بنِي وهيب لا يفرّتك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب
رسول الله فإن الله عزّ وجل لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن
فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته فالناس شريفهم ووضعهم في ذات
الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر
الامر الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقتنا فالزمه فإنه
الامر . هذه عظمتي إليك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من
الخاسرين

ثم لما أراد أن يسرّحه دعاه فقال

اني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتي فانك تقدم على أمر شديد
كرهه لا يخلص منه إلا الحق . فعوّد نفسك ومن معك الخير واستفتح به واعلم
ان لكل عادةً عمّاداً فعمّاد الخير الصبر . فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابتك
يجتمع لك خشية الله . واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين في طاعته واجتناب
معصيته وإنما أطاعه من أطاعه بغض الدنيا وحب الآخرة وعصاه من عصاه
بحب الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً . منها السرّ .
ومنها العلانية . فأما العلانية فإن يكون حامدًا ودائمًا في الحق سواءً . وأما السرّ
فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس فلا ترهّد في التجبّب فإن
النبيين قد سألوا محبّتهم وإن الله إذا أحبّ عبدًا حبّبه وإذا أبغض عبدًا أبغضه .

فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك

﴿ مسير سعد ﴾

خرج سعد ومعه أربعة آلاف مقاتل منهم ثلاثة آلاف من اليمن وألف من غيرهم وكان فيهم من السراة وزعماء العرب عدد وافر منهم حميضة بن النعمان البارقي وشداد بن ضمعج الحضرمي وعمرو بن معدى كرب على مدحج ويزيد ابن الحارث الصدائي وبشر بن عبد الله الهلالي وشريحيل بن السمط الكندي واضرابهم من صنديد العرب وقادتها

وشيعهم عمر رضى الله عنه الى الأعوص وهناك خطب فيهم خطبة أمرهم فيها بالعدل والرحمة واللين وان ينهوا شوونهم اليه ولا يؤخروا شيئاً من الشكوى عنه وستأتى الخطبة في باب خطبه ان شاء الله

سار سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه بمن اجتمع لديه من الجنود حتى نزل زروود من أرض العرب مما يلي العراق وأمه عمر بأربعة آلاف مقاتل ووافاه الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة فكان عدد جيشه الذي شهد القادسية نحو ثلاثين ألفاً انضم اليه من جند العراق الذين كانوا مع المشي ولما رحل سعد عن زورود كتب اليه عمر (رض): أن ابعث الى فرج^(١) الهند رجالاً ترضاه يكون بحباله ويكون ردة لك من شيء أتاك من تلك التخوم: فبعث المغيرة بن شعبه في خمسمائة فسكان بحمال الأبله من أرض العرب ونزل على جريرو وهو مرابط هناك يومئذ. ولما بلغ سعد شراف نزل وكتب بمنزله الى عمر بن الخطاب (رض)

(١) هو الثغر وموضع الخفاة والأبله هي التي كانت ثغر العراق يومئذ لقربها

فكتب اليه عمر: اذا جاءك كتابي هذا فاعشّر الناس وعرف عليهم^(١) وأمر على
أجنادهم وعيبتهم ومروءساء المسلمين فليشهدوا وقدّروهم وهم شهودهم وجهم الى
أصحابهم وواعدهم القادسية واضم اليك المغيرة بن شعبه في خيله واكتب اليّ
بالذي يستقر عليه أمرهم

فبعث سعد الى رؤساء القبائل فأتوه ففقدوا الناس وعبّاهم تعبية تشبه بسائر
ترتيبها تعبية الجيوش في هذا العصر وسنأتي على تفصيل الخبر عن هذا في غير هذا
المحل ان شاء الله ورضي الله عن عمر بن الخطاب ما كان أعلمه بفنون الحرب
وأشدّه احتياطاً على المسلمين وأبعده نظراً في أمور الفتح فانه ما كان يأمر أميراً
بحركة ما لم يأخذها العدة ويسد الفروج ويستوثق من معرفة أحوال البلاد وقوّة
العدوّ ومبلغ كفاءة القواد والجنود

لما أعدّ سعد لكل شيء عدته وفرغ من تعبئة جيشه كتب بذلك الى عمر
وجاءه في غضون ذلك المثنى بن حارثة أخو المثنى وزوجته خصفه التيمية بوفاة
المثنى ووصيته لسعد ومؤداهما أن لا يقاتل سعد عدوّه من أهل فارس اذا اجتمع
أمرهم وملؤهم في عقر دارهم وان يقاتلهم على حدود أرضهم مما يلي أرض العرب
ولما انتهى الى سعد رأى المثنى ووصيته ترحم عليه وأمر أخاه المثنى على عمله وأوصى
بأهل بيته وخطب امرأته وتزوجها

وكانت وفاة المثنى على أثر انتقاض جراحة كانت أصابته في وقعة الجسر
الماضية واستخلف على جيشه بشير بن الخصاصية وقد كان رضي الله عنه على جانب
من الشجاعة والاقدام والنظر البعيد في شؤون الحرب لا يدانيه فيه إلا خالد بن
الوليد وكان منذ وفوده على أبي بكر في أول خلافته يهون عليه أمر الفرس حتى

(١) قال في القاموس العريف رئيس القوم أو النقيب وهو دون الرئيس

ولآه قتالهم ثم ولي خالدًا فقاتل تحت رايته ثم لما سافر خالد الى الشام وبقي المثنى أميراً على ما فتحه وخالد من أرض العراق دفعه الاقدام على أن يتوسع في الفتح ويرمي بسهم المسلمين مملكة الأكرسة ويدوخ ذلك الملك العريض فوفد على أبي بكر في حال مرضه فلم يسعه اجابة سؤاله وأوصى به عمر وأشار عليه بأن يرسل معه الجنود الى فتح بلاد فارس فبعث معه أبا عبيد فكان منه ما كان من الانفراد بالرأي والوقوع في التهاكة وما زال المثنى بعده يقاتل الفرس ويستخضع الخارجين من أهل العراق ويسعى بتثبيت دعائم الاسلام ثم حتى وافاه سعد فوافته منيته قبل أن يراه ويتحقق أمله في تدويج بلاد الفرس فخر المسلمون بوفاة شهيداً مقداماً وقائداً عظيماً بلغ من إخلاصه ونصيحته وعلمه بفنون الحرب أن أوصى سعداً قبل وفاته بوصية وافقت رأي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء كتابه الى سعد يوصيه به بمثل وصية المثنى

وأما نسبه فهو المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل ابن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل الربيعي الشيباني وكانت منازل قومه في العراق ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع مع وفد قومه فرضي الله عنه وأرضاه

انتظر سعد جواب كتابه الذي بعث به الى عمر فجاءه الجواب يوصيه فيه بأن لا يقاتل الفرس الا في أطراف بلاد العراق مما يلي البادية وأن يلاقيهم في القادسية ويوصي جمعه بالامانة والصبر والثبات وان يتيقظ خديعة الفرس ومكرهم وستأتي صورة الكتاب في كتبه ان شاء الله

فارتحل سعد بالناس حتى نزل بعذب المهجانات فوافاه كتاب عمر رضي الله عنه يوصيه به ويسأله عن جغرافية البلاد وعمن يلي أمر الفرس في ميادين

القتال وعن مبلغ قوة العدو وعن منازل المسلمين ومعسكراتهم ذلك لكي يكون على بصيرة فيما يأمره به من الشؤون الحربية في تلك الأصقاع النائية عنه ثم جاءه منه كتاب ثالث يأمره فيه بالتوقف ثم كتاب رابع يوصيه فيه بالوفاء بالعهد والذمة وبأن يفي بأمان من يؤمن من الاعاجم ولو بالاشارة اذا لم يفهمها وظنها أماناً وستأتي هذه الكتب في بابها الا هذا الكتاب فاناً رأينا أن تأتي به هنا ضرورة إيراده وهو بنصه (عن تاريخ الطبري)

إني قد أتيت في روعي انكم اذا لقيتم العدو هزمتموهم فاطر حوا الشك وآثروا التقيّة عليه فان لا عب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو قرفه (١) باشارة أو بلسان كان لا يدري الا عجمي ما كلمه به وكان عندهم أماناً فاجروا ذلك له مجرى الامان وايمانكم والضحك . والوفاء الوفاء فان الخطأ بالوفاء بقية وان الخطأ بالعدو هلكة وفيها وهنكم وقوة عدوكم وذهاب ريمكم واقبال ريمهم واعلموا اني أحذركم أن تكونوا (أي بعدم الوفاء) شيناً على المسلمين وسبباً لتوهينهم اه
 ❖ كلمة في التاريخ الاسلامي ورافة عمر بالمحاربين ❖

هذا الكتاب يدلنا على أمرين الامر الاول أن الرافة في الحروب ورفع السيف عن المغلوب ليست من خصائص المدينة الجديدة في هذا العصر وحدها بل هي من خصائص الدين الاسلامي أيضاً وقد سبق بها العرب على بداوتهم سبقاً بعيداً لا يشق غبارهم فيه بقية الامم وحسبك من ذلك أن من شرط الاستئمان في الحروب القانونية عند الامم المتمدنة لهذا العهد إلقاء السلاح ورفع الراية البيضاء وكان شرطه عند المسلمين أهون من ذلك وهو أن مجرد الاشارة ولو

(١) قال في القاموس لاعبه أي لعب معه والقرف بالتحريك من المقارفة

نشأت عن هزل أو سوء تفاهم كانت تحتم على المسلم اجراءها مجرى الامان
والامر الثاني ان ما يتخرص به بعض المؤرخين من الغربيين وما يدكرونه
من المثالب الشائنة عن الفتح الاسلامي منشؤه اما الغيظ والضعينة واما سوء
الفهم المتأني عن تشويش التاريخ الاسلامي وإلقاء المؤرخين من المسلمين الكلام
على عواهنه وخلطهم غشه بسمينه بحيث يصعب الوقوف على مجرى الشؤون
الحربية والسياسية يومئذ وتفریق الحق من الباطل ومعرفة النافع من الضار
إلا من يدقق النظر ويستقصي حوادث التاريخ اسنقصاء الناقد البصير وما ذلك
الا لتجنب مؤرخي الاسلام لفلسفة التاريخ واكتفاء أكثرهم بالتألف من
الحوادث وتوسمهم في أخبار الحروب الاسلامية دون الذرائع العلمية التي
ترقت بها الامة في الشؤون الاجتماعية والعمرائية والسياسية حتى أن المدينة
الاسلامية التي طبقت شهرتها الافاق كادت تكون مع قرب عهدها وبقاء
آثارها وآثار أهلها الى الان أشبه في العموض بمدينة الامم البائدة التي ينقب
الباحثون في تاريخها عن دفائها الارضية وآثارها العافية ليقنو اعلى تاريخها الغابر
بل بلغ بعموض تاريخنا وانحماض طرف مؤرخينا عن حاجات التاريخ ان أحدنا
لو أراد ان يعلم كيف كانت حالة قومه الاجتماعية منذ قرن مضى لا يجد الى ذلك
سيلا هذا فيما قرب عهده من العصور فما بالاك بالقديم والافأين هو لعمري أريك
التاريخ الذي يفصل لنا أخبار السلف التي تتعلق بمدنيتهم الغابرة وأصول معيشتهم
وصنائعهم وعوائدهم وأزيائهم وأصول حكومتهم المتعلقة بالادارة والقضاء
والسياسة والجنديّة وأصول التعليم والمدارس والمصانع وغير ذلك مما يتعلق
بترقي هذه الامة وحالتها الاجتماعية التي أدهشت أهل المغرب أيام الحروب
الصليبية فرأوا عندها من النظام السائد والتبسط في العمران والقيام على شؤون

الادارة والحرب مالم يخطر لهم في بال

اللهم انا لانرى في التواريخ الاسلامية خبراً من هذا القبيل الا بطريق
العرض مستوراً في ثنايا الاخبار وربما ألم ببعض المؤرخين بشئ من ذلك
كالخطيب في تاريخ بغداد والمسعودي في تاريخه الكبير الا اننا لسوء الحظ لم
نر من هذه التواريخ الا شذرات منقولة في تضاعيف انكتب والاصل مفقود
العين الا اجزاء من تاريخ الخطيب متفرقة في بعض المكاتب لاشقى الغليل
فاذا كان هذا شأن التاريخ الاسلامي في عصور الترقى والحضارة وذلك
شأن المؤرخين في اغفال تدوين المهم من اخبار التاريخ وتبسطهم في سرد اخبار
الحروب فلا جرم ان يظن الجاهل والمدون ان الامة الاسلامية انما وجدت
لازعاج العالم بالحرب والقتال وان تتشوش الحقائق المندمجة في اخبار الفتح
فيصعب وقوف الناس على مجرى السياسة والحرب يومئذ ومبلغ نظامهما في عصر
الخلفاء الراشدين واخصهم عمر بن الخطاب (رض) الذي يشهد ذلك القليل
الذي وصانا من اخبار سياسته انه وضع للحرب والسياسة اصولا بلغت الغاية من
الرافة والعدل لو استقصيت ودونت في كتاب على حدة وعمل بها الخلفاء
والسلاطين في كل عصر وازدادوا اليها ما تمس اليه الحاجة التابعة لترقى الدول
والزمان لما وجد الاعداء سبيلا للقدح في الفتح الاسلامي وكذلك لو عني
المؤرخون أيضاً بدكرو تدوين الوسائط المدنية في عصور الترقى الاسلامية
لكانت لهذا العهد منوالاً تنسج عليه الامة او منبهاً يحرك فيها باعث الجد
لاسترجاع مافات والتوثق من حفظ استقلالها وصون حياتها امامهاوات

✽ خبر القادسية وغيرها ✽

لما انتهى سمدالى عذيب الهجانات قدم امامه زهرة بن الحوية الى

القادسية^(١) وجاء على أثره بعد أن ترك خيلاً وجنداً تحوط الحرم فلم يجد في
القادسية جنداً من الفرس فأخذ يبيت السرايا للغارة والارهاب ووقف مكانه
موقف المدافع تبعاً لشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) وبعث عيونَه
إلى الحيرة وغيرها لياتوا له بالخبر فعادوا فأخبروه أن كسرى قد ولى رستم بن
الفرخزاد الأرمني حرباً وأمره بالعسكرة فكتب بذلك إلى عمر (رض) فكتب
إليه عمر

أما بعد لا يكره بك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به واستعن بالله وتوكل
عليه وابعث إليه رجالاً من أهل النظر والرأي والجلد يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم
توهيناً لهم وفليحاً^(٢) عليهم واكتب إلي في كل يوم

وأما رستم فإنه جاء حتى عسكر بساباط بين المدائن والقادسية بمائة ألف مقاتل
أوزيدون كما في رواية البعض وتقدم سعد إلى نفر من قادة المسلمين ذوي منظر
وأراء وعليهم مهابة فبعثهم إلى زردجرديدعونه إلى الإسلام أو الجزية وهم النعمان
ابن مقرن وبسر بن أبي رهم وحمل بن جوية السكناني وحظالة بن الربيع التميمي
وفرات بن حيان العجلي وعدي بن سهيل والمغيرة بن زرار بن النباش وعطار
ابن حاجب والاشعث بن قيس والحارث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو بن
معدى كرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة فخر جوامن العسكر حتى قدموا
المدائن دعاة ليزدجر دفتو وارستم حتى انتهوا إلى باب زردجر د فخبسوا ريثما جمع

(١) القادسية على حافة البادية وحافة سواد العراق لهذا اختارها الخليفة عمر
لمقام جيش سعد لقربها من البادية وعدم أقدام الفرس على التوغل فيها فيما لو تقهقر
أمامهم جيش المسلمين

(٢) قال في القاموس الفليح الظفر والنصر

يزدجرد وجوه دولته واستشارهم فيما يجيبهم به فلما اجتمع رأيهم أن ذن لهم فادخلوا عليه وجرى بينه وبينهم كلام طويل سيرد معنا في سيرة سعد بن وقاص (رض) ولما لم يجب يزدجرد طلب المسلمين أرسل سعد المغيرة بن شعبة إلى رستم وكان رجلا داهية ذابصيرة ورأي إلا أنه أبي أن يجيب إلى الإسلام أو الجزية تبعاً لرأي قومه ومشورتهم فأعلن الحرب على المسلمين وكانت بينه وبين المسلمين إلى أن قتل حروب شديدة انتهت بفلّ جموع الفرس في القادسية وتقدم جيش المسلمين إلى عاصمة الكاسرة كما ستري تفصيل الخبر في سيرة سعد بن وقاص إن شاء الله وكان مقام المسلمين في القادسية منذ وصلوا إلى أن ظفروا شهرين

لما فرغ سعد من حرب القادسية أقام فيها بعد الفتح شهرين وكتب إلى عمر فيما يفعل فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى المدائن فسار إلى المدائن لأيام بقرين من شوال سنة (١٥) وقيل (١٦) والتقى بجيش الفرس في مكان يدعى برس فهزمه فانضم إلى قاعة القادسية في بابل فأرسل إليهم زهرة بن الحوية فقاتلهم وهزمهم ثم سار سعد إلى المدائن وهي بئر سيرا^(١) ودخلها بعد حصار شهرين وهرب منها كسرى إلى حلوان فغنم المسلمون من ذخائر كسرى وأموال الفرس في المدائن ما لا يعد ثم دعا سعد الدهاقين إلى الإسلام أو الجزية ولهم الذمة فلم يبق غربي دجلة إلى أرض العرب سوادى الآ آمن واغتبط بملك الإسلام ثم بعد أن ملك المسلمون أيوان كسرى جعلوه مسجداً وإن سعداً ليصلى فيه بالناس والتماثيل من الجص قائمة فيه ثم أرسل سعد جيشاً من المسلمين بقيادة ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى حلوان وما سبذان فانتحهما وفر كسرى من حلوان إلى الري وقيل

(١) المدائن هي عاصمة الكاسرة وموقعها على دجلة على مرحلة من الجنوب الغربي

من بغداد وتسمى قديماً طيسيفون ويسمىها الأفرنج الكنزيفون

الى اصفهان وكان ذلك سنة (١٦) وأقام سعدني المدائن الى سنة (١٧) وفتحت
جيوشه في غضونهما تكريت والموصل ثم تحول الى الكوفة بعد ان اختطها بأمر
عمر بن الخطاب (رض) كما سيأتي ذكره في محله ان شاء الله

✽ مسح سواد العراق وترتيب الجزية والخراج ✽

(كيف يكون الاستعمار)

ان من الاصول السديدة في الفتح والاستعمار ان يؤسس على مبدأ حفظ
الثروة المحلية لاهلها لتكون هذه الثروة مادة ينتفع منها الفاتح وأصلاً تنمو بنمائه
ثروة الدولة وتدوم بدوامه مادة العمران وكلما تبسط أهل المملكة في العمران
وجد المستعمر من وسائل الكسب تندم ما لم يجد فيه فيلوا نضب معين ثروتهم
وانكشفت عن العمل أيديهم وقل ان تراعى الدول الفاتحة هذا الاصل السديد
والمرمى البعيد في الممالك المفتوحة بل معظم الفاتحين الى هذا العهد يعتبرون البلاد
التي أخذت عنوة ملكاً حلالاً لهم يجوز انتزاع الثروة من أهلها بطرق الاكراه
التدريجية ليستأثر بها أهل ملتهم ويستغنى منها وطنهم على زعمهم ولم نعهد في هذا
العصر دولة من الدول المتقدمة الاوربية تراعى حفظ الاصل في الثروة لأهلها
في المستعمرات الافريقية والاسيوية الا دولة انكلترا فر بما كانت أحسن الدول
قياماً على ذلك الاصل في مستعمراتها الكثيرة الشاسعة وأخفهن وطأة على
الريعية مع ان دعوى التمدين العريضة تستدعي الرأفة والعناية بسكان المستعمرات
من سائر الدول الاوربية وتستلزم مراعاة الاصول الاقتصادية في حكم البلاد
المفتوحة كما هي مرعية في الممالك الاوربية وهيئات هيئات فان غلبة الشهوات
تمحى عن لوح الذاكرة كل علم نقشته عليه أقلام العلماء في ديار المدنية وليت جملة
الكتاب من الافرنج الذين يرمون الفتح الاسلامي وأهلها بوصمة التخريب

والتدمير ويسمونهم بسماة البداوة يبحثون في التاريخ الاسلامي عن اصول
الاستعمار والفتح عند العرب ويتعلمون منهم ما يفيدون به دولهم المتقدمة في وضع
اساس العدالة وحفظ اصول الثروة لأهلها في الممالك المفتوحة

إن مبدأ الفتح الاسلامي الذي يسم جهلة الافرنج اهله بالبداوة والتخريب
إنما كان في عهد عمر بن الخطاب الخليفة الثاني للمسلمين الذي قهرت جيوشه
دولتي الفرس والروم ورفعت اعلام دولته على اخصب ممالك الارض لمهده فكان
من جميل سياسته في هذه الممالك وعظيم عدله في الرعية ان حفظ على الاهلين مادة
ثروتهم وكف يد المسلمين عن انتزاع ارضهم وراعى في ترتيب الجزية والخراج
ثروة الافراد وخصب الارض وجدها ونوع النبات والشجر المستنبت فيها
وكان شديد الحرص على استبقاء الفلاحين يعتمدون في ارضهم لا يرضى بمزاحمة
المسلمين لهم ولا انتزاع ارضهم منهم ومن ذلك ما رواه في آثار الاول و ترتيب
الدول عن عبد الله بن هبيرة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه امر مناديه ان يخرج
الى امراء الاجناد يتقدمون الى الرعية بأن عطاءهم قائم ورزق عيالهم سائل فلا
يزرعون ولا يزارعون

وعن شريك بن عبد الرحمن ان شريك بن أبي سمي العطيفي أتى الى عمرو
ابن العاص فقال انكم لاتعطوننا ما يحسبنا (يكفيننا) أفأذن لي بالزرع فقال له عمرو
ما أقدر على ذلك : فزرع شريك من غير اذن عمرو فلما بلغ ذلك عمراً كتب الى
عمر بن الخطاب يخبره ان شريك بن سمي العطيفي زرع بارض مصر : فكتب
اليه عمر بن الخطاب أن ابث الى به فلما انتهى كتاب عمر الى عمرو بن العاص أقرأه
شريكا : فقال شريك لعمر وقتلتني يا عمر و فقال له عمرو وأنا قتلتك أنت صنعت هذا
بنفسك فقال له اذا كان هذا من رأيك فأذن لي بالخروج من غير كتاب ولك عهد

الله ان اجعل يدي في يده (يعني انه لا يهرب) فأذن له بالخروج فلما وقف على عمر
قال: توأمني يا أمير المؤمنين: قال ومن أي الاجفادات: قال من جند مصر:
قال فلعلك شريك بن سمي: قال نعم يا أمير المؤمنين قال: لا جعلناك نكالا لمن
خلفك: قال أو تقبل مني ما قبل الله من العباد: قال أو تفعل: قال نعم: فكتب
الى عمرو أن شريك جاءني تاباً فقبلت منه

وأخرج في فتوح البلدان عن ابراهيم التيمي قال لما افتتح عمر السواد (يعني
سواد العراق) قالوا له اقسمه بيننا فأنفتحناه عنوة بسيو فنفأبني وقال فما لمن جاء
بعدكم من المسلمين وأخاف أن قسمته إن تنفاسدوا بينكم في المياه: قال: فاقروا أهل
السواد في أرضهم وضرب على رؤسهم الجزية وعلى أرضهم الطسق (الخراج)
ولم يقسم بينهم

وأخرج عن يزيد بن حبيب: قال: كتب عمر بن الخطاب الى سمرقند بن
أبي وقاص حين فتح السواد (أما بعد) فقد بلغني كتابك تذكر ان الناس سألك
ان تقسم بينهم ما فاء الله عليهم فاذا أتاك كتابي فانظر ما جلب عليه أهل العسكر
بخيلهم وركابهم من مال أو كراع فاقسمه بينهم بعد الخمس وأترك الأرض والانهار
لعمالها ليكون ذلك في اعطيات المسلمين فانك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن
يبقى بعدهم شيء وفي كتاب الخراج لابي يوسف بحث طويل بهذا الصدد فليرجع اليه
وبلغ من حرص عمر رضي الله عنه على حقوق أهل العراق وحفظ أرضهم
لهم ان أحد بني الحارث بن كلدة طلب من عمر أرضاً يقتل^(١) فيها خيله فكتب الى
أبي موسى الأشعري ان أبا عبد الله سأني أرضاً على شاطيء دجلة يقتل فيها خيله فان

(١) في القاموس فلا الصبي والمهر فلواً وفلاءً عزله عن الرضاع او فطمه

كافلاه واقتلاه .

كانت في غير أرض الجزية ولا يجزأ اليها ماء الجزية فاعطه اياها وقيل بل كتب بذلك الى المغيرة بن شعبه في ولايته كتابا غير هذا وهو بمعناه كما تراه في محله ان شاء الله وهذا وايم الله من الاغراق في العدل وحقه ان يكون شرعة حق يسلكها في هذا العصر دول الاستعمار مع المسلمين وهيئات هيئات: وأما كيفية ترتيب عمر للجزية والخراج في العراق فهو انه لما زال عن العراق ملك الفرس وتوطدت دعائم الاسلام وانبسط عليه عدل عمر بن الخطاب رأى ورأيه العدل ان ينظم شؤونه الادارية ويرتب فيه الوضائع على نحو ترتيب كسرى انوشروان الا أنه خوفا من احجاف العراقيين أو تظلمهم رأى ان تمسح أرض السواد وتفرز اجزاءً بنسبة الخصب وما يحمله كل جزء من الشجر وان يحصى السكان فتضرب عليهم الجزية على نسبة حال الافراد من الغنى والفقر فبعث عثمان بن حنيف الانصارى الى العراق العربى وحذيفة بن اليمان الى العراق العجمي فمسحا الارض ووضعما عليها الخراج بنسبة حالها وخذرها فجعل على جريب (١) النخل عشرة دراهم وعلى جريب السكر عشرة دراهم وعلى جريب القصب ستة دراهم وعلى جريب البر أربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين وكتبنا بذلك الى عمر فأجازوه وفي رواية لابي يوسف انه جعل على جريب النخيل ثمانية دراهم

وأخرج ابو يوسف والبلاذرى عن الشعبي ان عثمان ابن حنيف لما مسح السواد وجدته ستة وثلاثين ألف ألف جريب (أي ستة وثلاثين مليوناً) وفي رواية انه استثنى النخيل وفي رواية ان عمر الغنى النخل في ولاية المغيرة بن شعبه على العراق

(١) في القاموس الجريب اسم لمكيال وللمزرعة واما مساحته فقد ذكر الطبري في تاريخه ان المسلمين لما غنموا بساط كسرى وجدوه ستين ذراعاً طولا وستين عرضاً قال وهو مقدار جريب فعلى هذا تكون مساحته ٣٦٠٠ ذراعاً مربعاً

والظاهر انه أراد باستثناء النخل من الخراج تسهيل تجارته واصداره الى البلاد
لانه مادة التجارة في العراق .

وبلغ خراج العراق في ولاية عثمان بن حنيف مائة الف ألف درهم (أي مائة
مليون درهم) وذلك عد الصوافي التي اصطفها عمر لبيت المال وكانت لآل
كسرى أول من هرب وترك أرضه وبلغ خراجها سبعة آلاف ألف درهم (أي
سبعة ملايين) واقطعت هذه الصوافي بعد ذلك للصحابة

وأما الجزية فقد أحصى عثمان بن حنيف من تجب عليه من سكان السواد
فبلغوا ائتمائة وخمسين ألف شخصاً فجعلها على ثلاث مراتب ثمانية وأربعين
وأربعة وعشرين واثني عشر وذلك بنسبة حال الافراد فاذا اعتبرنا في هذا العدد
متوسط الجزية الذي هو أربعة وعشرين درهماً فيكون مجموع الجزية ثلاثة عشر
مليوناً ومائتي ألف درهم اذا أضيفت الى مبلغ الخراج بما فيه خراج الصوافي
فيكون مجموع الجباية في العراق على عهد عمر بن الخطاب (رض) مائة وعشرين
مليوناً درهماً ومائتي ألف درهم^(١) كانت تنفق في اعطيات الجنود وازراق المسلمين
مما عدا الخمس فانه يرسل الى المدينة وينفق ما يلزم من الجباية لاصلاح الجسور
وحفر الانهر ومن الانهر التي احتقرها عمر في العراق النهر المعروف بنهر معقل
قرب البصرة ونهر سعد ابن عمرو بن حرام قرب الانبار وغيرها

وأخرج الامام أبو الفرج بن الجوزي في مناقب عمر عن عمر بن ميمون

ورأيت في مناقب عمر للامام ابي الفرج بن الجوزي ان جباية العراق العربي
المعروف بالسواد والعراق العجمي المعروف ببلاد الحيل بلغت مائة وعشرين مليوناً
(واق) قال والواق درهم ودانقين ونصف هذا ما قاله ابن الجوزي واما الدانق فقد
كان كل درهم اربعة دوانق وهو الدرهم البغلي واما الدرهم الطبري فقد كان ثمانية
دوانق وقيل بالعكس

قال : رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف فقال كيف فعلتما (يعني بالعراق) أخاف أن تكونا حملتما الارض ما لا تطيق : قالوا لا فقال عمر ائني سلمني الله لا دعن أرا مل أهل العراق لا يمتجن الى أحد بعدي أبداً فما أت عليه الاربعة الا أصيب وروى أبو يوسف في الخراج ان عمر كان يجبي الخراج ثم يخرج كل سنة عشرة من أهل الكوفة وعشرة من أهل البصرة يشهدون أربع شهادات بالله انه من طيب ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد واهل بعده هذا العدل عدل يؤثر عن الملوك والخلفاء ويذكر عن الدول لا والله . هكذا كان مايسمونه الاستعمار الآن على عهد عمر بن الخطاب إذ تأسس على قاعدة حفظ الثروة المحلية لا هلهلها لتكون مادة ينتفع منها الفاتح واصلاً تنمو بتأهله ثروة الدولة وانما اخذ عمر (رض) هذه القاعدة من القرآن الكريم الذي هو اول كتاب الهي قرر هذه القاعدة وذلك ان عمر لما ألح عليه بعضهم بقسمة الارضين في العراق والشام أبي الابقائهم اهلها وانتفاع المسلمين بخراجها فقط وقال كيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الارض قد حيزت وقسمت ما هذا برأى وجمع الناس للشورى واحتج على من رأى قسمة الارضين بالكتاب الكريم كما ترى ذلك مبسوطاً في كتاب الخراج لابي يوسف وقال اني قد وجدت حجة الله تعالى في كتابه وتلى الآيات التي نصت على الفئ وقسمته وعلى مستحقه من المسلمين وهي ما أفاء الله على رسوله) الى ان قال بعد ذكر ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والمجاهدين والانصار) والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ذنوبنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) وقال لهم عمر (رض) هذه الآية عامة لمن جاد بعدهم (أي بعد من ذكر وافي الآيات) فقد صار هذه الفئ بينهم جميعاً فكيف

نقسمه لهؤلاء (يعني الفاتحين) وندع من تخلف من بعدهم بغير قسم فاجمع على تركه
 وجمع خراجه ووافقه على ذلك المخالفون وتم الامران تبقي الارضين بيد اهلها
 لتكون مادة ليستمد منها اهلها والفاتحون مادة للحياة وهذا هو قانون الاستعمار
 العادل واساسه المتين

لما تمهد أمر العراق لعمر بن الخطاب (رض) بعث عتبة بن غزوان
 واليا على البصرة وولى سعد بن أبي وقاص الصلاة وامارة الحرب العامة على كل
 ما غلب عليه من البلاد وجعل مقره الكوفة ولما عزله ولى عمار بن ياسر ثم
 المغيرة بن شعبه ثم ابا موسى الاشعري ثم عمر بن سرافة وغيرهم وولى على الخراج
 النعمان بن مقرن على ماسقت دجلة وسويدا أخاه على ماسقي الفرات ثم ولى
 عملهما حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو ثم حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف وهما
 اللذان مسحوا العراق كما تقدم

(عود الى خبر الفتح)

غزوة فارس من البحرين

كان العلاء بن الحضرمي أحد أبطال حروب الردة عاملا لعمر على البحرين
 وهي من بلاد العرب مما يلي خليج فارس وكان يباري سعد بن أبي وقاص لصدع
 صدعه القضاء بينهما وطار عليه بالفضل في أيام حروبه في الردة فلما ظفر سعد
 بالفرس ودوخ عاصمة ملكهم واستولى وجاء بأعظم مما جاء به العلاء رأى العلاء
 ان يباري سعداً ويؤثر أثرأ في الاعاجم ونعمت المباراة والمنافسة في الفتح
 والجهاد لو لم تكن بدون اذن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي كان لا يأذن
 بنحوض جيوشه في البحار تر بصآبهم لأوان الفرصة وانتظاراً للوقت المناسب
 وأما العلاء فقد تسرع وندب الناس لمهاجمة الفرس من جهة البحر فأجابوه فجهز

جيش أعدته ١٢ ألف مقاتل فيهم من الرؤساء الجارود بن المملي والسوار بن همام
وعلى الجميع خُليد بن المنذر بن ساوى فحملهم في البحر الى فارس فخرجوا الى
اصطخر وعليها المرابطة وعليهم قائد اسمه الهربذ فماتم ان قابلهم الفرس
حتى حالوا بينهم وبين سفنهم واجتمعت عليهم جموع فارس فقاتلواهم قتالاً شديداً
وشجعهم خليد بخطبة خطبها فيهم فتراموا على الموت وقتل الجارود وسوار
فاستمات ابناهما عبد الله بن السوار والمنذر بن الجارود فقاتلا حتى قتلا وجعل
خليد يومئذ يرتجز ويقول

يال تميم اجمعوا النزول وكاد جيش عمر يزول

وكلكم يعلم ما أقول

فنزولوا واقتتل القوم وقتل من الفرس مقتلة عظيمة ثم خرجوا يريدون البصرة
وقد غرقت سفنهم فلم يجدوا الى الرجوع سبيلاً وأخذ الفرس عليهم الطرق
فلما أحسوا بالخطر عسكروا وامتنعوا وادفعوا العدو ومدافعة الابطال الصناديد
وكان لما بلغ عمر بن الخطاب تسير العلاء لهذا الجيش أدرك بفراسته
ما يصير اليه من الهلاك في تلك البلاد النائية فاشتد غضبه على العلاء وكتب
اليه بمنزله وأمره بأثقل الاشياء عليه وذلك ان ينضم بمن معه الى سعد بن ابي
وقاص ويكون تحت امارته وكتب الى عتبة بن غزوان والى البصرة بالخبر وأمره
ان يندب الناس الى نصرتهم قبل ان يجتاحهم الفرس فندب عتبة الناس وأخبرهم
بكتاب عمر فاندب عاصم بن عمرو وعرجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن
والاحنف بن قيس وأمثالهم من قادة العرب وفرسانهم فخرجوا في اثني عشر الفا
على البغال يجنبون الخيل كي لا يفنيها الركوب وعليهم أبو سبرة بن ابي رهم أحد
بنى مالك وساحل (أي شى على الساحل) أبو سبرة والمسالح في الاهواز وهم

رده له حتى النقي بخليد بحيث عسكر وأخذت عليه الطرق وحصر هو وجنوده
اليوث البواسل فاستصرخ أهل اصطخر أهل فارس على المسلمين فأقبلوا عليهم
من كل فيج فالتقواهم وأبوسبرة وتوافقت للمسلمين أمدادهم وتواصلت جنودهم
فلم يتمكن الفرس من حصرهم أو قطع المأذنة عنهم وقاتلهم المسلمون وغنموا منهم
غنائم كثيرة وعادوا بذلك الجيش المحصور ببركة رأي عمر وأخذ الحيلة اللازمة
لسلامة جيش يريد التوغل في بلاد العدو وكان لاهل البصرة فضل عظيم بانقاذ
جيش العلاء والظفر بالفرس

ولما رجع الجيش الى البصرة استأذن عتبة عمر بالخرج فاذن له فلما قضى حجه
استعفاه فابى ان يعفيه وعزم عليه ان يرجع الى عمله فانصرف على غير رضاء
فمات في بطن نخلة فدفن وبلغ عمر وفاته فاشي عليه بفضله وولى مكانه أباسبرة بن
رُهم بقية السنة ثم استعمل المغيرة بن شعبه في السنة الثانية فاستمر فيها الى ان جرى
بينه وبين أبي بكر ما جرى مما سيأتي في محله ان شاء الله فعزله عمر واستعمل مكانه
أباموسى الأشعري

— خبز الهرمزان —

﴿ وفتح الاهواز وأستتر والسوس وغيرها ﴾

كان الهرمزان أحد البيوتات السبعة في أهل فارس وكان شهد القادسية
مع الفرس وانهمز بهمز يمتهم فجاء الى الاهواز^(١) وتولى أمرها وأخذ يغير على

(١) الاهواز اسم ولاية واقعة بين ولاية البصرة وولاية فارس ونحن نلخص

هنا ما ذكره في شأنها ياقوت في معجمه وهو

الاهواز جمع هوز وفي قول جمع خوز فهي على القول الاول محرقة عن حوز
والحوز مصدر حاز الرجل الشيء يحوزه حوزاً اذا حصله وملكه والحوز في الارضين
ان يتخذا رجل ويعين حدودها فيستحقها فلا يكون لاحد فيها حق فذلك الحوز .

أهل ميسان فماتق منه عامل البصرة عتبة بن غزوان فاستمد سعداً فأمدّه بنعيم بن
مُقَرِّن و نعيم بن مسعود وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودست ميسان ووجه عتبة
سلمى بن القين وحرمة بن مرّيطة وكانا من المهاجرين فنزلوا على حد ودارض
ميسان وهناك قوم من العرب يقال لهم بنو العم بن مالك فاتفقوا معهم على
المعاضدة وأن يشوروا بالهرمز أن كان من زعمائهم غالب الوائلي وكليب بن
وائل ونعيم ونعيم وبلغ ذلك الهرمز أن فسقط في يده فأنهزم فقتبه المسلمون
وقتلوا من قومه ماشاؤا حتى انتهى الهرمز أن إلى جسر سوق الأهواز فعبه
وأقام بها ونزل المسلمون بجياله فلما رأى ما لا طاقة له به طلب الصالح فكتبوا إلى
عتبة بن غزوان بذلك فاجاب عتبة إلى الصلح على الأهواز كلها بماخذ الأنهر تيرى
ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الأهواز فانه لا يرد عليهم وجعل سلمى بن القين
على مناذر مساحّة وأمرها إلى غالب وحرمة على نهر تيرى وأمرها إلى كليب
فكانا على مساح البصرة وكتب عتبة بذلك إلى عمر ووفد إليه وفداً منهم سلمى
وحرمة وكانا من الصحابة وغالبا وكليبا ووفد معهم بعض وجود أهل البصرة
وفيهم الأحنف بن قيس فأمرهم عمر أن يرفعوا حوائجهم فكلهم قال : أما العامة
فانت صاحبها ولم يبق إلا خواص أنفسنا : فطلبوا لأنفسهم إلا الأحنف بن
قيس فانه تكلم فأعرب وأعرب عن حاجات البصر بين فأجابه عمر اليها وقال :
هذا الغلام سيد أهل البصرة ! ثم كتب إلى عتبة بن غزوان فيه بأن يسمع منه

وعلى القول الثاني الأخواز مواضع في خوزستان - وموقع الأهواز بين البصرة
وفارس وكورها أي أقسامها سوق الأهواز ورامهرمز وايدج وعسكر مكرم وتستر
وجنديسابور وسوس وسُرق ونهر تيرى ومناذر وكان خراجها ثلاثين ألف ألف
(٣٠ مليون) درهم وكانت الفرس تقسط عليها خمسين ألف ألف وعاصمة هذا
القسم همزدار سابور او سوق الأهوار

ويشرب برأيه ! وقيل بل احتبس عنده في المدينة وسيأتى الكلام على هذا في
في سيرة الاحنف ان شاء الله

ثم ان عمر رد سلمي وحرمة وغالباً وكليبا الى مناذروهر تيرى فكانوا اعدة
فيه ليكون ان كان

ثم وقع بين الهرمزان وبين غالب وكليب اختلاف في حدود الارضين
فخضر ذلك سلمى وحرمة لينظر فيما بينهم فوجد غالباً وكليبا محقين والهرمزان
مبطلاً فخال بينه وبينهما فكفر الهرمزان أيضاً ومنع ماقبله واستعان بالاكراد
فكثف جنده فكتب الامراء الى عتبة بذلك فكتب عتبة الى عمر (رض) فامدهم
عمر بحرقوص بن زهير السعدي وكانت له صحبة وأمره على القتال وعلى ماغلب
عليه من البلاد فجاء فقاتل الهرمزان فهزمه ففر الى رامهرمز وافتتح حرقوص
سوق الاهواز واقام بها واتست له بلاد سوق الاهواز الى تستر ووضع الجزية
وكتب بالفتح الى عمر ثم بعث جزء بن معاوية في اثر الهرمزان بأمر عمر فأتته الى
قرية الشغر وأعجز بها الهرمزان فمال جزء الى دوزق (وهي مدينة سرق) وفيها
قوم لا يطيقون منعها فاخذها جزء صافية وكتب الى عمر بذلك والى عتبة وانه دعا
من هرب الى الجزاء والمنعة فاجابوه فكتب عمر اليه والى حرقوص بن معاوية بن
زهير بلزوم ماغلبا عليه وبالمقام حتى يأتيهما أمره وذكر الطبري في غضون هذا
الخبر ان جزء بن معاوية استأذن عمر (رض) في عمرات البلاد فاذن له فشق
الانهار وعمر الموات . وهكذا كان دأب هؤلاء الفاتحين الذين يرميهم الاعداء
بالمحمجية والتدمير والتخريب فانهم ماوطنوا أرضاً الا عمروها وأنصفوا أهلها
في الحكم والمعاشرة والجوار

واما الهرمزان فاقام في رامهرمز وطلب الصلح فصوّلح على ما لم يغلب عليه

المسلمون من أرضه فاقام الهرمزان على صاحبه يجي الى الامراء ويمنونه وان غار
 عليه اكراد فارس منعوه وكان ذلك في سنة (١٧) وقيل في سنة (١٦) ثم كفر
 (أي جحد) مرة أخرى وذلك أن كسرى يزدجرد حرّضه على العيصان وحرّض
 أهل الاهواز عامة فانتهى ذلك الى الامراء فيكتبوا الى عمر (رض) والى المسلمين
 بالبصرة فيكتب عمر الى سعد أن أبعث الى الاهواز بعثا كشيفاع النعمان بن مقرن
 وعجل وابعث سويد بن مقرن في نفر من وجوه المسلمين ذكرهم له . وكتب بمثل
 ذلك الى أبي موسى الأشعري وكان عاملا على البصرة بعد عتبة بن غزوان وأمره
 ان يسرح الى الاهواز جنداً كشيفاعاً وفيهم نفر من سادة المسلمين ذكرهم له
 ومنهم البطل الشهير البراء بن مالك وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن
 وأشباههم وان تكون امارة الجيشين جيش الكوفة وجيش البصرة الى أبي سبرة
 ابن أبي زهم فخرج النعمان في أهل الكوفة فاخذ وسط السواد حتى قطع دجلة
 بجيال ميسان ثم أخذ البراء الى الاهواز وانتهى الى نهري تيرى فجازها ثم جاز سوق
 الاهواز وخلف حرّق و صاوسلمى وحرّملة أمراء الاهواز ثم سار الى رامهرمز
 وبها الهرمزان ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان اليه بادره الشدة ورجأت
 يقتطعه وقد طمع الهرمزان في نصر أهل فارس وقد أقبلوا نحوه ونزلت أوائل
 أمّدادهم بتستر فالتقى النعمان والهرمزان بأربك فاقتتلوا قتالاً شديداً انتهى
 بانتصار المسلمين وانهم زام الهرمزان الى تستر ثم توافى الامراء واجتمعوا على تستر
 وكتب أبو سبرة يستمد أمير المؤمنين فامدهم بأبي موسى والظاهر ان جنود
 الفرس التي كانت جاءت مدداً للهرمزان كانت كثيرة العدد لهذا حاصروهم
 أشهراً وقتل البطل الصنديد البراء بن مالك مائة مبارز في غضون مدة الحصار
 وقتل مثل ذلك مجزأة بن ثور ومثله كعب بن سور وقتل مثل ذلك كثير من

أبطال البصرة والكوفة وعند نهاية الحصار جاء رجل الى النعمان فاستأمنه على ان يده على مدخل للمدينة فندب النعمان نفراً من الشجعان فدخلوا معه المدينة وأناموا من على الباب وفتحوه ودخلها الجنود فلما شعر بذلك الهرمزان فر الى القلعة واعتصم بها ثم طاب الامان على ان ينزل منها على حكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فنزل فأوثقوه واقتسموا أفاء الله عليهم فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف وقتل ليلئذ جمع من المسلمين فيهم البراء بن مالك ومجزأة بن ثور قتلتها الهرمزان بنفسه

وخرج أبو سبرة في أثر القل الى السوس وأحاط بها بجنده وكتب بذلك الى عمر فكتب عمر بردأي موسى الى البصرة وان يسير زر بن عبد الله بن كليب الى جندي سابور وأمر على جنده البصرة المقترب الاسود بن ربيعة أحد بني ربيعة بن مالك

ثم ان أباسبرة أوفد الى المدينة وفداً فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس ومعهم الهرمزان فلما اقتربوا من المدينة البسوه حلتهم الملوكية وتوجه ودخلوا به المدينة ليراه المسلمون على هذه الصفة وانطلقوا الى المسجد يطلبون أمير المؤمنين فوجدوه نائماً في ميمنة المسجد متوسداً برأسه فجلسوا دونه وليس في المسجد غيره : فقال الهرمزان أين عمر : فقالوا : هو ذا : فقال أين حرسه وحجابه : قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا ديوان فقال فينبغي ان يكون نبياً : فقالوا بل يعمل عمل الانبياء وكثر الناس فاستتبط عمر بالجلبية فاستوي جالسا ثم نظر الى الهرمزان فقال الهرمزان : قالوا نعم : فتأمله وتأمل ما عليه وقال : الحمد لله الذي اذل بالاسلام هذا وأشياعه يامعشر المسلمين تمسكوا بهم هذا الدين واهتدوا بهدي نبيكم ولا تبطن نكم الدنيا فانهم اغرارة ثم قال هيه يا هرمزان كيف

رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله : فقال يا عمر إننا وياكم في الجاهلية كان الله قد خلق بيننا وبينكم فغلبناكم اذ لم يكن معنا ولا معكم فلما كان معكم غلبتمونا : فقال عمر انما غلبتمونا في الجاهلية باجماعكم وتفرقتنا

هذا هو القول الحق الذي لا مرء فيه اذ ما حق الامم وذهب باستقلال الشعوب الا التفرق ومامهد للمسلمين سبيل النصر على الدول الاجتماع تلك القبائل المنفرقة على كلمة الاسلام وتمسكهم بعري الاخوة والوئام هذا على اغراقهم في البداوة وبعدهم عن أسباب الحضارة وجدتهم في سياسة الملك وبالله لو استمرت عري اجتماعهم متوثقة وأمور دولتهم متنسقة الى عهد الحضارة الاسلامية التي استراح فيها المسلمون من عناء الفتح وأخذوا انفسهم بالعلوم وتبسطوا في مناحي العمران لما تطرق اليهم الوهن ولم افترت منهم الهمة ولكن سلط عليهم أمراء وهم فقرقوا كلمتهم وأفسدوا عليهم أمرهم فتباغضوا تباغض الاعداء وتناسوا يارباه روابط الاخاء التي ربطت تلك القبائل البدوية بعراها ففتحت لهم ممالك الارض أقصاها وأدناها وبمذقان المسلمين لم يكونوا في عصر أحوج الى الوئام وأفقر للالتئام منهم في هذا العصر الذي ملأ فراغ الوجود عبراً تهز أعصاب الاموات وتثير في النفوس الخامدة بواعث الشهور بما هوآت ومع هذا فلا يزال أولياء أمورهم في تخاذل وتباغض لا يودون اجتماعاً ولا يقبلون نصحاً ولا تؤثرفيهم الزواجر ولا تعظمهم العبر يفرقون بين الاخ وأخيه والوطن وبنية تزام على اسم الرياسة وتواطؤ مع الزمان على هذه الامة الاسلامية التي تميزها الاعداء والفتاحون وزاحمها على أرضها الغربيون وطاردها في حماها المتغلبون وهي مستغرقة في بحر ان الغفلة مستسلمة لاحكام القضاء استسلام الجبان للعدو القاهر لا تلتمس لها مخرجا من هذا الضيق ولا تفتأ تبدر رؤساءها الذين

قد فو بها الى هذا المكان السحيق وقالوا بعداً للقوم الجاهلين
ثم ان عمر رضي الله عنه قال للهرمزان ما عذر ك وما حجتك في انتقاضك
مرة بعد مرة فقال أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك قال لا تخف ذلك فاستسقى
الهرمزان ماءً فأثى له به في قدح غليظ فقال لومت عطشاً لم أستطع ان أشرب
في مثل هذا فأثى به في اناء يرضاه فأظهر الجزع وقال اني أخاف ان أقتل
وأنا أشرب الماء فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشرب به : فاكفاه فقال عمر :
أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش : فقال لا حاجة لي في الماء انما
أردت ان أستامن به فقال له عمر : انى قاتلك : قال : قد آمنتني : فقال كذبت :
فقال انس صدق يا أمير المؤمنين قد آمنتته : قال ويحك يا انس انا اومن قاتل مجزأة
والبراء والله أتأني بمخرج أولاً عاقبتك : قال : قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني
وقلت لا بأس عليك حتى تشرب به : وقال له من حضر مثل ذلك فاقبل على الهرمزان
وقال خدعتني والله ولا أتخدع الا لمسلم فاسلم الهرمزان وفرض له على الفين
وانزله المدينة . وربما كان بعض الوفدهو الذي علمه هذه الحيلة شفقة عليه من
القتل والا فمناخله يعلم من اخلاق العرب الوفاء الى هذا الحد والله أعلم
خشي عمر رضي الله عنه أن يكون سبب خروج الهرمزان على المسلمين عدة
مرار مع كونه عاهدهم ودخل في ذمتهم ناشئاً عن سوء معاملة المسلمين لاهل
ذمتهم في فارس والعراق فاستدعى الوفد الذي وفد عليه مع الهرمزان وسألهم
عن ذلك وقال لعل المسلمين يفضون الى اهل الذمة بأذى : فقالوا لا مانع الا وفاء
وحسن ملكة : قال فكيف هذا وما سبب غدر اهل فارس : فلم يجد عند احد منهم
شيئاً ليشفيه ويُبصر به مما يقولون الا ما كان من الأحنف بن قيس فقال : يا أمير
المؤمنين أنا أخبرك انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وأمرتنا بالانصرار على ما في

أيدينا وإن ملك فارس حي بين أظهرهم وأنهم لا يزالون يساجلوننا مادام ملكهم
فيهم ولم يجتمع ملكان فاتقنا حتى يخرج أحدهما صاحبه وقد رأيت أنالم تأخذ شيئاً
بعدي شيء إلا بآبائهم وإن ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن
لنا فلنسح في بلادهم حتى نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وعزاه فنهالك
ينقطع رجاء أهل فارس ويضربون جأشاً: فقال عمر صدقتني والله وشرحت لي
الامر عن حقه ونظر في حوائجهم وسرحتهم . وقدم الكتاب على عمر باجماع أهل
نهاوند فتحرك في نفسه أن يأذن بالانسياح بعد أن كان متوقفاً فيه لقلة جيوش
المسلمين بالنسبة لأهل فارس وعظيم قوتهم وضخامة سلطانهم

قدمنا إن أباسيرة ذهب في أثر المنهزمين من جنود الهرمزان إلى السوس
وحاصرها فسلمت له وقيل بل كان على حصارها أبو موسى الأشعري وكان
يزدجرد بعث أحد قواده واسمه سياه في ثلثمائة مقاتل فيهم نحو سبعين رجلاً من
أشراف فارس وعظماهم إلى السوس وأمره أن ينتخب من كل بلدة صر بهامن
أحب فضى سياه إلى السوس وقد سلمت ودخلت في حوزة المسلمين فتحول
سياه ونزل بين رامهرمز وأستبر وقد عظم عنده أمر المسلمين وعلم بفراسته أنهم
ظافرون بالدولة الفارسية لا محالة فدعا الرؤساء الذين كانوا معه وقال لهم: قد
علمتم أنا كنا نتحدث أن هؤلاء القوم أهل الشقاء والبؤس سيغلبون على هذه
المملكة وتروث دوابهم في إيوانات اصطخر ومصانع الملوك ويشدون خيولهم
بشجرها وقد غلبوا على ما رأيتم وليس يلقون جندياً إلا قلوه ولا يزالون يحصن
الافتحوه فانظروا لانفسكم

قالوا رأينا رأيك . قال فليكن في كل رجل منكم حشمة والمنقطعين إليه فاني
أرى أن تدخل في دينهم . وإنما أمرهم بأن يكفوه الجند تلافياً لما عساه يحدث منهم

فيمالوا سلم أشرفهم فلبى الرؤساء أمره ثم وجهوا أخدمه واسمه شيرويه إلى أبي موسى
 في عشرة من الاساورة فقدم عليه وقال له: أنا قدر غنبا في دينكم فنسلم على أن نقاتل
 معكم العجم ولا نقاتل معكم العرب وان قاتلنا أحد من العرب منعتمو نامنه ونزل
 حيث شئنا ونكون فيمن شئنا منكم وتلحقو بنا بشراف العطاء (١) ويعقد لنا الامير
 الذي هو فوقك بذلك: فقال أبو موسى بل لكم مالناو عليكم ما علينا: قالوا لا نرضى:
 فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه ان أعطيهم ما سألوه ورأى منهم مرة
 تقصيرا في الحرب فلامهم على ذلك فاعتذرو اليه بقلة العطاء فكتب بذلك الى عمر
 (رض) فكتب اليه ان أحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء وأكثر شيء أخذه
 العرب: ففرض لمائة منهم في الفين ولستمائة منهم في الفين وخمسائة فقال الشاعر
 ولما رأى الفاروق حسن بلائهم وكان بما يأتي من الأمر أبصرا
 فسن لهم الفين فرضا وقد رأى ثلاثين فرض عك وحيرا
 وفي هذه الايات استحسان لما صنعه عمر رضى الله عنه بالحاق القوم
 بأفضل العطاء تأليفاً لقلوبهم وحذرا من أمر يأتي من قبلهم ولا جرم ان الانتفاع
 بناس كهؤلاء لا يفوت ذلك الخليفة العظيم الذي أدهش بحسن سياسته يومئذ
 ملوك القرس والروم فرضى الله عنه وجزاه عن هذه الأمة خير الجزاء

﴿ خبر جنرى سابور ﴾

(وأمان عبد امضاه جيش المسلمين)

روى الطبري ان أبا سبرة لما فرغ من السوس خرج في جنده حتى نزل على

(١) كذا في تاريخ الطبري ولعله باشرف العطاء أى اعلاء أو بالاشراف من أهل

العطاء والعطاء هو في عرفنا الآن المرتب أو الماهية وسيأتي الكلام عليه في هذا

جندى سابور وزير بن عبد الله بن كليب محاصره فاقموا عليها يغادونهم
ويراوحونهم القتال فلم ينجأهم يوماً الا وأبواب البلد تفتح ثم خرج الناس وخرج
الاسواق وانبت أهل الحغار المسلمون من ذلك وأرسلوا فسألوه ان مالكم :
قالوا رميمت الينا بالامان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزاء على ان تمنعونا فقال المسلمون
ما فعلنا فقال أهل جندى سابور ونحن ما كذبنا : فسأل المسلمون فيما بينهم فاذا
عبيد عي مكناً كان أصله منها هو الذي كتب لهم : فقالوا انما هو عبد : فقالوا
انا لانعرف حرکم من عبدکم قد جاءنا امان فنحن عليه قد قبلناه ولم نبدل
فان شئتم فأغدروا : فامسكوا عنهم وكتبوا بذلك الى عمر فكتب اليهم
ان الله عظم الوفاء فلا تكونون أوفياء حتى تقوا مادمتم في شك أجزوهم

وفوا لهم : فوفوا لهم وانصرفوا عنهم

ولولم يعلم هذا العبد من اخلاق أولئك الفاتحين السامية انهم يجوزون امانه
وان اخلاقهم الكريمة ونفوسهم الشريفة فوق كل فاتح محارب لما رمى لقومه
بالامان واستنز لهم من المعادل ولو أنصف جهلة المتعصبين من المؤرخين وتبعوا
أخبار هذا الفتح وبحثوا عن سيرة أولئك الفاتحين وأخلاقهم البارة بالانسانية
لكفوا أنفسهم وؤنة التهجم على ثلب المسلمين ووصفهم بالهجمية والتخريب في
أيام فتوحهم العظيمة ولكن ما الحيلة وانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور

(الانسياح في بلاد فارس)

أشرنا فيما تقدم الى ماراه الأحنف بن قيس من لزوم انسياح (١) الجيوش
الاسلامية في بلاد فارس تخلصاً من عصبية الملك واستخضاعاً للفرس وقد انتهت

(١) الانسياح هو الذهاب في الارض

عمر (رض) الى رأي الأحنف وعرف فضله وصدقه فأعد لذلك العدة وقسم الجيوش وأمر الامراء من أهل الكوفة والبصرة فأمر أباموسى الاشعري ان يسير من البصرة الى منقطع ذمة البصرة أى آخرها فيكون هناك حتى يبعث اليه وبعث بالوية من ولى مع سهيل بن عدي حليف بنى عبد الاشهل فقدم سهيل بالألوية ودفع لواء خراسان الى الأحنف بن قيس : ولواء ازدشير خزره وسابور الى مجاشع بن مسعود السلمى : ولواء إصطخر الى عثمان بن العاص الثقفي : ولواء فسأ ودارجرد الى سارية بن زعيم الكنانى : ولواء كerman مع سهيل بن عدي : ولواء سجستان الى عاصم بن عمر : ولواء مكران الى الحكيم بن عمير التغلبى : فخر جوفى سنة (١٧ هـ) فمسكرو واليسير والى هذه الكور فلم يتيسر مسيرهم حتى دخلت سنة (١٨) وأمدهم عمر (رض) بجماعة من جند الكوفة : فأمد سهيل بن عدي بعبد الله بن عبد الله بن عثمان : وأمد الأحنف بعلمة بن النضر وبعبد الله بن أبي عقيل وبرئعي بن عامر ويا بن أم غزال : وأمد عاصم بن عمرو بعبد الله بن عمير الأشجعي : وأمد الحكيم بن عمير بشهاب بن الخوارق المازني

سارت هذه الجيوش كل جيش فى وجهته وافتتحت فى غضون خمس سنين أعنى الى نهاية خلافة عمر (رض) القسم الأعظم من بلاد فارس الشرقية والغربية صلحاء وحر بأفبلت ولاية اذربيجان شمالاً وسجستان (من ولاية افغانستان) ومكران (من ولاية بلوخرستان أي السند) شرقاً وبحر الهند وخليج فارس جنوباً وكردستان والجزيرة غرباً وكانت أعظم وقائع المسلمين فى فارس بعد انسياح الجيش وقعة نهاوند واحسن الفتح فتح خراسان : فاما فتح خراسان فقد اختلف فيه هل كان فى خلافة عمر بن الخطاب أو خلافة عثمان رضى الله عنهما لهذا نرجي السلام عليه الى سيرة الأحنف بن قيس : واما فتح نهاوند فندكر طرفاً

من خبره هنا لأهميته ولكثرة ما عاناه المسلمون في هذا الفتح من المشاق وما
لا قوه من شدة العدو وعدته فنقول نقلاً عما رواه الطبري في تاريخه
(خبر نهاوند)

كان الذي هيج أمر نهاوند كسرى يزدجرد فانه جمع اليه عظماء الفرس
وخوفهم من اجتماع الجيوش الاسلامية على فارس وأنذرهم بذهاب الملك اذا
لم ينهضوا نهضة رجل واحد للمسلمين فأجمعوا رأيهم على اعداد الجيوش في
نهاوند وكتبوا الى البلاد فخرش والجنود الفارسية الى نهاوند وكانت عدتها ١٥٠٠٠
مقاتل فلما انتهى الخبر الى موبدان حلوان كتب بذلك الى سعد بن أبي وقاص
وكتب هذا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) فجمع عمر الصحابة
واستشارهم في الامر ففهم من أشار عليه بالنهوض بنفسه الى فارس ومنهم من
أشار عليه بالمقام وبتسريح جنود الشام ومنهم من رأى غير ذلك وممن رأى ان
يذهب الى حرب القوم بنفسه عثمان بن عفان (رض) فانه قام فقال (١) بعد ان تشهد
أرى يا أمير المؤمنين ان تكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم وتكتب
الى أهل اليمن فيسيروا من بينهم ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين الى المصريين
البصرة والكوفة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت بمن معك

(١) هكذا كانت العادة عند المسلمين اذا اجتمعوا عند الخليفة للشورى يقوم
أحدهم عند ابداء الرأي خطيباً ويشير بما يراه ويشبهه في هذا العصر حال مجالس الشورى
عند الأمم الأوربية ولكن شتان بين أهل شورى يفضي بهم البحث لاختلافهم في
المنازع والغايات الى المجادلة ثم المنازعة والمقارعة ثم الضرب والملاكمة وبين أهل
شورى وجهتهم واحدة وأخلاقهم رزينة ونياتهم سليمة فلا يسفها أحدهم رأي الآخر
ولا يتناول في الكلام على سواه بل يبدي رأيه مع الأدب والرزانة فان قبل كان بها
والأفغيره أن يقول ما يشاء

وعندك . قل في نفسك ما قد تكاثرت من عدد القوم وكنت أعزّزاً وأكثر .
يا أمير المؤمنين أنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية (١) ولا تمتع من الدنيا
بعزيز ولا تلوذ منها بحريز . ان هذا اليوم له ما بعده من الايام فاشهد برأيك
وأعوانك ولا تغب عنه : ثم جلس فعاد عمر فقال
ان هذا اليوم له ما بعده من الايام فتكلموا : فقام علي بن أبي طالب رضى
الله عنه فقال

أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت
الروم الى ذراريهم . (٢) وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى
ذراريهم . وانك إن شخصت من هذه الارض انتقضت عليك الارض من
أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أم اليك مما بين يديك من العورات
والعيالات . أقررهؤلاء في أمصارهم واكتب الى أهل البصرة فلينتفروا فيها
ثلاث فرق فلتقم فرقة لهم في حرّمهم وذراريهم ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا
ينقضوا عليهم ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مدداهم . ان الاعاجم ان ينظروا
اليك غداً قالوا هذا أمير العرب وأصل العرب فكان ذلك أشد لسكبتهم والبثهم
على نفسك . واما ما ذكرت من مسير القوم فان لله هوا كره لمسيرهم منك وهو
أقدر على تغيير ما يكره . واما ما ذكرت من عددهم فاننا لم نكن نقاتل فيما مضى

(١) يريد لاتبالي بنفسك اذا أصيب العرب بشيء وفي قوله هذا ومن بقية الخطبة
دليل على ما أعده الفرس من القوّة والعدة لمكافحة المسلمين يومئذ مما استكبر أمره
الصحابة ورأوا لزوم اعداد القوّة المماثلة لقوّة الفرس الحاسمة لخطر هجومهم على
المسلمين (٢) جمع الذرية وهو ولد الرجل والنساء الواحد والجميع ومراده ان الروم
يسرون الى الشام حيث لا يبقى الا النساء والاطفال فيكتسحون البلاد ويسبون الذرية

بالكثره ولكننا كنا نقاتل بالنصر :

فقال عمر : أجل والله ائبن شخصت من البلد لتنقضن علي الارض من اطرافها واكنافها وائبن نظرت الي الاعاجم لا يفارقن العرصة وليمدنهم من لم يمدهم ولبقولن هذا اصل العرب فاذا اقتطعتوه اقتطعتهم اصل العرب فأشيروا علي برجل أو له ذلك الشعر غدا واجعلوه عراقيا : قالوا انت أفضل رأيا وأحسن مقدرة وأنت أعلم باهل العراق : فقال أما والله لا أولين أمرهم رجلا ليكونن لأول الأسنه اذا لقيها غداً : فقيل من يأمر المؤمنين : فقال النعمان بن مقرن العزني ! فقالوا هولها :

وكان النعمان (١) يومئذ بالمدينة وقيل كان بالبصرة مع القواد الذين أمده بهم عمر لما افتتح رامهرمز وقيل بل كان علي خراج كسكر وكان كتب الي عمر يستعفيه من اماره الخراج ويطلب منه الحاقه بجيش من جيوش المسلمين وذلك لان اماره الحرب كانت أحب الي اقبال الصحابة من اماره الخراج لاعتبارهم الثانية من دواعي الراحة والرفاهية اللتين لم تألفهما نفوسهم العاليه ليلها الي اكتساب الفضيلة والشرف من ساحات الحرب والقتال . واليك كتاب النعمان الي أمير المؤمنين ومنه ترى بماذا شبه نعيم كسكر وكيف كان يأنف ذلك النعيم أما بعد ان مثلي ومثل كسكر كمثل رجل شاب الي جنبه مؤسسه تلون له وتعطره فأنشدك الله لما عزلتني عن كسكر وبعثتني الي جيش من جيوش المسلمين

(١) هذا البطل الجليل هو النعمان بن مقرن بن عائذ بن سيجان ويتصل نسبه بأب بن طابخة المزني نسبه الي مزينة من ولد عثمان بن عمرو قدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربعمائته من مزينة وقيل هاجر ومعه سبعة اخوة له وكان معه لواء مزينة يوم فتح مكة وحضر حرب القادسية وغيرها من حروب الفرس واستشهد بها وند

فكتب اليه عمر أن أتت الناس بنهاوند فاني قد وليتكم حربهم فسر من وجهك ذلك حتى تأتي ماه فاني قد كتبت الى أهل الكوفة ان يوافقوك بها فاذا اجتمع لك جنودك فسر اى الفيرزان ومن تجمع اليه من الاعاجم من أهل فارس وغيرهم واستنصروا الله وأكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله

وكتب الى الكوفة بشخوص الجيش الى نهاوند وعليهم حذيفة بن اليمان حتى يلتقى بالنعمان فتكون له اماراة الجيش وكتب الى سلمى بن القين وحرمة بن مريظة وغيرهم من الامراء الذين كانوا بالعراق العجمى وفارس أن يشغلوا الفرس عن جيش نهاوند فنقدم بعضهم الى تخوم أصبهان وبعضهم الى تخوم فارس فقطعوا عن نهاوند امداد فارس ولما قدم جيش الكوفة على النعمان جاءه كتاب عمر ان معك حد العرب ورجلهم فى الجاهلية فأدخلهم دون من هو دونهم فى العلم بالحرب واستعن بهم وأشرب برأيهم وسل طليحة وعمرأ وعمرأولا تولهم شيئاً

ويعنى بالعمرين عمرو بن معدى كرب الزبيدى وعمرو بن أبى سلمى العنزى وهما وطليحة بن خويلد الاسدي من زعماء العرب فى حروب الردة لهذا أمره عمر باستشارتهم ونهاه عن تأييدهم لانه رضى الله عنه كان لا يرى تأييد احد من زعماء الردة وان أذن لأهل الردة بالجهاد واستنفرهم للفتح وكان أبو بكر رضى الله عنه لا يرى هذا ولا ذاك كما رأيت فيما مر من سيرته وانما ساع لعمر (رض) ان يأذن لهم بحضور الفتح للحاجة اليهم فى إبان الفتح والحصول الاطمئنان من جهتهم سيما بعد تبسط المسلمين فى البلاد وحصول العرب على ذلك الملك العريض بفضل الاسلام

تقدم النعمان وتقدم امامه عمرو بن أبى سلمى وطليحة الأسدى

لاستكشاف حال العدو ونخاف عمرو والتوغل ورجع ومضى طليحة على وجهه وكان
 بطلا شجاعاً حتى بلغ نهاوند وعاد فأخبر النعمان بان ليس بينه وبين نهاوند شيء يخشاه
 فتقدم النعمان حتى نزل على نهاوند وعلى جيوش الفرس قائد اسمه الفيرزان وآخر
 اسمه بهمن جاذويه ووافى النعمان بمداد أهل المدينة فيهم المغيرة بن شعبة
 وكذلك وافى أهل نهاوند كل من غاب عن القادسية والايام قبلها من أهل
 الثغور ونزلوا ونزل النعمان ولما أريد بناء فسطاط للنعمان بادراشرف أهل
 الكوفة فبنوا له فسطاطا (وهو السرادق) وهم أربعة عشر منهم حذيفة بن اليمان
 وعقبة بن عمرو والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصة وحظلة الكاتب بن
 الربيع وابن الهويرة وربيع بن عامر وعامر بن مطر وجري بن عبد الله الحميري
 والأقرع بن عبد الله الحميري وجري بن عبد الله البجلي والاشعث بن قيس
 الكندي وسعيد بن قيس الهمداني ووائل بن حجر فلم يُرَبَّنْ فسطاط بالعراق
 كهؤلاء في هذا دليل على حسن الرابطة التي جعلها الاسلام بين اشرف العرب
 وأنشب النعمان القتال فاقتتلوا يوم الاربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم في
 ذلك سجال وفي يوم الجمعة لجأ الفرس الى خنادقهم وحصرهم المسلمون فاقاموا
 عليهم ماشاء الله والاعاجم لا يخرجون الا اذا أرادوا الخروج فاشتد ذلك على
 المسلمين وخافوا ان يطول عليهم الامر فجمع النعمان أهل الراي والنجدة للشورى
 فاجتمعوا وابدى كل واحد منهم رأيه وكان من رأي طليحة الاسدي ان يبعث
 النعمان خيلاً تقاحي الأعداء في خنادقهم وتخالطهم ثم تخرج بهم وتستطرد لهم
 حتى يقاربوا الجيش فيبادرهم القتال ويقطع عليهم خط الرجوع فانهى النعمان الى
 رأي طليحة فأمر التعمق بن عمرو وكان على المجردة فعمل وأنشب القتال مع
 المعجم فلما خرجوا انكص ومازال يتأخرنا كصا شبه المهزم حتى اقترب بهم من

جيش المسلمين وكان النعمان على تعبئة فاخذ يمر على الصفوف ويحرض المسلمين على القتال وكلهم سامعون مطيعون ثم حمل النعمان وحمل الناس وراية النعمان تنقض نحوهم انقضاض العقاب فاقتتلوا بالسيوف قتالا شديدا وكانت وقعة لم يسمع بمثليها قط وسال الدم في ارض المعركة فزالق به الناس والدواب واصيب فرسان من فرسان المسلمين في الزلق وزلق فرس النعمان في الدماء فصصره وتناول الراية نعيم ابن مقرن ثم دفعها الى حذيفة وجاء المغيرة بن شعبه وقال اكتبوا مصاب أميركم كئلا يبين الناس واقتتلوا الى الليل وتمت الهزيمة على الفرس فانكفأوا في الخنادق فقتلوا ولم يفلت منهم الا الشريد ونجا الفيرزان فاتبعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدماه فاردكه عند ثنية همدان فتوقل الجبل فتوقل القعقاع في اثره واخذدولما بلغ الفل همدان جاءت خيل المسلمين في آثارهم فنزلوا عليها فرج اليهم خسر وسنوم فاستأمنهم وضمن لهم همدان ودستبي وان لا يؤتى المسلمون من قبلهم فأجابوهم الى ذلك وأمنوهم فأقبل كل من كان هرب واطمئن الناس

وقتل في وقعة نهاوند ناس من المسلمين ويقال ان ممن قتل يومئذ طليحة الأسدي وعمر بن معدى كرب الزبيدي ودخل المسلمون المدينة بعد هزيمة الفرس واحتوا واما فيها وما حولها وجمعوا الاسلاب الى صاحب الاقباض (١) وهو السائب بن الاقرع وجاءهم الهربذ صاحب بيت النار مستأمناً ودلهم على ذخيرة لكسرى كانت عنده على شرط ان يعطوه الامان على نفسه وعلى من شاء فاعطاه حذيفة ذلك فأخرج له تلك الذخيرة في سفطين (٢) وهي جوهر ثمين

(١) امين المال والغنائم (٢) قال في القاموس السفت محرركة كالجوالق أو الفقهاء قوله الجوالق معربة عن جوال التركية وهو ما يسميه الشاميون الآن العذل أو الكيس وما يسميه المصريون الزكية

كان أعدته لنوائب الزمان فاجمع رأي المسلمين على رفعه الى عمر وقسم حذيفة الغنائم فكان سهم الفارس ستة آلاف وسهم الرجل الفين ورفع ما بقى من الاخماس الى السائب بن الاقرع فقبض السائب الاخماس فخرج بها الى عمر مع ذخيرة كسرى وتقدم الرسول بخبر الفتح وهو طريف بن سهم أخو بني ربيعة وكان عمر متملماً ينتظر أخبارها وندفما جاءه الرسول وأخبره خبر الفتح واستشهاد النعمان بكى حتى اخضلت لحيته وترحم على النعمان وكان رضي الله عنه رقيق القلب محباً للمسلمين حريصاً على حياة القواد يحزن حزناً شديداً اذا أصيب أحد منهم ثم وصل السائب بالاخماس فوضعت في المسجد وأمر عمر نفر من أصحابه منهم عبد الرحمن بن عوف بالمبيت فيه ودخل منزله فاتبعه السائب بالسفطين وأخبره خبرهما وان الناس رضوا بأن يكونا له عمر: يأمليكة والله مادروا هذا ولا أنت معهم فالنجاء النجاء عودك على بدئك حتى تأتي حذيفة فيقسمهما على من أفاءهما الله عليه: فأقبل راجعاً حتى انتهى الى حذيفة فأقامها فبأبائها فأصاب أربعة آلاف الف (أربعة ملايين)

هذه هي العفة التي قل أن تكون في بشر فضلاً عن ملك يكون له من السلطة على الناس ما كان لذلك الخليفة العظيم ولقد صدق والله من قال لله من ان عمر ليس بنبي ولا كنه يعمل أعمال الانبياء وحقاً ان هذه الاخلاق أخلاق الانبياء الذين استهانوا بالديار ومتاعها والآفاي حرج على عمر رضى الله عنه لو قبل هدية خصه بها المسلمون ورضي الجيش كله برفعها اليه وان كانت من فيهم ومما غنموه بسيو فمهم لو لم يكن متخليقاً بأخلاق النبوة المحمدية مخلصاً لله في السر والملاينة ليس له رغبة في غير الكفاف من العيش وسعادة المسلمين وغانم وراحتهم فرضى الله عن نفسه الطاهرة بما أشر فيها وأسمها ومن للأمة بعمر ثانياً

يرداخراها الى اولاهوا ويبدل نفسه في سبيل سعادتها
 ثم لما جرى بسبي نهاوند الى المدينة جعل أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة لا يلقي
 منهم صغيراً الا مسح رأسه وبكى وقال: أكل عمر كبدي: وكان نهاوندياً فأسرته
 الروم أيام حربهم مع الفرس وأسره المسلمون بعد فئسب الى حيث سبي
 ولما تم فتح نهاوند جاء أهل الماهين ماه بهرذان وماه دينار وطلبوا من
 حذيفة الامان على أن يؤدوا الجزية فكتب لاهل كل ماه عهداً هذه صورته
 (عن الطبري)

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل ماه دينار
 أعطاهم الامان على أنفسهم وأموالهم وأرضيتهم لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم
 وبين شرائعتهم ولهم المنعة^(١) ما أدوا الجزية في كل سنة الى من وليهم من المسلمين
 على كل حالم في ماله ونفسه على قدر طاقتة . وما أرشدوا ابن السبيل وأصلحوا
 الطرق وقرؤوا (أضافوا) جنود المسلمين من مرتبهم فأوى اليهم يوماً وليلة
 ونصحوا . فان غشوا وبدلوا فدمت منهم بريئة . شهد القعقاع بن عمرو ونعيم بن
 مقرن وكتب في المحرم سنة ١٩

(١) قد مر معنا لفظ المنعة في عهود أهل الذمة عدة مرار في هذا الكتاب ولم
 نذكر شيئاً عنها ونقول هنا المنعة محرّكة هي الحماية والامتناع بالعشيرة وكان المسلمون
 يشترطون على أنفسهم الذمي المنعة أي انه يصير كواحد منهم يتمتعونه من كل غاصب ومحارب
 ومن كل من أراد به سوء ولهذا السبب لم يكلف أهل الذمة بالدخول مع المسلمين
 في محاربة اعداء وطنهم دفاعاً عن الحوزة لتحمل المسلمين ذلك دونهم من عهد الفتح
 وهذه هي العلة في ان الدول الاسلامية لاتعمم احكام الجندية ولا تأخذ من أهل الذمة
 عسكرياً لحراسة البلاد أو للحرب مع اعدائها من أي جنس كانوا وهي نعمة لا يزال
 يقدرها قدرها كثير من عقلاء المسيحيين في المشرق ويتمنون اصلاح حال الحكومات
 الاسلامية لتدوم عليهم بدوامها سلطة الاسلام

ومما يستنبط من هذا الكتاب ان العرب لما معنوا في بلاد فارس وكثرت
مخالطتهم للفرس والروم أخذوا باصول الحضارة وتمكنوا من سياسة الملك
وعرفوا لوازم العمران فجعلوا اصلاح الطرق التي هي عون الأمم التجارية
والحرية اجبارياً على أهل البلاد كما رأيت في هذا الكتاب وكما جاء في كتاب عياض
ابن غنم لأهل الرها من الجزيرة وكان فتحها في سنة ١٨ في السنة التي فتحت بها
نهاوند والماء ووربما كانوا أو الطرق في التثمت والخراب تابعة لسائر العمران في
مملكتي الفرس والروم يومئذ لما كانت عليه من التناهي في الظلم واغفال شؤون
العمران فاشترطوا على أهل البلاد اصلاحها وانما قلنا انهم شعروا بهذه الحاجة لما
أمعنوا في البلاد وكثرت مخالطتهم لتلك الأمم لانهم نزلوا في كتب العهد السابقة على
ذلك التاريخ شرطاً كهذا الشرط وهو وجوب اصلاح الطرق وهذا يخبرنا
عن بدء انتظام الشؤون العمرانية في الدولة العربية لاسيما اذا أضفنا اليه انصراف
همة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ السنة السادسة عشرة للهجرة
الى تمصير الامصار في العراق وشق الانهر واصلاح الجسور كما رأيت وسترى
في هذا الكتاب

وكان الذي عقد صلح الماء مع المسلمين أحد أبناء البيوتات من آل قارن
واسمه دينار وبه سمي الماء الواحد ماء دينار وكان سبب صلحه ان أحد ابطال
المسلمين وهو سماك بن عبيد العيسى أسره عقب فراره من وقعة نهاوند ثم من
عليه بالاطلاق فعرف له هذا الجميل وطلب منه أن يقدمه الى الامير ليصالحه على
بلده فقدمه الى حذيفة فكتب له حذيفة ذلك الكتاب وجعله على عمله فوفى
للمسلمين بالعهد وأحسن الجوار وكان يختلف الى الكوفة كلما كان عمله تابعا للعامل
الكوفة فاختر اخلاق المسلمين أيام الفتح وعرف أحوالهم ووقف على سيرتهم

ولما كان من أهل الكوفة ما كان من الانشقاق والخروج على العمال ومنابذة الخلفاء قدم عليهم دينار في خلافة معاوية فقام بالناس في الكوفة فقال
 يامعشر أهل الكوفة أنتم أول ما مررت بنا كنتم خيار الناس فعمرتهم بذلك
 زمانب عمر وعثمان ثم تغيرت وفشت فيكم خصال أربع: بخل وخب (أي خداع)
 وغدرو ضيق (الشك والتردد). ولم يكن فيكم واحدة منهن فرمقتكم فاذا ذلك في
 مولدكم فعلتمت من أين اتيم فاذا الحُبُّ من قبل النبط والبخل من قبل فارس
 والغدر من قبل خراسان والضيق من قبل الاهواز:

وانما أحببت ايراد هذه الحكاية هنا لما لها من العلاقة بما قام في فكري منذ
 ولعت بالتاريخ من جهة تغير أخلاق أهل العراق من العرب دون أهل الشام في
 أيام الخلفاء علي ومعاوية رضي الله عنهما ومن بعدهما وأبسط الكلام على هذا
 في محله ان شاء الله

والى هنا تقف بالقلم عن النبط في تاريخ فتح بلاد العجم اكتفاء بما أجملناه
 من خبر السياح الجنود الاسلامية في تلك البلاد والاطراف التي بلغوها في خلافة
 عمر رضي الله عنه وانما توسعنا في بعض الاخبار دون البعض الآخر التماساً لبعض
 الشوارد التاريخية التي لها مناسبة بما علقناه وسنعلقه عليها من الشروح
 والاستنباطات التاريخية والدينية والاجتماعية ولو أوردنا كل أخبار الفتح وعلقنا
 عليها الشروح وتبعنا المناسبات لاحتجنا لكتابة أكثر من مجلدين في سيرة
 أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي هذا من المشقة ما ربما يبسط بنا
 كثير آفي ابراز هذا التاريخ على ان الفائدة التي قصدناها حاصل ان شاء الله وفي القليل
 أحياناً ما يعني عن الكثير وفيما يأتي من هذا الجزء غنية عما تركناه والله ولي التوفيق

باب

﴿ فتح الجزيرة ﴾

الجزيرة هي الجزء الشمالي من الاراضي الواقعة بين الفرات ودجلة وأما
الجزء الجنوبي فإنه العراق وكلاهما كانا من منازل العرب من بكر وربيعة ومضر
وكان رحيل العرب الى هذه البلاد من أزمان منطاوله قيل إنها تمتد الى ما بعد
سبيل العرم حيث رحلت هذه القبائل ونزلت بهذا القسم من الارض وقاعدة
الجزيرة هي الموصل وقد كان فتحها وفتح تكريت في سنة (١٦ هـ) على يدي عبد
الله بن المعتم وربيعي بن الأفكل وكان بعثهما سعد بن أبي وقاص من العراق وقيل
بل كان فتح الموصل على يدي عياض بن غنم^(١) لما فتح الجزيرة بين سنة ١٨
وسنة ٢٠ وتحرير الخبر أنا ذكرنا في فتوح الشام كيف أن هرقل ملك الروم هاجم
المسلمين في حمص بعد استنقارهم في بلاد الشام وأن عمر كتب الى سعد بن أبي
وقاص بان يمدأبا عبيدة في حمص بالقمعاع بن عمرو ويشغل جيوش الجزيرة عن
امداد هرقل بجيوش من المسلمين عليها عياض بن غنم فسار القمعاع حتى أدرك
أبا عبيدة في حمص وقد ظفر بالروم وتفرقوا وحاصر عياض بعض مدن الجزيرة

(١) قدم معنا كثيراً اسم هذا الفتح الكبير في هذا الكتاب لهذا رأينا هنا
بمناسبة فتحه للجزيرة ان نذكر شيئاً من نسبه وسيرته فهو عياض بن غنم بن زهير
ابن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي أبو سعد
وقيل أبو سعيد وابو عبيدة بن الجراح بن عمه وقد قاتل معه بالشام ومع خالد بالعراق
كما رأيت في هذا الكتاب وصار اليه فتح الجزيرة وولاية أبي عبيدة بالشام وتوفي سنة
عشرين وكان صالحاً فاضلاً شجاعاً سمحاً يسمونه لكرمه زاد الركب لانه كان يطعم
الناس زاده فاذا نفذ نحر لهم جملة وكان اسلامه قبل الحديدية رضي الله عنه وارضاه

ثم لما بلغه شخص عمر (رض) لاجابية شخص لاسلام عليه هو وخالد و أبو عبيدة
 ومعظم الامراء فطلب أبو عبيدة من عمر رضى الله عنهما أن يعينه بعياض ففعل
 وأبقاه عنده ولما مات أبو عبيدة في طاعون عمواس سنة (١٨) استخلف عياضاً
 فورد عليه كتاب عمر بتوليته عمل أبي عبيدة وهو حمص وقتس بن وأضاف اليه
 الجزيرة وأمره بالمسير الى فتحها فسار ومعه من القواديسرة بن مسروق
 العبسي وسعيد بن عامر بن حذيم الجمحي وصفوان بن المعطل السلمى ويقال
 و خالد بن الوليد والاصح أن خالد لم يسر تحت لواء أحد بعد أبي عبيدة
 وقد تضاربت الروايات في زمن مسير عياض الى فتح الجزيرة وفي هل سار
 من قبل سعد وهو في العراق أم من قبل أبي عبيدة والصحيح الذي يستنتج من
 مجموع تلك الروايات هو ما ذكرناه

وكان فتح الجزيرة كله صلحاً ومنه ما كان بعد قتال قليل وأهم البلاد التي
 فتحت هي الرقة والرها (أوزفا) ونصيبين وحران وساميساط وسنجار
 وقرقسيا (وكان فتح هذه على يدي حبيب بن مسلمة الفهري) وسروج وجسر
 منبج والموصل و آمد وغيرها وهكذا حتى بلغ عياض بادية الشام غرباً وأرمينيا
 و كردستان شرقياً ثم دخل الدرب^(١) فبلغ بدليس (بتليس الآن) من كردستان
 وجازها الى خلاط وانتهى الى العين الحامضة ثم عاد فضمن صاحب بدليس خراج
 خلاط ثم عاد الى الرقة وانصرف منها الى حمص ومات سنة ٢٠ فولى عمر مكانه
 سعيد بن عامر بن حذيم فلم يلبث الا قليلا حتى مات فولى عمر عمير بن سعيد بن
 شهيد الانصاري أحد الأوس وقيل هو عمير بن سعيد بن عبيد وقتل أباه سعد

«١» قال في القاموس الدرب باب السكة الواسع والباب الاكبر وكل مدخل الى

الروم اهو هو المقصود بقولهم أدرب أى دخل الدرب

يوم القادسية

ففتح عمير عين الوردة ويقال لها رأس العين وهي مجتمع العيون التي يجري
منها نهر الخابور ويصب في الفرات ثم سلك الخابور حتى أتى قرقيسيا وقد نقض
أهلها فافتتحها وصالح أهلها على صلحهم الأول ثم أتى حصون الفرات حصناً حصناً
ولم يلق فيها كيداً حتى بلغ النأوسة والوسية وهيت فوجد سعد بن عمرو بن حرام
الانصاري وقد بعثه أمير الكوفة ليغزو ما فوق الانبار فلما اجتمع عمير وسعد
صالح عمير أهل هيت وانصرف الى الرقة

وكان عياض بن غنم رضی الله عنه أعطى كتباً في الصلح لاهل الجزيرة وقد
تقدم معانفي أو اخر باب فتح بلاد العجم بمناسبة الكلام على العمران في عصر عمر
ان من تلك الكتب ما اشترط فيه على أهل الذمة اصلاح الطرق والجسور
وهانحن نقل هذا كتاباً منها كتبه لاهل الرها وهو بنصه عن فتوح البلدان
(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من عياض بن غنم لاسقف الرها
انكم ان فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا الي عن كل رجل دينار أو مدي قح فانتم
آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم وعليكم ارشاد الضال وإصلاح الجسور
والطرق ونصيحة المسلمين شهد الله وكفى بالله شهيداً:

باب

﴿ فتح مصر وبرقة ﴾

كان عمرو بن العاص شديد التبطلع الى مصر راغباً في فتحها لانه جاءها مرة
في الجاهلية ورأى من ثروة أهلها وسهولة أمرها ما أطمعه في فتحها فلما قدم عمر

ابن الخطاب الجابية في سنة (١٨) اختلى به وفاتحه بما في نفسه وهو ن عليه أمر مصر
ورغب اليه أن يوليه فتحها فتردد عمر رضي الله عنه في الأمر لأن جيوشه متفرقة
في الشام والجزيرة وفارس تكافح دولة الفرس والروم فما زال به عمرو حتى
استرضاه وأذن له بقصدها وجهز معه أربعة آلاف مقاتل كلهم من عك وقال له سر
وأنا مستخير الله في مسيرك وسياتيك كتابي إن شاء الله تعالى فإن أدركك كتابي
وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف
وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فاهض لوجهك واستعن بالله واستنصره
فسار عمرو بن العاص ووافاه كتاب عمر يأمره فيه بالانصراف فلم يفتحه
حتى دخل أرض مصر وسيأتي الكلام على هذا في سيرة عمرو ثم تقدم عمرو حتى
بلغ الفرما فقاتله بها الروم نحو آمن شهر فهنزهم وتقدم إلى القواصر ولا يدافع إلا
دفاعاً خفيفاً ثم إلى بلبيس ثم إلى أم دنين ثم مصر وأبطأ عليه الفتح فاستمد عمر فأمدته
بأربعة آلاف ثم استمدته مرة أخرى فأمدته بأربعة آلاف آخرين وكتب إليه أني قد
أمددتك بأربعة آلاف رجل منهم رجال مقام الألف . الزبير بن العوام . والمقداد
ابن الأسود . وعباد بن الصامت . ومسلمة بن مخلد . واعلم أن معك اثني عشر
ألفاً ولا تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة :

كان القبط في مصر يكرهون سيادة الروم ويودون التخلص منها ولو
بسيادة المسلمين فلما بلغ عمرو مصر وظفر بجنود الروم توأطأ على صلحه الموقس
مع قومه وصالحوه على شيء معلوم وبعد أن تم الصلح شخص عمرو وبعثه إلى
الاسكندرية وكان فيها جمع كثيف من الروم فحاصرها مدة طويلة ثم أخذها عنوة
وكتب بالفتح إلى عمرو واستقرت قدمه في البلاد فأخذ في تنظيم شؤونها وترتيب
خراجها وتقرير أسباب الراحة والامان بين أهلها وما زال والياً عليها حتى عزله

عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد رأينا ان نرجح تفصيل الكلام على فتح مصر
وجغرافيتها وحالتها الاجتماعية على عهد ذلك الفاتح العظيم عمر وبن المصعب الى
سيرته التي نوفيها حقهما من البيان ان شاء الله

لما استتب لعمر والامر بمصر سار الى برقة وتسمى قديماً انطا بلس وهي
واقعة بين مصر وطر بلس الغرب ومن فرضها الشهيرة بنغازي فصالحه اهلها على
الجزية وسار الى طر بلس الغرب ففتحها عنوة وكتب الى امير المؤمنين عمر بن
الخطاب : اما بعد انا قد بلغنا اطر بلس وبينها وبين افريقيا ^(١) تسعة ايام فان رأى
أمير المؤمنين ان يأذن لنا في غزوها فعل : فهاه عمر فولى على برقة عقبة بن نافع
الفهري وعاد ورمبما ذكرنا ذلك في سيرته بيدان أطول ان شاء الله :
انتهى ما أردنا ايراده من أخبار الفتح في خلافة عمر (رض)

﴿ باب ﴾

تعمية الجيوش وبراعة القواد

وديون الجيش

وعدنا فيما سبق أن نورد فصلاً خاصاً في هذا الكتاب نبين فيه كيفية تعمية
الجيوش على عهد عمر بن الخطاب وبراعة قواده وتفننهم في أساليب الحرب ووفاء
بالوعداء فإذن هذا الفصل لهذه الغاية وليسان أصول التجند وديوان الجيش على
عهد فنقول

(١) يريد بـافريقيا تونس وهكذا كان يسميها الرومان ثم سماها العرب بهذا الاسم
أيضاً والظاهر أن الجغرافيين سمو القارة كلها بهذا الاسم بعد من قبيل تسمية الكل
باسم الجزء

اعلم أن العرب أمة حربية قتل أن يماثلها في ذلك العصر شعب من الشعوب في
 الشجاعة والاقدام والتعود على أساليب القتال لدأب أفرادها منذ نومة الاظفار
 على الفروسية وتعلم فنون الحرب وأتلافهم للقتال وجهم للغارة التي تقتضيها
 حالتهم الاجتماعية وعوائدهم البدوية إلا أنه كانت تنقصهم الجامعة والعداوة
 آلات الحرب فكانوا مع كونهم أمة واحدة من جنس واحد قبائل متفرقة
 الاهواء والمنازع يقاتل بعضهم بعضاً ويثب بعضها على بعض ولم يكن عندهم من
 آلات الحرب والقتال وأنواع السلاح الا الرمح والسيف والدرع والسهم ولم يكن
 لعامتهم حظ بالجلد من أنواع هذا السلاح اذ هم وربما كان أجودهم سلاحاً أهل
 اليمن لخصب أرضهم وتقدم بلادهم في الحضارة وعراقتهم في الملك من عصور
 التبابعة ولذلك كان الفرس في واقعة القادسية يشبهون سهام العرب بالمغازل لدقتها
 وسداجة صنعها ولما جاء الاسلام جمع هذه الأمة على كلمته وضم قبائلها الى رايته فلم
 يلبثوا ان دبت فيهم روح الاجتماع وشعروا بالحاجة الى الطاعة والانقياد
 والتكاتف والاتحاد وكان من ذلك ان خضدوا شوكة الدولتين فارس والروم لما
 دفعهم أبو بكر وعمر الى قتال الأثم وفتح الممالك وأظهر وافي قتال جنود الدولتين
 من التفنن في أساليب الحرب والتعود على الطعن والضرب ماراًيت فيما تقدم من
 هذا الكتاب مما جعل النصر حليفهم والقوة رائدهم في كل مكان

فمن ذلك أنهم كانوا لا يقتحمون جنداً ولا يمعنون في داخل البلاد ما لم يجعلوا وراءهم
 رداً أي مدداً يحمي ظهورهم ويؤمن طريق الرجعة ولا يمكن العدو من أن يقطع
 على موادهم كما رأيت ذلك في وقعة اليرموك حيث كان ردهم يزيد بن أبي سفيان
 وعند مسير الجيش الى اصطخر لا تقاذعلاء حيث قامت المسالح من البصرة
 الى الاهواز يمد بعضها بعضها ويواصل بالمدد ذاك الجيش كي لا يقطع عليه الفرس

طريق الرجوع ويهلك مع جيش العلاء

ومنها انهم كانوا لا يحاصرون مدينة ما لم يقطعوا عنها طرق المواصلات مع جيش العدو كما رأيت في فتوح دمشق حيث أرسل أبو عبيدة عشرة قواد ومعهم الجيوش فنزلوا بين فحل ودمشق وأرسل ذا الكلاع بجيش فكان بين حمص ودمشق وبعت علقمة بن حكيم ومسروقاً فكانا بين فلسطين ودمشق ثم زحف هو وخالده ويزيد بن أبي سفيان على دمشق وحاصرها حتى فتحها ثم سار منها الى فحل

ومنها انهم كانوا يبدأون العدو بالقتال في أطراف بلاده التي تلي البادية كي اذا أصابهم هزيمة تكون جزيرة العرب من ورائهم فلا يسع جيش العدو تتبع أثرهم واقترانهم صحارى بلادهم كما رأيت ذلك في عملهم باليرموك والقادسية وكانوا يجتهدون أن يجعلوا هذه الوقائع الأولى كبيرة عظيمة لتكون مقدمة للنصر وبعثاً على توهين شوكة العدو وإلقاء الرعب في قلوب جيوشه لهذا كانت وقعة القادسية واليرموك من أهم ما دون في تاريخ الحروب الاسلامية وكل ما كان بعدها من النصر انما تأتي عن كسر حدة الجيوش الرومية والفارسية وخضد شوكتهم واضعاف قوتهم في هاتين الواقعتين

ومنها براعتهم في اقامة خطوط الدفاع على طول البلاد اذا أراد مهاجمتها العدو كما صنع المثنى بن حارثة الشيباني في العراق حيث رتب المسالح من أوله الى آخره بحيث ينظر بعضها الى بعض ويمد بعضها بعضاً ومنها ترقب القرص واغتنامها كما صنع خالد في فتح دمشق واستعمال التائي والحيلة في الحرب توصلنا للفتح كما صنع ذلك عمرو بن العاص بدخوله بنفسه على جيش الارطون بحجة انه رسول من قبل المسامين ليوقف من حال جيشه على ما لم يقف عليه بواسطة الرسل

وكما صنع عبادة بن الصامت في فتح الازقية باظهاره القبول عنها وحفره الاسراب
لاختفاء جنده فيها

ومنها اليقظة الدائمة لحركات العدو وسكناته والاستعداد لصد غاراته
كما كان ذلك لما حاول هرقل مهاجمة جيش المسلمين من جهة الجزيرة ووقف
المسلمون على خبره قبل أن يبدأ بشئ من ذلك فأدبرت عليه الجنود من جهتين
من جهة الشام بقيادة خالد بن الوليد ومن جهة العراق بقيادة من ذكر
في محله من القواد حتى أوقفوه عن حركته ولم يتمكنوا من المهاجمة ولا الوصول
الى الجزيرة

ومنها توهينهم قوة العدو باشغال جيوشه بالحرب عن أن يمد بعضها بعضاً
عند الحاجة كما كان ذلك لما هاجم هرقل حمص واستنجد بأهل الجزيرة فاسرعت
القواد من العراق وشغلت أهل الجزيرة عن نصرة هرقل ريثما تمت هزيمته
وغلب عليه جيش أبي عبيدة بن الجراح

ومنها براعتهم في سرعة اجتماع جيوشهم بعضها الى بعض عند وجود الخطر
الكبير ومظنة الخوف من غلبة العدو على جيوشهم اذا كانت متفرقة كما كان ذلك
في اجتماع الامراء على اليرموك بعد ان تفرقوا في أنحاء البلاد وإنما يسر لهم هذا
الاجتماع بمحافظتهم على خط الرجوع وعدم تمكن العدو من قطع طرق
المواصلات بين تلك الجيوش وبين الرّدء الذي هو جيش يزيد بن أبي سفيان

هذا واشباهه من مكائد الحرب التي مر ذكرها في غضون أخبار الفتح كلها
تدل على براعة القواد المسلمين يومئذ وتفوقهم في أساليب الحرب وأصول القيادة
على قواد جيوش الروم والفرس لاسيما الخليفة عمر بن الخطاب الذي كان مع بعده
عن مواقف القتال يصدر أوامره الى القواد في الاعمال الحربية وكيفية الهجوم

والدفاع على وجه يدل على انه من أعظم قواد الجيوش في العالم هذا فضلاً عما كان يوصي به القواد من الرفق وحسن المعاملة مع المغلوبين وعدم التسايط بالايذاء عليهم وبدوام اليقظة والسهر والرفق بجيوش المسلمين وعدم القاءهم في المهالك والترث في الحرب والتبصر في أمور القتال الى غير ذلك مما امر بيانه في هذا الكتاب ولا حاجة لاعادته هنا

وأما تعبئة العرب للجيوش في إبان الفتح الذي مر ذكره في هذا الكتاب فقد بلغ الغاية في الترتيب وحسن النظام والانتظام ونحن نذكر لك هنا ما لم يسبق معنا ذكره في هذا الكتاب من تعبيتهم للجيوش في وقائعهم الشهيرة وهي وقعة اليرموك ووقعة القادسية ومنهما تظهر لك مرتبته في فنون الحرب ومكانهم من البصيرة في تعبئة الجيوش التي تشبهها من كل الوجوه تعبئة الجيوش في هذا العصر كالطلائع والمجردات (الكشاف) والميمنة والميسرة (الجناحين) والقلب والساقة والردء (المدد) والرجل (المشاة) والركبان (الفرسان) وكان الغالب على العرب قبل الاسلام حب المباشرة والمهاجمة عند الالتقاء مع العدو وفصاروا في الاسلام يفضلون الزحف صفوفاً (كراديس) لقوله تعالى « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » وكان الامراء والقواد يتفاوتون في المراتب فمنهم الامير العام (المشير الآن) ويليهِ خليفته (الفريق الآن) ويليهِما امراء التعبئة كاميير الميمنة والميسرة والقلب وغيره (وهم الالوية الآن) ويليهِم خلفاؤهم (الميرالايات الآن) ويليهِم امراء الكراديس (الصفوف) ويليهِم العرفاء وامراء الاعشار (الجاويز) والنقباء ولعلمهم رؤساء المائة وفضلا عن هذا فقد كان يكون مع الجيش الرائد الذي يرئد المواضع الموافقة انزول الجيش والقاضي وأمير الاقباض أي الذي ينتهي اليه حفظ الغنائم وقسمة الفى والترجمان

والكاتب والاطباء لمدواة الجرحى كما ترى ذلك كله مبسوطاً فيما يلي من ذكر تعبئة الجيوش في اليرموك والقادسية

روى الطبري في تاريخه ان خالد بن الوليد عبي جيش المسلمين يوم اليرموك تعبئة لم تعب العرب مثلها فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة وجعل اليمين كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شر حميل بن حسنة وجعل اليسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان وجعل على كل كردوس من هذه الكراديس قائداً فجعل القعقاع بن عمرو وعلى كردوس من كراديس أهل العراق ومذعور بن عدي على كردوس وجعل غير هذين بضعة وثلاثين قائداً كل قائد على كردوس منهم عياض بن غنم القرشي وحيب بن مسلمة القرشي وسهيل بن عمرو القرشي وعكرمة بن جهل القرشي في عدة مثلهم من قریش وأما من كان من غير قریش فمنهم ذو الكلاع الحميري والسمط بن الاسود الكندي وضرار بن الازور الاسدي وجارية بن عبد الله الأشجعي واضرابهم من صناديد العرب الذين نضرب صفحاً عن ذكر أسمائهم حباً بالاختصار وكان القاضي أبو الدرداء والقاص^(١) أبو سفيان بن حرب وكان على الطلائع قباث أشيم الكناني وكان على الاقباض عبد الله بن مسعود وكان القاري المقداد بن عمرو وكان من السنة أن تقرأ سورة الانفال عند القتال وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس ويحرض المسلمين على القتال

هكذا كانت تعبئة الجيش على اليرموك وأما على القادسية فربما كانت أرقى من ذلك وأحسن نظاماً وترتيباً فقد ذكر الطبري ان سعد بن أبي وقاص قد

(١) في القاموس القاص من يأتي بالقصة ولعله هنا الذي يحمل اوامر الامير الى

الصفوف ويأتيه بأخبارهم

الناس وعباهم بشراف كما أمره عمر (رض) فأمر أمراء الاجناد وعرف العرفاء على كل عشرة رجلا كما كانت العرافات ازمان النبي صلى الله عليه وسلم: قال الطبري وكذلك كانت الى ان فرض العطاء: وأمر على الرايات رجلاً من أهل السابقة وعشر الناس وأمر على الاعشار رجلاً من الناس ولهم وسأل في الاسلام وولي الحرب رجلاً فولى على مقدماتها ومجنباتها وساقتها ومجراتها وطلاتها ورجلها وركبانها فلم يفصل (أي من شراف) الا بتعمية فاما أمراء التعمية فاستعمل زهرة ابن عبد الله بن قنادة بن الحوية من ملوك هجر فقدمه ففصل بالمقدمات من شراف حتى انتهى الى العذيب: واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعتم: واستعمل على الميسرة شريح بن السمط الكندي وكان غلاماً شاباً وكان قاتل أهل الردة فعرف ذلك له (مر خبره في ذلك في سيرة أبي بكر) وجعل خليفته خالد بن عرفطة وجعل عاصم بن عامر التميمي ثم العمري على الساقية وسواد بن مالك التميمي على الطلائع وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة وعلى الرجل حمال بن مالك الاسدي وعلى الركبان عبد الله بن ذي السهمين الخثعمي فكان أمراء التعمية يلون الامير (أي بعده في المرتبة) والذين يلون أمراء التعمية أمراء الاعشار والذين يلون أمراء الاعشار أصحاب الرايات والذين يلون أصحاب الرايات والقواد رؤس القبائل: قال الطبري وبعث عمر الاطبة^(١) وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن ابن ربيعة الباهلي ذا النور وجعل اليه الاقباض وقسمه الفتي وجعل داعيتهم^(٢) ورائدهم سلمان الفارسي والترجمان هلال الهجري والكتاب زياد بن أبي سفيان

(١) جمع طبيب وهو جمع قلة وذلك لان الاطباء يومئذ قليلون فكان يرسل مع الحيش ولو عدداً قليلاً لمداوة جرحى الحرب (٢) داعيتهم اي الذي يدعو الى دينهم ويبليغ العدو مطالبهم ورائدهم الذي يرتاد لهم مواضع النزول

وأنت ترى من هذا أن تعمية الجيش على عهد عمر بن الخطاب كانت وافية
بالغرض من كل الوجوه وما نخال أن تعمية جيوش الدول المتقدمة يومئذ كالفرس
والروم كانت أرقى من تعمية جيوش المسلمين وإنما كان الفرق بين الجيشين بالعدد
الحربية كما قدمنا ومع ذلك فإن العرب لما خالطوا تلك الجيوش ورأوا ما عندها من
أدوات الحرب وعدتها كالأوهاق^(١) والمجانيق والسلاالم وغيرها من أدوات
الحصار وما شابهها بادروا إلى استعمالها في حروبهم معهم كما رأيت ذلك في
الكلام على حصار دمشق وبالطبع كما أنهم استعملوا أمثال هذه الآلات فقد
استعملوا أيضاً أنواع السلاح الجيد الذي كانوا يفتنونه من هذه الجيوش ومن
ثم تكافأ المسلمون بالقوى الحربية يومئذ مع أعدائهم وإنما كانت تفضلهم جيوش
الفرس والروم بكثرة العدد ويفضلهم العرب بالشجاعة العربية التي فاقت حد
الوصف وألقت الرعب يومئذ في قلوب الأمم كما رأيت ذلك في أخبار الفتح
يضاف إليه علم أمير المؤمنين عمر (رض) وتقظته وسهره الدائم على أمور المسلمين
وتعزيزه جانب الملك بسد الثغور وإعداد المرباطة وإقامة المسالخ في الاطراف
التي يأتي من قبلها الخطر وأمره للعمال بادرار أرزاق الجنود ومواصلته بالأخبار
وشحن الاماكن المخوفة بالجنود وإقامة الحراس على المناظير التي توقد فيها النيران
لتخبر عن الجهة التي يقبل منها العدو. وبالجملة صرفه العناية في كل ما يعود بالقوة
والعز على المسلمين ويرفع شأن الخلافة كما رأيت وت ترى ذلك في هذا الكتاب.
ويضاف إليه براءة القواد المسلمين وتفوقهم في أساليب الحرب واعتقاد المسلمين
بالنعيم الآخروي الذي كان يجب اليهم الموت في ميادين الحرب ونيل الشهادة
بين صفوف الأعداء: وصبرهم على المكاره وتحملهم لشظف العيش

(٣) الجبل يرمي في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان كما في القاموس

ورضاهم بالكفاف من القوت واستخفافهم بجنود الاعداء قتلوا أو كثروا
واعتقادهم بالحصول على النصر الذي وعدهم الله به اذا نصروا الحق وعدلوا
بين الناس

كل هذه من الاسباب التي رجحت جانب المسلمين علي جانب الاعداء
ومهدت طرق الغلبة لجيوش العرب والذي وفر هذه الاسباب انما هو اجتماع
العرب بعد التفرق واتحادهم علي كلمة الاسلام بعد التخاذل والانقسام كما عرفت
ذلك مما قاله عمر لله من ان وهو : انما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا :
وحسبك في مهاجمة الأمة العربية لدولتي الفرس والروم واقدامهم على التغافل في
أحشاء المملكتين القديمتين في آن واحد ومهابتهم التي خامرت النفوس دليلا
يؤيد قول عمر بن الخطاب (رض) وشاهدا يشهد بفضل الاسلام الذي جمع على
كلمته تلك القبائل المتفرقة التي ما كانت لتعلم بالسيادة على الشعوب لولا ذلك
الاجتماع : هذا وأما أصول التجنيد في عهد عمر (رض) وأعطيات الجند وديوان
الجيش فالكلام عليه طويل وانما يجزئ عنه بما يأتي

الجهاد فرض على المسلمين يحتم عليهم حماية الدعوة والذب عن حوزة
الاسلام الا انه من فروض الكفاية التي اذا قام بها البعض سقط عن الكل وعلى
هذه القاعدة بنى التجنيد في الاسلام فكان أبو بكر وعمر يستنفران الناس للجهاد
فن أجاب كان جنديا له حظ في الفئ والغنائم واستمر ذلك في ولده الى ما شاء الله
ولا يؤخذ من هذا ان الجندي على هذا الوجه اختيارية بل هي باعتبار كونها فرضا
اجبارية وللخليفة اذا تخلف المسلمون عن هذا الفرض اجبارهم عليه عند الحاجة
وكان أبو بكر رضي الله عنه يسوي بين الناس في قسمة الفئ ويضرب في المغنم
للفارس منهم ثلاثة أسهم سهمان لفارسه وسهم له وللراجل سهم ولا يفضل الخيل

بعضها على بعض وبقي الحال على ذلك صدراً من خلافة عمر (رض) أى الى سنة (١٥) حيث دون عمر الدواوين وفرض العطاء كما سترى في باب آثاره في الخلافة ولم يسوّ في قسمة الفئتين الجند بل جعلهم على مراتب وطبقات باعتبار السابقة فمدرّوى ابن جرير الطبري ان عمر لما فرض العطاء فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى ان أفلح أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومن ولى الايام قبل القادسية (أى الحروب التي كانت قبلها) كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل الشام الفين الفين وفرض لاهل البلاء (أى الذين عرف بلاؤهم في الحرب) البارع منهم الفين وخمسة الفين وخمسة الفين وفرض لمن بعد اليرموك والقادسية ألفاً ألفاً وكانت هذه الطبقات هى الاصل في ترتيب العطاء ومن جاء بعدهم من الطبقات ممن لم يشهد تلك المشاهد الكبيرة كان يلحق كل قوم منهم بأهل طبقة من تلك الطبقات يسمى الروادف والرديف لغة التبع وقد فرض لهؤلاء الروادف على درجاتهم للمثني منهم خمسة الفين ثم للروادف الثلث بعدهم ثلثمائة ثلثمائة وسوى كل طبقة في العطاء قوتهم وضعيفهم عربهم وعجمهم وفرض للروادف الربيع مائتين وخمسين مائتين وخمسين وفرض للنساء مثل ذلك أيضاً فجعل للنساء الجند من الخمسة الفين الى المائتين وجعل للصبيان مائة وعلى هذا الترتيب ضبطت اعطيات الجند في ديوان الجيش وكان من أراد الالتحاق بالجيش بعد تدوين عمر (رض) للديوان يقيده في ديوانه على هذا الترتيب ثم كان على عهد عثمان رضى الله عنه ومن بعده يزداد وينقص العطاء على مقتضى الظروف والاحوال كما سترى بعده. وأما المغانم فقد ضرب أحد عماله بالشام للفارس بسهمين وللراجل بسهم فأجازهم

ويظهر مما تقدم ان عمر (رض) كان يسوى بين الجنود الاعاجم من الفرس والروم الذين تأخر اسلامهم وبين العرب كل منهم في طبقته باعتبار السابقة ايضاً بل ربما يميز بعضهم احياناً في العطاء ناليفاً لقلوبهم كما صنع ذلك مع سبياه الفارسي وقومه لما أسلم وأسلموا معه كما رأيت ذلك في خبر فتح تستر والسوس وكانت اصول اعطاء العطاء لاهله على ما في رواية ابن جرير الطبري هكذا يدفع العطاء الي أمراء الاسباع وأصحاب الرايات والرايات على أيادي العرب فيدفعونه الي العرفاء والنقباء والامناء فيدفعونه الي أهله في دورهم : ولنا كلام آخر على تدوين الديوان والنهي وحكمه سيأتي في باب آثاره في الخلافة ان شاء الله



باب

(علاق عمر مع الملوك)

كانت علاق عمر قبيل وفاته مع ملك الفرس حربية كما رأيت وتوفي رضي الله عنه وجيوشه تطارد يزدجرد في بلاده وتدوخ ملكه وأما علاقته مع ملك الروم فقد كانت سلمية واستقر بين دولتيهما الصالح منذ أتم عمر (رض) فتح الشام والجزيرة وجرت بينه وبين ملك الروم المكاتبات الودادية وذكر مؤرخو العرب ان هذه المكاتبات كانت مع هرقل ولكن لم يذكروا هل كانت مع هرقل الأول الذي انتزع منه عمر بلاد الشام أم مع ابنه هرقل الثاني المعروف بهرقل قسطنطين لان هرقل الاول توفي سنة (٦٤١م) الموافقة سنة (٢١هـ) وتولى الملك ابنه المذكور في هذه السنة أي قبل وفاة عمر (رض) بسنتين وسواء كان حصل التواد والمكاتبة مع هرقل الاول أو الثاني فقد بلغ من وثوق عمرى العلائق الحبية يومئذ بين الفريقين ان كانت تتردد بينهما الرسل بالمكاتبة

وان أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزوج عمر بن الخطاب أرسلت مرة مع رسول جاء المدينة من قبل ملك الروم هدية من الطاف المدينة الى أمبراطورة الروم امرأة هرقل وأرسلت لها هدية في نظيرها عقداً نفيساً من الجواهر فأخذها منها عمر وردته الى بيت المال هذا على ما في رواية نقلها في كنز العمال وأما الطبري فذكر ان أم كلثوم أرسلت تلك الهدية مع بريدهم ونص رواية الطبري بتصرف واختصار

قالوا وترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه وسأله عن كلمة يجتمع فيها العلم كله. فكتب اليه أحب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لها تجتمع لك الحكمة كلها واعتبر الناس بما يايك تجتمع لك المعرفة كلها. الى أن قال بعد ان أورد مكاتبات أخرى جرت بينهما. وبعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب الى ملكة الروم بطيب ومشارب واحفاش من احفاش النساء ودسته الى البريد فأبلغه لها وأخذ منه وجاءت امرأة هرقل وجمعت نساءها وقالت هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم. وكاتبها وكافتها وأهدت لها وفيما أهدت لها عقد فاخر فلما انتهى به البريد الى عمر أمره بآساكه ودعا الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلي بهم ركعتين وقال انه لا خير في أمر أبرم من غير شوري ثم أخبرهم الخبر وسألهم عن أمر المقدف كلهم أشار بدفعه لأم كلثوم. فقال ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم فأمر برده الى بيت المال ورد على أم كلثوم منه بقدر نفقتها

وقد ذكر الطبري هذه الرواية في أخبار سنة (٢٨) في غضون الكلام على غزو المسلمين في البحر وان عمر ترك غزو البحر فترك ملك الروم غزوه وكاتبه وسأله وهو دليل على رهبة ذلك الخليفة العظيم التي دب في قلوب الملوك فرأى هرقل ان مسالته خير من مناوآته ففعل وكان من الغانمين

— باب —

(أهم الاحداث في عصره)

أهم الاحداث في خلافة عمر رضى الله عنه طاعون عمواس وعام الرمادة فأما طاعون عمواس فاختلف في سنة حدوثه هل كانت سنة ١٧ أو سنة ١٨ وروى الطبري انه ظهر في العراق ومصر واسنقر بالشام وقتك بالناس فتكا ذريعا ومات به في الشام عدة من اعلام المسلمين منهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان ولما اشتدت على الناس وطأنه خطب الناس عمر وبن العاص فقال : أيها الناس ان هذا الوجع اذا وقع فائما يشتمل اشتعال النار فتجبلوا منه في الجبال ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا في الجبال ورفع الله عنهم وروى الطبري عن ابن عباس ان عمر خرج في تلك السنة غازيا وخرج معه المهاجرون والانصار فلما بلغ سرغ وافاه امرء الاجناد في الشام وأخبروه وخبر الطاعون وأشار واعليه بالرجوع فجمع الناس واستشارهم في الرجوع فمهم من أشار عليه به ومنهم من أشار عليه بالقدوم وكان ممن أشار عليه بالرجوع مهاجرة الفتح فأصبح وقد عزم على الرجوع فقال له أبو عبيدة بن الجراح أفراراً من قدر الله : قال نعم فراراً من قدر الله الى قدر الله أرايت لو أن رجلا هبط واديا له عدوتان (ضفتان) احدهما خصبة والاخرى جديبة اليس يرعى من رعى الجديبة بقدر الله ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله : ثم قال لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ثم خلا به بناحية دون الناس فبينما الناس على ذلك اذا أتى عبد الرحمن بن عوف وكان متخلفاً عن الناس لم يشهدهم بالامس فقال ما شأن الناس فأخبر الخبر فقال عندي من هذا علم : فقال عمر فانت عندنا الامين المصدق فماذا عندك : قال

سمعت رسول الله يقول (اذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقده و اعليه و اذا وقع وانتم به فلا تخرجوا فراراً منه) فقال عمر فله الحمد انصرفوا اليها الناس فانصرف بهم^(١) ولما زال الطاعون وبلغ عمر ما اصاب الناس من كثرة الموت حتى كادت تضيع الموارد قدم الشام ونزل الجابية وقسم الموارد وسد الثغور واستعمل بدل من ماتوا من العمال كما ستري ذلك في الباب التالي وكانت هذه المرة هي المرة الرابعة التي قدم بها الشام ولم يأتها بعد ذلك

واعلم ان طاعون عمواس كان عظيم الخطر على المسلمين وافنى منهم أكثر من عشرين الفا وهو عدد يوازي نصفهم بالشام وربما تخوف من ذلك المسلمون يومئذ واستشعروا الخطر من قبل الروم وفي الحقيقة لوتنبه الروم لهذا النقص الذي اصاب جيش المسلمين في سورية يومئذ وهاجموا البلاد لصعب على الجيوش المرابطة دفعهم ولكن ربما كان اليأس تمكن من نفس هرقل فاقمده عن مهاجمة المسلمين خصوصاً اذا كان أهل البلاد راضين بسلطة المسلمين مرتاحي القلوب الى سلطانهم العادل وسيرتهم الطيبة الحسنة وبدون الاستعانة بهم لا يتيسر لهرقل مهاجمة البلاد لا سيما اذا أضفنا الي هذا ملل القوم من الحرب واخلاهم الى الراحة من عناء المقاومة لقوم أصبح النصر حليفهم في كل مكان ودب الرعب من سطوتهم في قلب كل انسان

وأما عام الرمادة فسمى بذلك لريح كانت تسفي تراباً كالرمد وأصاب الناس بالحجاز شديدة وكان قحط عظيم أهلك الضرع والزرع وعانى عمر (رض) بسبب ذلك النصب وآلى ان لا يأكل سمناً ولا عسلاً حتى يحيي الناس ويكون واياهم

(١) اتخذ المتأخرون هذا الحديث ورجوع عمر الى الحجاز حجة على مشروعية

سواء بالخصب والجذب وجعل يأكل الزيت حتى قرقر بطنه فقدمت السوق يوماً
 عكة سمن ووطب^(١) من ابن فاشترهما غلام لعمر باربعين درهما ثم أتى عمر فقال
 يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك قدم السوق ووطب من ابن وعكة
 من سمن ابتمعهما بأربعين درهما فقال عمر تصدق بهما فاني أكره ان آكل اسرافاً
 وقال كيف يعني شأن الرعية اذا لم يصبني ما أصابهم وكتب عمر الى أمراء
 الامصار يستغيثهم فبعث عمر وبن العاص الطعام الى المدينة وبعث أمير الشام
 باربعائة راحلة عليها الطعام وقالوا انه أبو عبيدة بن الجراح وهو خطأ لأن عام
 الرمادة كان بعد طاعون عمواس الذي توفي به أبو عبيدة بن الجراح ويدل ذلك على
 هذا ارسال عمر وبن العاص الطعام من مصر وانما كان فتح مصر بعد الطاعون
 اذ كان عمر وبن العاص عام الطاعون بالشام ولما قدم عمر بن الخطاب لقسمة
 الموارث استأذنه بقصد مصر وأذن له وسار وكان ذلك سنة ١٧ أو سنة ١٨
 والذي دعا عمر وبن العاص لاختفاء التربة الموصلة بين النيل وبحر القلزم انما هو
 عام الرمادة وقال بعضهم ومنهم ابن الاثير ان عمراً أصلح بحر القلزم وأرسل فيه
 الطعام وهو غير مفهوم وانما أرسل الطعام في البر ثم استأذن عمر بحفر التربة
 ووصل بين النيل وبين بحر القلزم احتياطاً من مثل ذلك الحادث وتقريراً للمسافة
 بين المدينة وبين مصر وسنستقصي الخبر عن ذلك في سيرة عمر وبن العاص
 إن شاء الله تعالى

ولما اشتد الضيق على المسلمين استسقى عمر بالناس ودعا ودعا معه العباس
 رضى الله عنهما ففرجها الله على الناس وأرسل عليهم من سماء رحمة السحاب
 الثقال فسقت الارض وأنعشت النفوس وانفرجت الأزمة ولحديث

(١) العكة القرية الصغيرة والوطب سقاء اللبن أى وعاؤه

الاستسقاء كلام طويل بين العلماء لانهب الخوض فيه فليرجع اليه من شاء
في كتب المحدثين

باب

﴿ آثاره في الخطبة ﴾

(كتابة التاريخ الهجري)

لم يكن للعرب قبل الاسلام تاريخ يؤرخون به الا الحوادث الشهيرة عندهم
فانها كانت بمثابة التاريخ فكانوا يقولون حدث ذلك في عام الفيل مثلاً وولد فلان
بعد عام الفجار بكذا وهلم جرا واستمر ذلك في الاسلام الى مضي سنتين ونصف
من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي الى سنة ست عشرة من الهجرة وفيها
رأى عمر لزوم وضع التاريخ لضبط الحوادث بعد اذ انتشر الاسلام وكثر الفتح
ومست الحاجة لضبط الشؤون والاعمال في الحكومة الاسلامية فجمع
الصحابة الكرام واستشارهم في ذلك وسألهم من أي يوم نكتب التاريخ فأشار
عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بان يجعل التاريخ من السنة التي هاجر بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ففعل

﴿ تدوين الدواوين وفرض العطاء ﴾

من البديهي ان حاجات الدولة تترقى بترقي العمران وامتداد السلطان وقد كانت
دولة الاسلام في خلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر في مبادئ الظهور
وسداجة البيئة وعدم اتساع السلطان ولم يكن لها من الدخل والخرج الا الصدقة
التي كانت تؤخذ من الاغنياء وترد على الفقراء^(١) وأما المغانم والفي فكانت قليلة لم

(١) علمت من هذا الفصل وغيره حكم النبي في الاسلام ووجوه صرفه التي أبانها

بحوج انخاسها التي يبعث بها المدينة الى صرف العناية في ترتيب الشؤون الادارية على اصول الدول المترفية يومئذ كفارس والروم وانما كانت العناية منصرفة الى الشؤون الحربية والفنون العسكرية ولما توسع المسلمون في الفتح وانتشروا

الكتاب الكريم وزيادة في الفائدة تشرح لك هنا حكم الصدقة ووجوه الصرف التي قررها للصدقة الاسلام ومنها تعلم ان الأمة الاسلامية انما سعدت واعتزت وقويت في صدر الاسلام بالعمل بهذا واشباهه من قواعد الاسلام التي ترمي كلها لغرض واحد وهو سعادة المسلمين : الصدقة تؤخذ على السائمة من غنم وابل وبقر بنسبة معلومة في كتب الشريعة لا محل لبسطها هنا وهي ليست كالنفي من حق سائر المسلمين بل هي والعشور التي تؤخذ من المسلمين لمن سمي الله عز وجل في كتابه الكريم بقوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) قال ابو يوسف اما المؤلفة قلوبهم فقد ذهبوا واما العاملون عليها (يعني ولاية الصدقة) يعطيهم الامام ما يكفيهم من غير سرف ولا تقتير وبقية الصدقة للفقراء والمساكين سهم وللغارمين وهم الذين لا يقدرون على قضاء ديونهم سهم وفي ابناء السبيل المنقطع بهم سهم يحملون به ويعانون وفي الرقاب سهم في الرجل يكون له الرجل المملوك أو أب مملوك أو أخ أو أخت أو أم أو ابنة أو زوجة أو جدة أو عم أو عممة أو خال أو خالة وما أشبه هؤلاء فيعان في شراء هذا ويعان منه المكاتبون وسهم في اصلاح طرق المسلمين: في كلام طويل يرجع اليه من شاء في كتاب الخراج وانما نقول هنا ان الأمة الاسلامية لو عملت بالكتاب الكريم ولم يجد أولياء أمورها عن هذا النهج القويم لما عرف فرد من أفرادها شقاء الحياة التي تعانيها الطبقة النازلة الآن وأي شريعة في العالم تقضي على الامة بوفاء دين العاجزين عن وفاء ديونهم من أفرادها واعالة فقرائها ومواسمهم بقسيم من مالها وأي شريعة في العالم تأخذ من الاغنياء قسماً من مالهم لتشتري به الارقاء وتجعلهم أحراراً سعداء اللهم ليس غير هذه الشريعة شريعة تجعل الناس في سعادة الحياة كلهم سواء وتريد المسلمين على التكافل والتضافر والاخاء ولكن أضعها أهلها فحسروا وكانوا من النادمين فانا لله وانا اليه راجعون

في المالك وكثرت موارد الدولة وتبسطت في مناجي العمران وأخذ يزداد الفئ
من الخراج والجزية زيادة لا طاقة للخليفة وأمرائه بضبطها ولا قبل لهم
باحصاء مستحقيها وتوزيع الاعطيات (المرتبات) على أربابها بالعدل إلا بضبطها
وترتيبها على أصول ثابتة وقيدتها في قيود خاصة دعا عمر رضي الله عنه الصحابة
واستشارهم في كيفية تدوين الديوان . فقال علي بن أبي طالب تقسم كل سنة
ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئاً وقال عثمان: أرى مالا كثيراً يسع
الناس . وان لم يخصصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الامر
(ينبسط أو يلتبس) : فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة قد جئت الشام فرأيت
ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنداً^(١) فدوّن ديواناً وجند جنداً : فأخذ
بقوله فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نهباء
قريش فأمرهم بتدوين الديوان ففعلوا والديوان هو دفتر أو مجتمع الصحف
والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية كما في القاموس وتوسعوا بسماءه
بعد فاطمة على كل دفتر الحكومة الادارية وغيرها ثم على المكان الذي يكون
فيه الديوان فسموه ديواناً

ولما كتبت الدواوين كتب ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية
واستمر كذلك الى عهد عبد الملك بن مروان في الشام والحجاج بن يوسف
عامله على العراق فنقل عبد الملك في الشام الديوان الى العربية ونقله الحجاج في
العراق الى العربية وسببه كما نقل ذلك في فتوح البلدان ان عبد الملك بن مروان بلغه

(١) قال في القاموس الجند بالضم العسكر والاعوان والمدينة وصنف من الخلق
على حدة اه والعرب كانوا يسمون كل ناحية لها جند يقبضون أرزاقهم به جنداً فيقولون
جند قنسرين وجند الاردن وغيرها وهي من ترتيب عمر بن الخطاب (رض) كما سترى

عن أحد كتّاب الروم أمر أساءه فأمر سليمان بن سعد بنقل الديوان الى العربية فساله ان يعينه بخراج الأردن سنة ففعل ذلك وولاه الأردن فلم تنقض السنة حتى فرغ من نقله وأتى به عبد الملك بن مروان فدعا لبرجون كاتبه فعرض عليه ذلك فغمه وخرج من عنده كثيراً فلقبه قوم من كتّاب الروم فقالوا المعبشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم

وكذلك فعل الحجاج في العراق والذي نقله له الى العربية هو صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم وكان يكتب بين يدي زاذان فرّوخ الفارسي كاتب الحجاج ولما قصد نقل الديوان الى العربية بذل له مردان شاه بن زاذان مائة الف درهم على أن يظهر العجز عن نقل الديوان ويمسك عن ذلك فأبى ونقله والقصة طويلة سترد في سيرة الحجاج ان شاء الله

وأنت تعلم ان قوام الدولة هو المال وروحها التي تحتاج في جسمها فتدير حر كته هو الديوان ومع هذا فلما لم يكن العرب يومئذ في الدرجة التي تؤهلهم لادارة شؤون الديوان على أصول الدول المتقدمة في الحضارة عهد الخلفاء بهذا العمل الى الاعاجم من الفرس والروم ورضوا بكتابة الديوان بلغة الكتّاب الغربية عن لغتهم مع ما في هذا من النهن الظاهر وتعريض أموال الدولة لتلاعب الكتّاب وانما دعاهم الى تسليم الدواوين الى الاعاجم وترتيبها على نحو ترتيب دولتي الفرس والروم ضرورة التوسع في الفتح والترقي في مراقي الحضارة والخروج عن حالة البداوة الى حالة تستلزم تقليد الأمم الراقية في وسائل العمران اذ لم يروا لهم مندوحة عن هذا الامر كما لم يروا مانعاً في الدين يمنعهم من مبارات الأمم في أصول الحضارة والمدنية وأخذ العلم النافع ولو عن مشركي الفرس ومن البلاء ان الصق بعض الفقهاء بعد كل شيء من أمورنا الديوية بالدين وحرّموا على الأمة العمل بأي شيء نافع مادام

لم يصنع بصبغة إسلامية ولو تمحلاً: ولو كان الدين يضيّق على هذه الأمة إلى الحد الذي توهمه أولئك الفقهاء لما قدّم عمر رضي الله عنه الفرس والروم فيما اقتضته حاجة الدولة في عصره من وضع التاريخ والديوان وترتيب الجيوش وإعداد العدة الحربية نحو ذلك وإذا قيل إن عمر رضي الله عنه مجتهد له أن يفعل بما يرى فيه المصلحة وعلى والأمة أن تعمل فكيف ساغ مثل الحجاج بن يوسف أن يبدل أمراً اجتهد به خلفاء الراشدين وأقرّوه فأصبح شرعاً لا ينبغي لأحد سواهم التصرف فيه والعدول عنه .

ألهم ان طبيعة الاجتماع تقضى بأخذ الأمم بعضها عن بعض كل ما يصلح للترقى في مراقي السكمال وشأن الأمم هذا شأن الأفراد في إحراز العلم بالمسابقة والاكتساب ومعاذ الله أن يرضى الإسلام بالخرج للمسلمين ويمنعهم عن المسابقة مع السابقين ليكونوا أدنى الأمم والشعوب وإنما توهم بعضهم أن من لوازم الدين صبغ كل شيء بصبغة الدين جعلنا تحكّم بقولنا القاصرة في الدين ونعتقد أن الأخذ بأي سبب نافع من أسباب المدنية التي تتوصل بها إلى مسابقة الأمم والغلبة على الدول زئج عن صراط الدين حتى بلغ بنا هذا الاعتقاد الفاسد أن صرنا نجرّم الأمر الذي يدعونا الدين إليه ويحثنا عليه وأقرب شاهد من هذا القبيل نتلوه

عليك هذا الشاهد الملمخص من تاريخ السلطان سليم الثالث العثماني رحمه الله تولى هذا السلطان العاقل منصب السلطنة في أوائل الجيل الماضي وقد اضطرب أمر الدولة وأشرفت على السقوط في هوة الدمار لتغلغل الفساد في جسم الفرق اليكبرية يومئذ وانحلال قوى الدولة بانحلال قوى الجندية العثمانية وانحطاط نظامها في جانب نظام الجند الأوربي الذي ظهر يومئذ بمظهر جديد بني على الأصول العلمية والاختبارات الفنية فحشى السلطان أن هو لم يأخذ بأصول الجندية

الجديدة ولم يبار بترتيب الجيوش المنظمة جيرانه من الدول الاوربية أن تكتسح هذه الدول مملكته العظيمة اذ ظهرت له بوادر الخطر يومئذ باحتلال نابليون لمصر وتحفز الروس للوثوب على القسطنطينية ونزوع أهالي المورة للثورة فعزم عزماً أكيداً على تنظيم الجندية العثمانية وقبول الاصلاحات الاوربية في البحرية والعسكرية وإلغاء الجندية الينيجرية ورأى أن تعريض حياته الشخصية للخطر مع جنود الينيجرية خير من تعريض المملكة لهجوم الدول الاوربية ومصير الدولة العثمانية للزوال وهو شتم وعلو نفس وأقدام قل أن صدر مثله عن أحد من الملوك الا فيما ندر اذ معظمهم يحملون حياة الدولة والمملك فداءً عن حياتهم الشخصية ولا جرم فإن لكثير من أفراد هذه الاسرة العثمانية كثيراً من الايدي البيضاء على الامة وكل امري يذكر بفعله وأجهل المؤرخين من يغمط فضل الرجال لما سنحت الفرصة لذلك الملك المقدم وأراد إبراز هذا العمل من القوة الى الفعل كان أول المقاومين له علماء الدين وفي مقدمتهم عطاء الله أفندي شيخ الاسلام في عصره فخر ضوا عليه العامة وأثاروا عليه الضغائن بحجة أنه يريد التشبه بالفرنجة وما زالوا يكافونه مع الينيجرية ويكافهم حتى تغلبوا عليه وخلصوه ثم قتلوه ووجرت بعد ذلك أمور يطول شرحها على عهد خلفه السلطان مصطفى والذي يليه السلطان محمود كان قصارها إهراق سيول من الدماء أنفذ بعدها السلطان محمود رحمه الله بماضى عزيمته إرادته في الاصلاح وقضى على نظام الينيجرية وأهلها شر قضاء وتالله لولم يفعل ذلك لما بقي لدولة آل عثمان باقية الى الآن اذ هي الآن على ضخامة قوتها وترتيب جندها على النظام الجديد ومجاراته لأحسن جنود الدول في فنون الحرب قد غلبت على أمرها وانتزعت الدول الاوربية كثيراً من ممالكها الاوربية والافريقية فكيف بها لو كانت على حالها القديم من ضعف الجندية وفساد النظام

لا جرم أنها كانت ذهبت لا قدر الله مع الذاهبين وأصبحت مثلاً في الغابرين ولو
سئل ساعته عطاء الله أفندي هل بهذا يأمر الدين ويريدنا شئ المسلمين لا جابك
بالبراءة إلى الله من ذنبه واستغفر إلى ربه

على ان الدولة العثمانية حرسها الله قد قدت هذه القيود والنقل وقبالت من
الاصلاح في أمورها السياسية وأمور الأمة المعاشية ما جعلها تدخل في مصاف
الدول الأوروبية وان كانت الأمة العثمانية لم تزل في دور الانحطاط وأما غيرها من
الدول الاسلامية كدولة مصر اكش مثلاً فانها لم تزل إلى الآن على ما كانت عليه منذ
مئات من السنين فليس لديها نظام للجندية ولا للادارة ولا للقضاء وليس عندها
مدارس تعلم الناشئين الننون الحديثة والاصول الحربية وتكسب الأمة ملكات
العلم بحاجات العصر وترشد الدولة إلى أسباب المنعة والقوة والمنايع من هذا كله
هو زعم تحريم الدين لمثل هذه المنافع الدنيوية ومعاذ الله أن يكون الدين رائد
هلاك الأمة والمنايع من ترقى المسلمين ولو كشفت الأمة المرا كشية عن بصائرهما
حجاب الغفلة وقامت دولتها بواجب الخدمة الصحيحة فنبذت عنها أو هام
الواهمين وتخرصات الجاهلين فأخذت بحظ من اصول المدنية النافعة لكانت
أحسن دول الاسلام حالاً وأعظم من قوة لخلو بلادها من أهل الملل من غير
المسلمين الذين تجعلهم الدول الأوروبية في الممالك الأخرى ذريعة لمديها إلى
الشؤون الداخلية والتعرض بالأذى للدول الاسلامية وتالله أن أمة يبلغ عددها
الثمانية ملايين كلهم من جنس واحد ودين واحد ولورزقها الله سائساً عظيم النفس
عالي الهمة محباً للاصلاح يرتب شؤون دولته على نمط جديد ويصرف همته
في إعزاز شأن الملك لكانت أمة عزيزة الجانب منيعة الجانب ولو كان لها جيش
منظم يزيد عدده عن النصف مليون يحمي ديارها ويرد الغارة عن ديارها ولو يكن

أين من يسمع ويعقل ومن ينصف ويعمل

هذا وأما فرض العطاء فان عمر أمر بان يحصى الناس بالديوان ويبدأ من ذلك بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ومن يليه من ذوي القربى ثم باهل السابقة والذين حضروا الفتوح على درجاتهم التي اختارها لهم عمر ثم بالفقراء والمساكين والنساء والاطفال كما هو مبين في مظانه من كتب الاحاديث والتاريخ وقد أشرنا اليه في باب ديوان الجيش: وقال قائل لعمر يومئذ يا أمير المؤمنين لو تركت في بيوت الاموال عدّة لكون إن كان: فقال كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانى الله شرها وهي فتنة لمن بعدى بل أعدّ لهم ما أمرنا الله ورسوله . طاعة لله ورسوله فبما عدتنا التي بها أفضينا الى ماترون فاذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم :

على ان العطاء على ذلك الوجه لم يستمر الا مدة الخلفاء الراشدين ثم لما تغير حال الدول وانتشر الاسلام وكثر المسلمون خص الخلفاء العطاء من غير الخمس بطبقة الجند فقط على نسبة اختاروها لعل نسبة النفي كلة أى خصصوا لهذا قدراً مخصوصاً من النفي يختلف باختلاف الدول واستأثروا بالباقي وبالخمس لانفاقه في وجود المصالح العامة لان العطاء كان يعطى للمسلمين باعتبار انه في أخذوه بسيف فمهم اذ كانوا كلهم جنوداً محاربين فاتحين ثم لما خصصت الجندية بطبقة مخصوصة من الناس تغير نظام العطاء أيضاً واضطر الدول بحكم الضرورة لاقتصاد الاموال وادخارها في بيت المال لانفاقها على المصالح الأخرى التي تقوم بها الدول وتقتضيها أهبة الملك وهذا يقطع النظر عما خصص منها للانفاق على ترف الدولة وشهوات الملك لان هذا تابع بالطبع لحال الملوك من عفة وشهه وامساك وبذل

وأما الكلام على النبي الذي هو أصل العطاء وعلى حكمه وحكم الخمس وما هو
وحكم الجزاء أو الجزية المستثناة من الخمس إلى غير ذلك مما يتعلق بهذا البحث
فمبسوط في كتب الفقه وكتب التفسير المطولة فليرجع إليه من أحب
وإنما زيادة في الفائدة نقول هنا إن النبي هو كل ما صالح عليه العدو بعد
وضع الحرب أوزارها وحكمه أن يرفع منه الخمس إلى الإمام ليقسمه بين أهله
الذين نص عليهم القرآن والباقي يوزع على الجند الفاتحين للبلاد والمرابطين في
الثغور والقائمين على حراسة الدولة إلا الجزية فإنها مستثناة من حكم الخمس أي
لا يرفع منها الخمس بل تعطى للجند القائمين بحماية أهل الذمة وحراسة البلاد
واعلم أن الإسلام هو أول شريعة نصت على مصرف النبي أي وجوه
الصرف والانفاق من أموال بيت المال ووضع ما يعرف الآن (بالبودجه)
ومعناها تقرير وجوه النفقات السنوية للحكومة فقد روى الطبري في تاريخه
عن ابن عباس قال: لما فتحت القادسية ودمشق قال عمر للناس اجتمعوا
فاحضروني علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسية وأهل الشام فاجتمع رأي عمر
وعلي على أن يأخذوا من قبل القرآن فقالوا (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى)
يعني من الخمس (فله وللرسول) من الله الأمر وعلى الرسول القسم (ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) الآية ثم فسروا ذلك بالآية التي تليها
(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم) الآية فأخذوا الأربعة الأقسام
على ما قسم عليه الخمس فيمن بدى به وثني وثالث وأربعة أخماس لمن أفاء الله
عليه المغنم ثم استشهدوا على ذلك أيضاً: بقوله تعالى: (انما غنمتم من شيء فإن لله
خمسه) فقسم الأقسام على ذلك واجتمع على ذلك عمر وعلي وعمل به المسلمون بعد
هذا ما ذكره الطبري وإنما كان عمل المسلمين بذلك مدة الخلفاء الراشدين

وأما من يليهم الى اواسط الدولة العباسية فقد عملوا بهذا بما وصل اليه الامكان ثم لما توسع أمر الدول وتبسط الخلفاء في مناحي الحضارة أخذ يتغير ذلك الترتيب كما علمت هذا مما تقدم وربما بدأ هذا التغيير في عهد ولاية معاوية على الشام كما سترى في قصته مع أبي ذر فيما يلي من هذا الكتاب

✽ ترتيب العمال ✽

(وتقسيم الولايات)

لما تولى الخلافة عمر بن الخطاب كانت الحرب قائمة في الشام وكان الامراء من علمنا مما تقدم في محله فجعل امارة ما يفتح من الشام الى أبي عبيدة وجعل امارة الحرب في كل جهة لأمير مخصوص فجعل امارة الحرب في دمشق ليزيد بن أبي سفيان و امارة الأردن لشرحبيل بن حسنة و امارة فلسطين لعمر بن العاص وقد مر تفصيل ذلك وبيانه الا ان امارة العامة كانت لابى عبيدة فالخبرة والصلاح وكل ما يتعلق بامور الحرب السياسية كان منوطاً به ولما تم فتح الشام واستقرت فيها قدم المسلمون ابقى ابا عبيدة أميراً عاماً على الشام وجعل مقره حمصاً وأضاف اليه جند قنسرين ثم أضيف الى هذا القسم جزء من الجزيرة لما فتحها عياض بن غنم وولي جند قنسرين بعد وفاة أبي عبيدة ثم جعل دمشق جنداً وعليها يزيد بن أبي سفيان ثم معاوية بعده ثم جعل الأردن كذلك جنداً وفلسطين جنداً وقسمه الى قسمين أحدهما حضرته ايلياء والآخر حضرته الرملة وقد مر الكلام على ذلك فلا حاجة للتفصيل والمراد من الجندهو أنهم كانوا يسمون كل ناحية بها جند يقبضون ارزاقهم منها جنداً فبدلاً من ان يقولوا ولاية قنسرية مثلاً يقولون جند قنسرين ويسمون الولاية أيضاً كورة جمعها كور وروى الطبري في أخبار سنة (١٧ هـ) ان عمر لما جاء الشام في هذه السنة رتب الشواتي والصوائف

(أى الجنود التي تغزو في الصيف والجنود التي تغزو في الشتاء) وسدّ فروج الشام
ومساحلها^(١) وأخذ يدور بها واستعمل عبدالله بن قيس على السواحل من كل
كورة (أى على السواحل جميعها سواء كانت تابعة لكورة دمشق أو غيرها)
وجعل أباعبيدة على حمص وخالدين الوليد تحت يديه على قنسرين وعلى
دمشق يزيد بن أبي سفيان وعلى الأردن معاوية (بعد شرحبيل) وعلى فلسطين
علقمة بن مجز وعلى الاهراء^(٢) عمرو بن عبسة وجعل على كل عمل عاملاً
فقامت مساح مصر والشام والعراق على ذلك الترتيب الذي رتبته عمر (رض)
الى عهد العباسيين

وذكر في فتوح البلدان أن معاوية كتب الى عمر بعد موت أخيه يزيد
يصف له حال السواحل فيكتب اليه في مرمة حصونها وترتيب المقاتلة فيها واقامة
الحرس على مناظرها^(٣) واتخاذ المواقيد لها

(١) تقدم معنى المساح والفروج في خبر فتوح سعد بن أبي وقاص

(٢) الخازن التي تخزن فيها الحبوب وغيرها من أموال الخي

(٣) المناظر وتسمى لهذا العهد المناظر هي قباب مبنية على رؤس الجبال العالية
بين كل بلد وآخر بحيث يتقارب بعضها من بعض ويشرف بعضها على بعض وكان
يقام فيها حراس يوقدون النار عند ما يرون اقبال العدو من جهتهم فيوقد حراس
المنظار الذي يليهم كذلك وهكذا حتى يصل الخبر الى المدينة أو الثغر أو المساحة في
زمن قليل فيسرعون لامداد الجهة التي أقبل منها العدو ولم تزل آثارها قائمة الى
الآن في كثير من أنحاء سورية وقد شاهدت بنفسى المناظر القائمة على الجبال بين
دمشق وحماء الى مافوق ومعظم الموجود من بقاياها الى الآن هو من آثار الدول
التركانية والكردية والجراسية التي شيدها في أيام الحروب الصليبية وغنوا بها اعتناءً
عظيماً جداً

وكذلك كان تقسيم العراق وفارس فكان ذلك الوجه قسمين قسم تابع
 للبصرة وعليه عتبة بن غزوان ثم المغيرة بن شعبة ثم أبو موسى الأشعري وقسم
 تابع للكوفة وعليه سعد بن أبي وقاص ثم عمار بن ياسر ثم غيره وغيره وكانت عمالة
 عامل هذا القسم أي قسم الكوفة كما في رواية ابن جرير الطبري تمتد ما بين الكوفة
 وحلوان والموصل وماسبذان وقرقيسيا إلى البصرة ثم امتدت هذه العمالة حتى
 تجاوزت فارس الغربية وكانت تقسم إلى أقسام عليها أعمال من قتل عامل الكوفة
 وكانت مسالحها وثورها مما يلي الجزيرة وأرمينيا الموصل وقرقيسيا وثورها
 فيما يلي فارس تابعة لتقدم الجيوش في الفتح وتجاوزها حدود البلاد الإسلامية بالطبع
 وكان يتبع كل أمير حرب كاتب وقاض يقضي بين الناس كما رأيت في باب
 تعبئة الجيش وغيره ويتبعه أمير يسمى عامل الاقباض يحصي الغنائم فاذا فتحت
 البلاد وتقررت الجباية كان عامل الخراج وكان عامل الاقباض في حرب فارس
 السائب بن الأقرع وعامل الخراج النعمان بن مقرن ثم غيره وغيره وقد مر بيان
 ذلك في غضون أخبار الفتح فلا حاجة للمزيد

وأنت ترى أن ذلك الترتيب هو غاية في اصابة الغرض وبمد النظر في تنظيم
 شؤون الدولة بالنسبة لذلك العصر وربما حاصر (رض) في بعضه نحو فارس والروم
 ولعله بدئ ساذجاً ثم ترقى بتربيته بتقدمهم في الفتح في خلافة عمر (رض)
 بحيث تم هذا الترتيب في سنة (١٧) كما رأيت

(ضرب النقود)

كانت العرب قبل الإسلام تتعامل بالنقود الفارسية والرومية من الدرهم
 والدينار واستمر ذلك إلى أن جاء الإسلام ومضى صدر من خلافة عمر وكان
 الشائع استعماله بينهم يومئذ الدرهم البغليّة وهي دراهم فارس وكان وزن هذا الدرهم

زنة مثقال من الذهب فلما كانت سنة (١١٨ هـ) ضرب عمر الدراهم على نفس الكسروية
 وشكها بأعيانها غير انه زاد في بعضها الحمد لله وفي بعضها محمد رسول الله وجعلها
 في أواخر خلافته كل عشرة دراهم بزنة سبعة مثاقيل كما ذكر ذلك المقرئ في
 النقود الاسلامية إلا أن عمر (رض) لم يضرب الدينار وإنما ضربت الدينار على
 عهد عبد الملك بن مروان. وأما نسبة الدرهم إلى الدينار فقد كانت تختلف باختلاف
 الزمان كما سنذكر ذلك في سيرة عبد الملك بن مروان إن شاء الله: وأما نسبة الدرهم
 والدينار إلى نقود هذا الوقت لا باعتبار الوزن بل باعتبار قيمة المقومات من كل
 شيء بالدرهم أو الدينار فذلك يحتاج أولاً إلى الوقوف على نسبة حقيقية لا جور العمل
 بالدرهم في صدر الاسلام ليقاس عليها مثلها في هذا العصر وتعلم القيمة الاعتبارية
 يومئذ الدرهم وتقاس على مثلها في هذا العصر وكل ما قيل من هذا القبيل إذا لم يكن
 على ذلك التقدير الصحيح فخدس وتخمين ليس من الحقيقة على شيء إلا أن الدرهم
 من الفضة دنى القيمة الآن إذ ربما ساوى كل أربعين درهماً باعتبار الوزن ديناراً
 والدينار يتراوح ثمنه بين ١٢ فرنكاً و ١٦ فرنكاً وهذه القيمة ربما كانت في
 بعض بلاد أوروبا وبهذا العهد قيمة أجره عاملين أو ثلاثة وفي بعض بلاد المشرق
 قيمة أجره أربعة عمال إلى الثمانية من ذوى المهن لا ما يسمونه العامل البسيط
 فالدرهم والدينار لا يصح أن تكون قيمتهما الاعتبارية في صدر
 الاسلام كقيمتها الآن بل أغلى وربما كان الدينار أجره عشرين عاملاً أو أكثر
 والفرق بينهما لا يعلم إلا من تحقيق عمل العامل في ذلك الوقت وعسانا توفق إلى
 الوقوف على حقيقة ثابتة من هذا القبيل فنبسئها عند الكلام على النقود
 الاسلامية في خلافة عبد الملك بن مروان إن شاء الله

(وضع البريد)

البريد اسم للمسافة التي بين كل محطة وأخرى من محطات البريد وهي أربعة فراسخ أو اثنا عشر ميلاً ثم أطلق على حامل الرسائل وتوسعوا به الآن فأطلقوه على أضيبار (أكياس) البريد وأصله على ما يقال من وضع الفرس والذي رتبته دارا ملك الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد ثم استعمله الرومان وغيرهم من الأمم وربما أتى على شيء من تفصيل خبره في غير هذا المحل

ثم استعمل في الاسلام وأقيم له عامل مخصوص يسمى عامل البريد وهو منفصل عن سلطة الولاية مكاف خلا عن أعمال البريد بنقل أخبار الولاية والبلاد لدار الخلافة وان يكتب المهم من هذه الأخبار للخليفة ليكون على علم من أحوال الرعية والولاية وقد كانت هذه الوظيفة تارة لصاحب البريد وتارة منفصلة عنه يسمى عامها صاحب الأخبار وسنستقصي الكلام على هذا عند وصولنا إلى الكلام على دولة الخلفاء من بني أمية وبني العباس ان شاء الله

وروى المؤرخون ان أول من وضع البريد في الاسلام هو معاوية بن أبي سفيان ولعله هو أول من رتبته على أصول معرفة ووضع له الخيل وأقام له المحطات والأقلام فالبريد استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل معاوية اذ قد جاء ذكره كثير في سيرته ومنه ما مر في فصل علائقه مع الملوك عند ما قال عن الرسول الذي أتى بالعقد هدية من امير اطورة الروم انه يريد المسلمين وفي مناقب عمر للامام ابن الجوزي ان عمر لما أبعد نصر بن حجاج عن المدينة إلى البصرة بسبب تغزل بعض النساء به قلق نصر للرجوع إلى المدينة وكتب عمر إلى عامله بالبصرة كتابا فمكث الرسول عنده أياما ثم نادى مناديه ألا ان بريد المسلمين يريدان يخرج فن كانت له حاجة فليكتب فكتب نصر بن حجاج كتابا ودسه في الكتيب إلى أمير المؤمنين

فمن هذا الخبر وغيره يستدل على أن أول واضع للبريد في الاسلام هو عمر
ابن الخطاب الا انه ربما لم يكن علي الوجه الذي كان بعد ولم يبلغ من الاتقان مبلغه
في عصر الامويين والعباسيين وانما هو بدى ساذجاً ثم ترقى بترقى الزمان

﴿ تمصير البصرة والكوفة ﴾

مصرت البصرة سنة (١٥٥ هـ) عن يد عتبة بن غزوان بامر أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب وكان في مكانها محل يسمى الخريبة تقيم فيه مسالح كسرى لتمنع
العرب من العيث ومصرت الكوفة سنة (١٧٥ هـ) عن يد سعد بن أبي وقاص وكان
البناء أولاً بالقصب فدب الحريق في الكوفة والبصرة فارسل سعد الى عمر نفراً
يستأذنونهم في البنين باللبن (الطوب) فقال افعلو ولا يزيد احدكم على ثلاثة أبيات ولا
تطاولوا في البنين وكتب الى أهل البصرة بمثل ذلك فخططوا المناهج (الشوارع)
على عرض عشرين ذراعاً وطول أربعين ذراعاً والازقة سبعة أذرع والقطائع
ستين ذراعاً وبنوا المسجد الجامع في الوسط بحيث تنفرع الشوارع وكان أمرهم
عمر بتخطيط الشوارع على ذلك الوجه الا انه لما ازدحمت السكان في المدينتين
أخلوا بذلك الاصل ولم يراعوا حالة التنظيم فتقدموا في البناء في الشوارع
والساحات حتى اذحمت المنازل وضائق الشوارع واختلت أصول التنظيم التي
وضعها لهم عمر رضي الله عنه وانما كان الباعث على ذلك بعد التوم عن أسباب
الحضارة وعدم مراعاتهم لاصول التائق في البنين لقرب عهدهم بالبداءة وقد
عقد العلامة ابن خلدون فصلاً بهذا الصدد في مقدمته الشهيرة اغنانا عن الكلام
فليرجع اليه من شاء

(التوسعة في المسجدين)

في سنة (١٧٥ هـ) حج عمر (رض) فبنى المسجد الحرام ووسع فيه وهدم على

قوم أبو ان يبيعوا دورهم ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها واستأذنه أهل المياه التي على الطريق بين مكة والمدينة في ان يبنوا منازل في هذا الطريق فأذن لهم وشرط عليهم ان ابن السبيل أحق بالظل والماء . وكذلك صنع بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هدمه ووسع فيه وأدخل دار العباس فيما زاد فيه (جملة ما أثر)

ومن ما أثره ان اقام دور الضيافات وأدر عليها الارزاق : عن ابن سعد قال اتخذ عمر دار الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج اليه يمين به المنقطع ووضع فيما بين مكة والمدينة في الطريق ما يصلح من ينقطع به وفي بعض الروايات انه فعل مثل ذلك أيضا بالطريق بين الشام والحجاز (ومنها) انه مر يوم مجيئه الشام على قوم من المجذمين فقرض لهم شيئا من بيت المال ومنعهم بذلك عن التكفف بين الناس (ومنها) أمره عمر وبن العاص بمصر بحفر الترع التي وصلت بين النيل وبين البحر الاحمر في عام الرمادة واستمرت كذلك الى عهد الفاطميين ثم ردمت كما استرى تفصيل الخبر عنها في سيرة عمر وبن العاص (ومنها) ما تقدم ذكره من حفر الترع واقامة الجسور في العراق العربي والعراق العجمي (ومنها) ما تقدم ذكره أيضا من وضع الديوان واقامة الكتاب له وفرض العطاء للعساكر والمجاهدين وتقسيم الجيوش وترتيبها كما استراه مفصلا في سيرة سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه وغير ذلك من الآثار الجليلة التي تمكن من ايجادها ذلك الخليفة العظيم مع اشتغاله بالفتوح وانصراف همته لتوسيع نطاق سلطانه الاسلام جزاه الله عن هذه الأمة خير الجزاء وربما تأتي على اجمال آخر من آثاره عند ذكر أوائله في غير هذا الباب ان شاء الله

— ❦ باب ❦ —

(أخلاقه ومناقبه)

— ❦ سياسته وعدله ❦ —

كانت العرب على جانب من خشونة الطباع وجفاء الخلق والاعتزاز بالعشيرة
والأنفة عن الخضوع لحكم السلطان يعلمه من وقف على تاريخ هذه الأمة ولما جاء
الاسلام هذب أخلاق فريق منهم وهم الصحابة لمعاشرتهم للنبي عليه الصلاة
والسلام ووقفهم على حقائق الدين وإشراب قلوبهم حب الايمان والفريق
الآخر الذين لم يتمكن من قلوبهم لاسلام لقرب عهدهم منه بقى في نفوسهم شئ
من آثار الجاهلية لا ينتزعه الا تهادى الزمان لهذا لم يسع أبا بكر الصديق رضى الله
عنه الا أن يعاملهم بالقوة الممزوجة بالرفق كما رأيت ذلك في سيرته وأخباره معهم
أيام الردة ولما استخلف عمر رضى الله عنه وجد أن لامناس له من ان يحذو في
معاملتهم بالشدة عند الحاجة حذو أبي بكر خوف النزوع الى الثورة والخروج
عن حدود الاسلام وقيود الاخوة والرجوع الى الفرقة والشقاق والعصية
المضرة وقد كان رضى الله عنه شديدا بطبعه فساس أولئك الاقوام بمزيد الشدة
والارهاب لما كان يتوقعه من حصول الفتن والدسائس ولو لم يقابل شدته
اغراقه في العدل وكرمه في بذل المال وحكمته في وضع الثواب في محله والعقاب في
محله لما استقام له أمر الخلافة كما انه لو لم يستعمل مع العرب تلك السياسة لما استقام
أمر المسلمين وخيف من حصول فتن كبرى تنكش لها أعصاب الاسلام
كما حصل ذلك بعد وفاته رضى الله عنه الا انه لم يتأت عن تلك الفتن من الضرر

ما يوازي الضرر الذي كان يتأتى عنها فيما لو حصل ذلك في أوائل خلافة عمر (رض) وإنما خف ضرر تلك الفتن بعد لان الاسلام كان ملأاً كنف الارض والعرب كلهم تفرقوا في أنحاء البلاد واشتغلوا بامور الفتح وذاقوا الذمة الملك والسلطان وأسسوا ذلك الملك العريض الذي استحال ان تدك أساسه عواصف الفتن في خلافة عثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم وإنما كان الفضل في هذا العمر بن الخطاب الذي أخذ على الأمة سبيل النزوع الى الجاهلية الأولى ودفعها في غمار الفتح وشغلها بمحاربة الأئمة عن محاربة نفسها وربابها على الخضوع لأولى الامر فيما لا يكون به حيف على النفوس ولا مساس بالدين ولا حجر على الحرية ولا تمييز بين الطبقات وهذا منتهى ما توصف به رجال السياسة من الفضل والدهاء والعلم بسياسة الأئمة وإحكام أمور الدول وحسب عمر انه كان كالشمس المشرقة على الآفاق لا تخفى عليه خافية من أمور الرعية ولا يفوته ظالم فينتصف منه أو مظلوم فينصفه حتى قيل ان علمه بمن نأى من عماله كان كعلمه بمن كان عنده لانه جعل عليهم عيوناً حيثما كانوا يتقلون اليه أخبارهم في معاملة الرعية حتى كانت أخبار الجهات كلها عنده تأتيها البرد صباح مساء^(١) ويأويح العامل الذي تبدر منه بادرة أذى لاحد من

(١) هكذا حال الدول عند ما تبدأ في سلم الصعود ومتى انقلبت الى الهبوط انقلبت عندها هذه القاعدة رأساً على عقب فجعل الامراء العيون على الرعية لاعلى العمال ليكونوا عوناً لولاة على الرعية كما هي الحال الآن في ممالك الاسلام حيث لا يستطيع أحد ان يشكو ظلم العمال وسوء الاحوال حتى أوغل الولاة في الظلم وساموا الناس سوء العذاب وخرّبوا العمران وانتشر أمر الدول الاسلامية في الشرق والغرب واختل الملك وقوى عليها العدو ويأويح من تبدر منه بادرة شكوى من هذا الخطب فانه للحال يزرجه في ظلمات السجون أو يبنى من الارض وهذا ما جعل الامم الاوربية لهذا العهد تتسلط على الممالك الاسلامية وترمي المسلمين بوصمة العجز عن ادارة شؤون الحكومات

الرعية أو يهفو هفوة في شأن من الشؤون فانه لا يلبث أن يأتيه نذير عمر بالعزل أو التأيب من حيث لا يشعر فلهاذملا ت رهبته القلوب وخافه العمال وانقادله الناس واستكانت لديه النفوس العاتية

أخرج ابن الحوزي في المناقب عن عمر بن مرة قال : لقي رجلا من قریش عمر فقال لن لنا فقد ملكت قلوبنا مهابة . فقال . أفي ذلك ظلم . قال لا . قال فزادني الله في صدوركم مهابة . وأخرج عن عبد الله بن جبیر انه سمع عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما يحدث قال . مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن آية فلا أستطيع أن أسأله هيبه .

وأخرج ابن جرير في تاريخه عن زيد بن أسلم عن أبيه أن نفرًا من المسلمين كلوا عبد الرحمن بن عوف فقالوا : كلم عمر بن الخطاب فانه قد أخشانا حتى والله ما نستطيع أن نديم اليه أبصارنا : قال فذكر ذلك عبد الرحمن بن عوف لعمر : فقال أوقد قالوا ذلك فوالله لقد نلت لهم حتى تخوفت الله في ذلك ولقد اشتدت عليهم حتى خشيت الله في ذلك . وإيم الله لأننا أشد منهم فرقا (خوفاً) منهم مني : وأخرج ابن عساکر هذا الحديث من طريق آخر وزاد عليه قول عمر : فإني المخرج وقام بيكي يجر رداءه ويقول عبد الرحمن بيده أف لهم بعدك : والظاهر ان عمر رضي الله عنه إنما استعمل مع العرب هذه الشدة لعلهم باخلاقهم الجافية

وتلصق بهم عار الانحطاط الى دركات الضعة والذل واستسلامهم لعقيدة الرضا بالقضاء والصبر على الضيم ولو تخطفهم الامم وأصبحوا يساقون بعضا الاستعباد كاليهود ولقد شافهني مرة أحد علماء الامان بكلام من هذا القيل علمت منه مرتبتنا في نظر العالم المتمدن بين الامم وكنت والله لا أعلم اننا اتهمنا في نظرهم الى هذا الحد فانا لله وانا اليه راجعون

وانهم ان تظاهر لهم باللين فقد فتح لهم باب الادلال والتعجرف المعروف فيهم
يدلك على هذا ما رواه الحافظ ابن عساكر عن الاصمعي قال : كلم الناس عبد
الرحمن بن عوف ان يكلم عمر بن الخطاب في ان يلين لهم فانه قد اخافهم حتى اخاف
الابكار في خدورهن : فكلمه عبد الرحمن فالتفت عمر اليه فقال : يا عبد الرحمن اني
لا اجد لهم الا ذلك والله لو انهم يعلمون ما لهم عندي من الرأفة والرحمة والشفقة
لاخذوا ثوبي من عاتقي : والذي زاد عمر هيبه في النفوس انه كان لا يراعى في الحق
كبيراً ولا يمالى شريفاً ولا أميراً الا فيما تقضى به الضرورة السياسية وهذا فيما
لا يمس به حق من حقوق الرعية ومن هذا القبيل حكاية المشهورة مع جبلة بن
الايهم ملك غسان فانه لما أسلم ووفد على عمر بن الخطاب بأبهة الملك وحشمه تلقاه
عمر بالترحيب وبينما هو يطوف يوماً وطى على ازاره اعرابي من بني فزارة
فضر به على وجهه فشكاه الاعرابي الى أمير المؤمنين فاستدعى عمر جبلة وقال له
اما ان ترضيه واما ان يضربك كما ضربته فكبر ذلك على جبلة وقال الاتفرقون
بين الملك والسوقة : قال لا قد جمع بينكما الاسلام : فاستمهل الى الغد ثم اخذ
قومه وفر بهم ليلا ولحق بالامبراطور هرقل بالقسطنطينية فارسل عمر من
يسترضيه فأبى الرجوع وهذه مرتبة من انصاف الرعية واقادتهم حتي من
الملوك لم يبلغها أحد غير عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ومن بدائع أخباره في
انصاف افراد الرعية من الولاة ما نقله في حسن المحاضرة عن أنس قال أتى
رجل من أهل مصر الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين عاخذ بك من
الظلم : قال عدت معاذاً : قال سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني
بالسوط ويقول أنا ابن الاكرمين : فكتب عمر الى عمرو يأمره بالقدم عليه
ويقدم بآبئه عليه فقدم : فقال عمر أين المصري خذ السوط فاضرب فجعل

يضربه بالسوط ويقول عمر اضرب ابن الاكرميين ثم قال للمصري ضعوه على صلعة عمرو : قال يا امير المؤمنين انما ابنه الذي ضربني وقد اشتقيت منه فقال عمر لعمرو : منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً : قال يا امير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني (يعنى) المصرى

هذا منتهى الانصاف للرعية والعدل بين طبقات الامة وبمثل علم الناس ان لا كبير فوق الحق ولا امير الا دون الشريعة حتى نفسه رضى الله عنه فقد كان ينصف غيره منها ولا يعتبر نفسه امام الحق والعدل الا كواحد من الناس فقد جاء في كنز العمال عن الشعبي قال كان بين عمر وبين ابي بن كعب خصومة فقال عمر اجعل بيني وبينك رجلاً . فجمالا زيد بن ثابت فأتياه فقال عمر أتيك لتحكم بيننا وفي بيته يؤتى الحكم . فلما دخل عليه وسع له زيد عن صدر فراه فقال ههنا يا امير المؤمنين . فقال له عمر هذا اول جور جرت في حكمك ولكن اجلس مع خصمى فجلس بين يديه فادعى ابي وانكر عمر فقال زيد لا ابي اعف لامير المؤمنين من اليمين وما كنت لاسأله الا حد غيره فحلف عمر ثم أقسم لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض الناس عنده سواء (وفيه) عن عبد الله بن عكيم قال قال عمر بن الخطاب . انه لا حلم أحب الى الله تعالى من حلم امام ورفقه ولا جهل أبغض الى الله تعالى من جهل امام وخرقه ومن يعمل بالعفو فيما بين ظهريه تأييه العافية ومن ينصف الناس من نفسه يعطى الظفر فى أمره والذل فى الطاعة أقرب الى البر من التعزز بالمعصية وخلا : هذا فقد كان رضى الله عنه حريصا على ان لا يشكى منه ويرشد الى كل ما فيه راحة الناس وسلامة الأمة وتكسب طرق الخطأ أو الجور حتى يبلغ به الامر ان كان كلما اجتمع اليه ناس من الامصار أو جماعة من كبار الصحابة يسألهم عن سيرته بين الناس ويستطلع

طلع ضمائرهم من جهة سياسته في الرعية ولا يأتى قبول النصيحة (ومن) ذلك ما جاء في كنز العمال عن النعمان بن بشير ان عمر بن الخطاب قال في مجلس وحوله المهاجرون والانصار . ارايتم لو ترخصت في بعض الامور ما كنتم فاعلين فسكتوا فقال ذلك مرتين أو ثلاثا . فقال بشير بن سعد لو فعلت ذلك فومناك تقويم القدح } وهو السهم المعوج قبل ان يراش وينصل) فقال عمر . اتم اذن اتم اذن (استحسننا القولهم) . وفي المناقب عن عبد الجبار بن عبد الواحد التنوخي قال قال عمر (رض) وهو على المنبر انشدكم الله لا يعلم رجل مني عيبا الا عابه فقال رجل نعم يا امير المؤمنين تديل بين البردين وتجمع بين الادمين ولا يسع ذلك الناس قال فما اذال بين بردين ولا جمع بين ادمين حتى اتى الله . وقوله يديل بين بردين اى يلبس قميصا ويخليه ويلبس غيره (وذكر) بعض المؤرخين انه خطب يوما فقال . ايها الناس من رأى منكم في اعوجاج فليقومه . فقام رجل فقال . والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقموناه بسيفنا . فقال عمر . الحمد لله الذى اوجد في المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه

الا اننى لم اقف على سند لهذه الخطبة وهى ان صحت فربما تكون من قبيل الخبر الاول لا خطبة . وانت ترى من هذه الاخبار الى ايه درجة بلغت حرية الضمائر وحب العدل بالمسلمين يومئذ ومنها تعلم انهم انما سادوا بقول الحق وتعشق الحرية واستقلال الضمائر لا بالذل والخنوع والتقيد بقيد العبودية التى ماتقيد بها قوم الاضربتهم بالهلاك وسودت عليهم الامم كما سودت الغربيين الان على مائتى مليون من المسامين اتخذوا رؤساءهم اولياء من دون الله فقد فوجئوا بهم الى هوة الدمار واقفر وامن آثار ملكهم العظيم الديار .

وفي كنز العمال عن سلمة بن شهاب العبدي قال قال عمر بن الخطاب ايتها

الرعية إن لنا عليكم حق النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير وأنه ليس شيء أحب
إلى الله تعالى وأعم نفعاً من حلم إمام وورفته وليس شيء أبغض إلى الله تعالى من جهل
إمام وخرقه

(ومن سياسته) في تقويم أخلاق الناس وحملهم على المحجة الواضحة في الأعمال
وإن لهم ما تكنه السرار ما جاء في كنز العمال أيضاً من حديث عتبة بن مسعود قال .
سمعت عمر بن الخطاب يقول . إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فمن
أظهر لنا خيراً آمنا وقريناه وليس لنا من سريره شيء الله يحاسبه في سريره .
ومن أظهر لنا شرراً آمنا ولم نصدقه وإن قال إن سريره حسنة . وإنما يعرض
بهذا بالمنافقين تنبيهاً لهم إلى أنه مراقب لأعمالهم

ومع أنه كان يأخذ الناس بهذه الطريقة ويحملهم على الاستقامة في الأعمال
فانه كان يحذرهم من خيانة السرائر ونبههم عن التردد في الأمور ويرشدهم إلى الجمع
بين العزيمة والنية سواً لهم إلى الاستقامة في العمل والحزم في الرأي فقد أخرج
ابن جرير الطبري في تاريخه عن عمر بن مجاشع قال . قال عمر بن الخطاب القوة في
العمل إن لا تؤخر عمل اليوم لغد . والامانة أن لا تخالف سريرة علانية واتقوا
الله عز وجل فإنما التقوى بالتقوى ومن يتق الله يقه .

وهكذا رضى الله عنه كان في رعيته كالود الرؤف يواليهم بالنصائح ويرشدهم
إلى سبيل الخير والسعادة ويأمرهم بالتقوى والعدل والتألف والاجتماع ونبههم عن
التحزب والتفرق وخصوصاً قريناً فإنه كان لا ينام لهم على أمر ولا يدعهم ساعة
من نصيحة لأنهم قدوة الناس وأئمة العرب

أخرج الطبري عن ابن عباس أن عمر قال لناس من قرين بلغنى انكم

تخذون مجالس لا يجلس اثنان معاً حتى يقال من صحابة فلان من جلساء فلان حتى
تجو ميت المجالس وأبهم الله أن هذا السريع في دينكم سريع في شرفكم سريع في
ذات بينكم ولكأنني بمن يأتي بعدكم يقول هذا رأي فلان . قد قسموا الاسلام
اقساماً . أفيضوا مجالسكم بينكم وتجالسوا معاً فإنه أدوم لأنفقكم وأهيب لكم في
الناس اللهم ملوني وملتهم وأحسست من نفسي واحسوا مني ولا ادري بأينا
يكون الكون وقد اعلم ان لهم قبيلاً منهم فاقبضني اليك .

ومن جميل سياسته انه كان يعلم من نفسه الشدة فلا يرضى لعماله ان يكونوا
مثله لهذا عزل خالد بن الوليد عن الامارة وجعل بدله ابا عبيدة بن الجراح وكان
عماله جميعهم ممن عرفوا باللين والاناة كأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص وعتبة
ابن غزوان وحذيفة بن ليثان وعثمان بن حنيف وأضربهم الأبعض القواد فر بما
كانوا على شيء من الشدة وذلك يكون في مثلهم بالطبع ومع شدة رضى الله عنه
فتمد كان يوصى عماله بالرفق والعدل والاناة وعدم الايغال في العقوبة وبلغ به
كرهه للايغال في العقوبة ان أرسل مرة الى أبي موسى الأشعري وقد اشتد في
العقوبة على بعضهم يهدده بالعقاب اذا عاد الى مثلها

جاء في كنز العمال عن ابن عمر قال: كنت مع عمر في حجة (أو عمرة) فاذا نحن
برابك: قال عمر أرى هذا يطلبنا: فجاء الرجل فبكي: قال ما شأنك ان كنت
غارماً أعناك وان كنت خائفاً أمناك الا ان تكون قتلت نفساً فنقتل بها وان
كنت كرهت جوار قوم حولناك عنهم: قال اني شربت الخمر وأنا أحد بني تيم
وان ابا موسى جلدني وحلقني وسود وجهي وطاف بي الناس وقال لا تجالسوه
ولا تؤاكلوه فحدثت نفسي باحدى ثلاث . اما ان اتخذ سيفاً فأضرب به ابا
موسى . واما ان آتيك فتحولني الى الشام فانهم لا يعرفونني . واما ان الحق

بالعدو فأكل معهم واشرب : فبكى عمر وقال ما يسرني أنك فعلت وان لعمر كذا وكذا وانني كنت لا شرب الناس لها في الجاهلية وانها ليست كالزنا . وكتب الى أبي موسى ماصورته

سلام عليك أما بعد فان فلان بن فلان التيمي أخبرني بكذا وكذا وأيم الله اني ان عدت لا سودن وجهك ولأطوفن بك في الناس فان أردت ان تعلم حق ما أقول فعده . فأمر الناس ان يجالسوه ويؤاكلوه فان تاب فاقبلوا شهادته . وحمله عمر (أى أركبه) واعطاه مائتي درهم

ومن جميل سياسته اهتمامه بأهل الذمة الذين دخلوا في عهد المسلمين وسلطانهم من الشعوب غير المسلمين ووصاياها للعمال بالحرص على راحتهم وتجنب ظلمهم وأذاهم وبلغ اهتمامهم ان كان اذا غابت عنه أخبارهم أو بلغه أقل شئ عنهم يستدعي ذوى امانة من المسلمين الذين أقاموا في بلادهم ويسألهم عن أحوالهم ويسنقى سيرة العمال معهم ومن ذلك ما رواه الطبرى في تاريخه ان عمر (رض) كتب الى أمير البصرة ان يبعث له جماعة من ذوى الرأي والبصيرة فارس الىه وفداً فيهم الاحنف بن قيس فسألهم عن أهل الذمة وهل يشكون ظلماً أو حيفاً فاجابوه بالسلب ولم يطمئن لقولهم حتى استوثق من الاحنف وكان يثق بصدقه ثم صرفهم

ومن أجل ما يؤثر عنه من الرفق بأهل الذمة ما جاء في كتب العمال ان عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسئل على أبواب المساجد فقال ما أنصفناك كناً أخذنا منك الجزية في شيببتك ثم ضيعناك في كبرك ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه ومن حسن سياسته تقدمه الى قواده بان لا يمسكوا الجندي الغزواً أكثر من أربعة أشهر وسببه انه كان يطوف ليلة بالمدينة على عادته فسمع امرأة من وراء بابها تقول

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقتي أن لا خليل الأعبه
فلولا حذار الله لاشئ مثله لزحزح من هذا السير بجوانبه
فكتب عمر الى عماله ان لا يغيب أحد بالغزو. ونعم الرأي

ومن سياسته توقيفه الحدود وعند الضرورة الداعية لذلك فقسداً خرج ابن
أبي شيبه في المصنف عن حكيم بن عمير قال كتب عمر بن الخطاب ألا لا يجلدن
أمير جيش ولا سريه أحداً الحد حتى يطلع الدرب لئلا تحمله حمية الشيطان ان
يلحق بالكفار

ومن سياسته انه كان يحبس عن العمل كثيراً من كبار الصحابة منهم من
كان لا يستعمله خوفاً على دينه من ان يدنسه بالولاية فتداخرا ابن سعد
عن عمر ان بن عبد الله قال: قال أبي بن كعب لعمر بن الخطاب مالك لا تستمعاني:
قال اكره ان تدنس دينك

ومنهم من لا يستعمله خشية ان يحمله على رقاب الناس أو خشية ان تحذره
نفسه بالامارة اذا بد عن مراقبته وهو لاءهم بنوهاشم لما كان يتفرسه فيهم من
التطلع الى الامارة ففي مروج الذهب للمسعودي عن عبد الله بن عباس أن عمر
أرسل اليه فقال يا ابن عباس ان عامل حمص هلك وكان من أهل الخير وأهل
الخير قليل وقد رجوت ان تكون منهم وفي نفسي منك شيء لم أره منك وأعياني
ذلك فما رأيك في العمل قال ابن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك . قال
وما تريد الى ذلك . قال أريد فان كان شيء أخافه على نفسي خشيت منه عليها
الذي خشيت وان كنت بريئاً من مثله علمت اني لست من أهله فقبلت عملك
هنالك فأنني فلما رأيت أو ظننت شيئاً إلا عاينته: فقال يا ابن عباس اني خشيت ان
يأتي علي الذي هوأت وانت في عملك فتقول هلم الينا ولا هلم اليكم دون غيركم:

انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل الناس وترككم : قال (اى ابن عباس) والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك : قال (اى عمر) والله ما أدري أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم أم خشى أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب ولا بد من عتاب فقد قرعت لك فإرأيتك قال : (اى ابن عباس) أراني لا أعمل لك : قال ولم : قلت ان عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذى في عينك قال : فأشر علي ! قلت اني أرى ان تستعمل صحيحا منك صحيحا لك

ومن سياسته تقدمه الى العمال بان لا يأذنوا لاحد من جنود المسلمين ان يزرع أو يزارع في البلاد المفتوحة وان لا يقطعوا أرضا لاحد منهم البتة وذلك لامور الامر الأول كي لا يزاحم المسلمون أهل الذمة والعهد في أرضهم ويضيقوا عليهم في معيشتهم والامر الثاني كي لا يألف الجند الاعمال في الارض في إبان الفتح فتميل نفوسهم الى الراحة من عناء الحرب والأمة حربية لم يأن لها اطراح لآلئ القتال واعتزال الحرب والاخلاد الى الراحة والترف والامر الثالث كي تبقى الارض في يد أهلها مادة تستمد منها الدولة ما يقوم بشؤونها العسكرية والادارية ولا يحتكرها المقتطمون من جنده فتعدم مادة القوة عن الدولة الاسلامية فيما بعد ولا تجرد من المال ما يكفي لمن يقوم من الجند بحراسة البلاد وقدمر الشاهد على سياسته هذه في غير ما محل من هذا الكتاب ومنه ما كتبه الى عمال العراق وعمر و بن العاص في مصر كما رأيت ذلك في فصل (كيف يكون الاستعمار) وأخباره في سياسته طويلة نكتفي منها بما تقدم دلالة على الباقي

﴿ نظرة في بعض الاخبار المتعلقة بأهل الذمة ﴾

قد رأيت في هذا الباب وفي باب اجلاء عمر لاهل نجران وسترى في باب اخباره واقواله كيف كانت سياسة عمر مع أهل الذمة وكيف كان شديد الحرص

على راحتهم حائلاً لعمال على انصافهم وعدم ايدائهم ومن كان هذا شأنه مع القوم
 فيستحيل على العقل التصديق بما يناقض سيرته هذه معهم وقد اورد بعض
 ارباب السير وثقة الحديث خبيرين عن عمر يتملقان بأهل الذمة احدهما امره
 لعماله في العراق بختهم رقاب اهل الذمة من الفرس بالرصاص والثاني تقدمه الى
 العمال ان لا يحدث النصارى في امصار المسلمين (اي التي مصرها المسلمون خاصة
 كالبحيرة والكوفة) بيعة ولا يرفعوا صليبا على ان هذين الخبرين وما شابههما قد
 وهن روايتاهما الحديث وحفاظه وقالوا انهما موضوعة وقد اورد الامام
 الشوكاني في نيل الاوطار الحديث الثاني عن البيهقي وعن الحافظ الحراني باختلاف
 بينهما باللفظ وقال عن الاول في اسناده ضعف وعن الثاني في اسناده حش وهو
 ضعيف. ويريد بحش احد المطعون بهم في رواية الحديث.

فلاندرى ما هو الباعث لفريق الوضاعين على وضع امثال هذه الاحاديث
 اهو الجهل بمقاصد الاسلام الذي جاء للتأليف بين القلوب والتعارف بين
 الشعوب (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكروا نثي وجملناكم شعوبا وقبائل
 لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ام ذلك شيء دس في الاخبار وتناقله الرواة
 مع الغفلة عن مقاصد الشرع

ليس بعجيب على الكذابين او المنافقين او الجاهلين ان يدسوا ماشاؤا في
 الاخبار انما العجيب ان ينقلها بعض المؤرخين والعلماء الاعلام على علاتها كما
 نقل ابن الجوزي وهو امام معروف الخبر الثاني في مناقب عمر دون التنبيه على
 ضعفه وانما جربلاء التشيع ونفث روح التفرق والنسي المسلمين اصول التألف
 والتحاب حتى بين انفسهم انتشار امثال هذه الاحاديث والخبار في كتب
 الخاصة مع علمهم بانها الكاذب ومنها ضعيف السند وانما دعاهم الي نقلها توهم

انها قربى يتقرب بها الى الدين او يتعصب بها له مع ان التعصب للدين هو التمسك
 به والذود عن حوضه واعزاز جانبه وجانب اهله بارشاهم الى ان السيادة على
 الامم انما هي بمسابقتهم في مضمار الحياة الاجتماعية لا بايذاء الغير في دينه وحرية
 والله تعالى يقول (لكم دينكم ولي دين) ولو اراد الاسلام ايذاء الذمى في حرية
 الدينية والشخصية لامر باكره اهل الكتاب على الاسلام كما امر باكره
 مشركي العرب . ومن ثم فلو فرض ورود امثال تلك الاخبار سواء عن عمر
 (رض) او عن غيره فلا ينبغي لها ان تحمل على ما يناقض اصول الدين بل تحمل على
 الضرورة السياسية التي ربما تدعو اليها سياسة الفتح كما يدل عليه تخصيص امر
 عمر لوصح الخبر عنه بمصر مخصوص اذ لا بد لكل فاتح من اظهار الشدة في بادئ
 الامر بما يشبه ما يسمونه الآن الادارة العرفية او العسكرية ريثما تثبت قدمه في
 البلاد وتسكن الى حكمه نفوس المغلوبين هذا من جهة ومن جهة ثانية فر بما كان
 لجدة العرب في الدين وعدم تمكن عامتهم منه لقرب عهدهم به دخل في مثل تلك
 السياسة التي يراد بها المحافظة على عقائد العرب يومئذ من ان يتطرق اليها اهل
 جوارهم من النكتابين بشئ من الافساد لقرب عهدهم بالوثنية وانعراقهم في الجهل
 كما كان لهذه السياسة دخل في اجلاء اهل نجران ومن هذا القبيل الخبر الذي
 نحن بصدد الكلام عليه وهو خبر تقدم عمر الى عماله بعدم احدث النصرارى بيعة
 في الامصار التي مضرها للمسلمون هذا على فرض صحته وهو لم يصح كما رأيت وعلى
 هذا القصد ينبغي ان يحمل كل ما جاء من الاحاديث والاخبار التي من هذا
 القبيل لا على قصد ايجاد الفرة بين المسلمين واهل الكتاب لاسيما والمخذور الذي
 كان يدور في خلد الصحابة ويخشاه النبي صلى الله عليه وسلم على العرب يومئذ كان
 قد زال بزوال اسبابه ولا يحمل هذه الاخبار على غير هذا المحمل الذي بسطناه

الاجاهل بمقاصد الاسلام غير عالم بان الدين الذي يأمر أهله بمعاشره أهل الذمة بالمعروف ومامتهم بالانصاف وعدم ايذائهم في حال من الاحوال لهم ماله مسلمين وعليهم ما عليهم لا يناقض نفسه ويأتي بما يخالف عدله ولا يكن العقلاء الذين يضعون الامور موضع النقد والمحاكمة قليل وآفة السلم الفهم بما يوافق الهوى لا الحق والسلام

﴿ أخباره مع عماله ﴾

— ووصاياه لهم —

كان رضى الله عنه شديد المراقبة لعماله كثير السؤال عن سيرتهم وأخبارهم وبلغ به ذلك أن أقام عليهم العيون يوافونه بأخبارهم وجعل أحد الصحابة وهو من أهل النقي والصدق واسمه محمد بن مسلمة قاصاً أى محققاً لأخبارهم ومقتصاً لآثارهم فاذا شك أحد من الرعية أحد من العمال أرسل محمد المذكور يقتص الخبر ويحقق الشكوى تحقيقاً علنياً لا فى السري لا يؤخذ العامل بوشاية واش أو سعاية مفتر فيذهب ويجمع اليه الناس فى المسجد وربما طاف عليهم فى أحيائهم يسألهم عن علمهم بسيرة الامير وبأسباب الشكوى منه ومن ذلك ما ذكره الطبرى فى تاريخه عند الخبر عن إرسال الجيوش الى نهاود فى أخبار سنة (٢١) قال ونزل بسعد (أى ابن أبى وقاص) أقوام والباوعليه فيما بين ترأسل القوم واجتماعهم الى نهاوند ولم يشغلهم مادهم المسلمين من ذلك وكان ممن نهض الجراح بن سنان الأسدي فى نفر فقال عمر ان الدليل على ما عندكم من الشره ووضيكم فى هذا الامر وقد استعدت لكم من استعد وأنتم الله لا يمتنعني ذلك من النظر فيما لديكم وان نزلوا (يعنى الفرس) بكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس فى الاستعداد للاعاجم والاعاجم فى الاجتماع وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذى يقتص آثار

من شكي زمان عمر^(١) فقدم محمد على سعد ليطوف به على أهل الكوفة
والبعوث تضرب على أهل الامصار الى نهاود فطوف به على مساجد أهل
الكوفة لا يتعرض للمسئلة عنه في السر وليست المسئلة في السر من شأنهم اذ
ذاك . وكان لا يقف على مسجد فيسئلهم عن سعد الا قالوا لانعم الا خير اولا
نشتهي به بدلا ولا نقول فيه ولا نعين عليه : الا من مالا الجراح بن سنان
وأصحابه فانهم كانوا يسكتون ولا يقولون سوءا الى ان قال الطبري وخرج محمد به
(أى بسعد) وبهم الى عمر حتى قدموا عليه فأخبره الخبر فسأله عمر عن أوجه
الشكوى فانكرها ولم يسعهم إثباتها فردم عمر وخشى اذا بقي سعدا على الكوفة
أن يكون بينهم وبينه أمر فمزله احتياطا وسأله من خلفتك على الكوفة فقال له
عبد الله بن عبد الله بن عثمان فأقره

ومنه تعلم كيف كان رضى الله عنه من اقباله كثير التحقيق عن اخبارهم
لا يتعجل في أمرهم اذا جاءه شكاية على أحد هبل يتثبت الخبر بنفسه ويحققه
بمواجهته فان ثبت عليه شئ مما يدعيه الشاكي عزله وله بهذا الصدد اخبار كثيرة
مع عماله ربما نأتى على شئ منها في سيرة أشهر المشهورين من رجاله ان شاء
الله تعالى

وكان رضى الله عنه لا يحب أن يفرق عماله في المعاملة بين الحر والعبد ولا بين
القوي والضعيف أخرج بن جرير الطبري عن الاسود بن يزيد قال كان الوفد
اذا قدموا على عمر (رض) سألمهم عن أميرهم فيقولون خيرا فيقول هل يعود
مرضاكم فيقولون نعم فيقول هل يعود العبد فيقولون نعم فيقول كيف صنيعه
بالضعيف وهل يجلس على بابها فان قالوا لا عزله

(١) وظيفة محمد بن مسلمة هذه تشبه وظيفة المفتشين لهذا العهد

وكان رضى الله عنه لا يغفل عن أن يرسل الاوامر الى عماله تباعاً في أن
يعدلوا ولا يظلموا ولا يأخذوا بالظنة ولا يبنوا أو يهدروا ومن ذلك انه لما وفد
عليه الاحنف بن قيس وسأله عن حال الذمة في ولاية البصرة وصرّفه كما تقدم
الخبر عن ذلك في الفصل السابق كتب معه كتاباً الى عتبة بن غزوان أمير البصرة
يوصيه فيه بأهل الذمة هذه صورته (عن تاريخ الطبرى)

أعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون
منكم أو بغي فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم
اليكم فيما أخذ عليكم فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصرًا
وبلغه مرة أن حرقوا صاعاً من له على الاهاز نزل جبل الاهاز والناس
يختلفون اليه والجبل كؤود يشق على من راهه فكاتب اليه ما صورته نقل عن
تاريخ الطبرى في حوادث سنة (١٧)

(أما بعد) بلغنى أنك نزلت منزلاً كؤوداً لا تؤتى فيه الا على مشقة
فأسهل ولا تشق على مسلم ولا على معاهد وقيم في أمرك على رجل تدرك الآخرة
وتصف لك الدنيا ولا تدركك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك وتذهب
آخرتك

هذه لعمرى الرافة بالرية وهذه منتهى الجنان وغاية الحرص على راحة
الناس فاللهم أن خليفة لا يغفل حتى عن أمثال هذه الجزئيات خليفة لا يخلفه الزمان
ولا يوهن له سلطان ولا يمحي ذكره عن صفحات الجنان فرضى الله عنه وأرضاه
ومن وصاياه للعمال ما أخرجه الطبرى عن أبي عمر الجونى قال كتب
عمر الى أبي موسى انه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم فأكرم من قبلك من
وجوه الناس وبحسب المسلم الضعيف من العدل ان ينصف في الحكم وفى القسم

ومراده بهذه الوصية أن يكرم أبو موسى وجوه الناس ليألفوه ويرفعوا
إليه حوائج المسلمين وأمور الضعفاء كي يكون عارفاً بحاجات الرعية من كل
الطبقات فينصف هذا في الحكم وذلك في القسم ولا يفوت عدله فرداً من أفراد
الرعية الذين لا يصلون إليه

وأخرج عن أبي فراس قال خطب عمر بن الخطاب فقال : يا أيها الناس اني
والله ما أرسل عملاً إليكم ليضربوا أبقاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكني
أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم (وفي رواية ويتقضوا بينكم بالحق
ويحكموا بينكم بالعدل) فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلى فوالذي نفس
عمر بيده لا أقصنه منه ^(١) فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أرايت ان
كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته أنك لتقصه منه :
قال إى والذي نفس عمر بيده اذا لا أقصنه منه وكيف لا أقصه منه وقد رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه . ألا لا تضربوا المسلمين
فندلوهم ولا تجمرهم فنتفتوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم
الغياض فتضيعوهم

وعن أبي رواحة قال كتب عمر بن الخطاب إلى العمال : اجعلوا الناس
عندكم في الحق سواء قريتهم كبعيدهم وبعيدهم كقريتهم اياكم والرؤساء والحكم
بالهوى وان تأخذوا الناس عند الغضب فقوموا بالحق ولو ساعة من نهار
ورى الطبرى ان عمر كان يقول في عماله : اللهم انى لم أبعثهم ليضربوا
أبقارهم من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دونى : ومع كل هذا التشديد على العمال
فانه رضى الله عنه كان دائماً قلقاً على الرعية خائفاً من ان يجار عليهم بأمر لا يصله

(١) يعنى يمكن خصمه من الاقتصاص منه أو يقص له منه

خبره لهذا عزم قبيل قتله ان يسافر ويطوف على العمال جميعهم ليجت من أمور
الرعية ويقضي حاجاتهم : فقد أخرج الطبري عن الحسن قال : قال عمر بن
الخطاب ان عشت ان شاء الله لا سيرن في الرعية حولاً فاني أعلم ان للناس حوائج
تقطع دوني أما عملهم فلا يرفعونها اليّ وأما هم فلا يصلون اليّ فأسير الى الشام
فأقيم بها شهرين ثم أسير الى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم أسير الى مصر فأقيم بها
شهرين ثم أسير الى البحرين فأقيم بها شهرين ثم أسير الى الكوفة فأقيم بها شهرين
ثم أسير الى البصرة فأقيم بها شهرين والله نعم الحول هذا . ونحن نقول نعم الخليفة
هذا ولا والله لا يخلفه خليفة في المسلمين ولا يدانيه ملك من ملوك الارض أجمعين
هكذا كان قلقه على الرعية وتطلعه الى أخبار العمال مع تحريه في انتخابهم
أهل الامانة والتقى والكفاءة لولاية أمور الرعية حتى كان أكثر عماله ناهجين في
العدل منهجه سال كين في الزهد والورع والنفقة طريقه فن عماله سلمان الفارسي
وكان عامله على المدائن وكان على جانب من الزهد والتقى والصلاح عظيم فكان
يلبس الصوف ويركب الحمار يبرذعته بغير إكاف ويأكل خبز الشعير فلما احتضر
بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص يا أبا عبد الله أذكرك الله عندهمك اذا هممت
وعند لسانك اذا حكمت وعند يدك اذا قسمت : فجعل سلمان يبكي فقال له يا أبا
عبد الله ما يبكيك : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الآخرة
عقبة لا يقطمها إلا الخنثون وأرى هذه الاسودة (جمع سواد وهو المال الكثير)
حولي فنظروا فلم يجدوا في البيت الادوية وركوة ومطهرة
وكان عامله على الشام أبا عبيدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف
الجاني فعذل على ذلك وقيل له انك بالشام وأمير المؤمنين وحوالنا لاعداء فغير من
زيك وأصاح من شاركتك : فقال ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في عصر

رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان عامله على حمص سعيد بن عامر بن حذيم فشكاه أهل حمص إليه
وسأله عزله : فقال عمر اللهم لا تقل فراستي فيهم . ماذا تشكون منه : قالوا
لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحد أبليل وله يوم في الشهر لا يخرج الينا
: فقال عمر علي به فلما جمع بينه وبينهم فقال ما تقمون منه : قالوا لا يخرج الينا
حتى يرتفع النهار : فقال ما تقول يا سعيد : فقال يا أمير المؤمنين انه ليس لاهلي
خادم فاعجن عجبني ثم اجلس حتى يختمر ثم اخبز خبزي ثم أتوضأ وأخرج اليهم :
قال وماذا تقمون منه . قالوا لا يجيب بليل . قال قد كنت أكره أن أذ كر هذا
اني جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم . قال وماذا تقمون منه . قالوا له
يوم في الشهر لا يخرج الينا . قال نعم ليس لي خادم فاعسل ثوبي ثم اجففه فأسي
: فقال عمر الحمد لله الذي لم يقل فراستي فيكم يا أهل حمص فاستوصوا بوليكم
خيراً . ثم ان عمر بعث اليه بألف دينار وقال أستعن بها . فقالت له امرأته قد
أغنانا الله عن خدمتك فقال لها ألا ندفعها الي من يأتينا وأحوج ما كنا اليه قالت بلي
فصرها صرراً ثم دفعها الي من يثق به وقال انطلق بهذه الي فلان وبهذه الي تيم بن
فلان ومسكين آل فلان حتى بقي منها شيء يسير فدفعه الي امرأته وقال أنفقي هذه
ثم عاد الي خدمته فقالت له امرأته ألا تبعث بذلك المال فتشترى لنا منه خادماً
فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه

هكذا كان معظم عمال عمر رضي الله عنه فكيف لا يكون عصره أسعد
العصور على المسلمين وأعظمها بركة على الرعية ولا جرم فالخليفة الصالح لا يختار
من العمال الا الصالحاء العدول والناس على دين ملوكهم والعمال يسلكون
طرائق سلوكهم فان كان الملوك ظالمين ظلم العمال وان كانوا عادلين عدلوا

وكان رضي الله عنه يكره احتجاب العمال عن الرعية ويبالغ في حب ظهورهم للناس فان بلغه ان عاملاً احتجب عن الرعية نكل به أشد تنكيل فقد روى الطبري أن سعد بن أبي وقاص لما بني دار الامارة في الكوفة وكانت الاسواق قريبة منه وغوغاؤهم تمنع سعداً الحديث ادعى الناس عليه ما لم يقل وقالوا قال سعد سكن عني الصويت وبلغ عمر ذلك وان الناس يسمون الدار قصر سعد فدعا محمد بن مسلمة فمرّحه الى الكوفة وقال أعمد الى القصر حتى تحرق بابه ثم ارجع عودك على بدئك فخرج حتى قدم الكوفة فاشترى حطباً ثم أتى به الى القصر فأحرق الباب وأتى سعد فأخبر الخبر فقال . هذا رسول أرسل لهذا الشأن وبعث لينظر من هو فلما عرفه أرسل اليه رسولاً بان أدخل فأبى فخرج اليه سعد فأراده على الدخول والنزول فأبى وعرض عليه نفقة فلم يأخذ ودفع كتاب عمر الى سعد وفيه

بلغني انك بنيت قصرًا اتخذته حصناً ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس باباً فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال انزل منه منزلاً مما يلي بيوت الاموال وأغلقه ولا تجعل على القصر باباً يمنع الناس عن دخوله وتفهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك اذا خرجت:

خلف له سعد ما قال الذي قالوا ورجع محمد بن مسلمة من فوره حتى اذا دنا من المدينة فبني زاده فتبلغ لبحاء الشجر فقدم على عمر فسأله فأخبره الخبر كله فقال له هلا قبلت من سعد : فقال لو أردت ذلك كتبت لي به أو أدت لي فيه : فقال عمر ان اكمل الرجال رأياً من اذالم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم أو قال به ولم ينكل

وأخبره محمد بن سعد وقوله فصدق سعداً وقال : هو أصدق ممن روى

عليه وأبلغني

جاء في كنز العمال عن عاصم بن أبي النجود أن عمر بن الخطاب كان إذا بعث
عماله شرط عليهم أن لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقياً ولا تلبسوا رقيقاً ولا تعلقوا
أبوابكم دون حوائج الناس . إن فعلتم شيئاً من ذلك فقد حلت بكم العقوبة . ثم
يشيخهم فإذا أراد أن يرجع قال : اني لم أسلطكم على دماء المسامين ولا على أعشارهم
ولا على أبشارهم ^(١) ولا على اعراضهم ولا على أموالهم ولا كني بعثكم لتقيموا
بهم الصلاة وتقسوا فيهم فيهم وتحكموا بينهم بالعدل فان أشكل عليكم شيء
فارفعوه اليّ : ألا فلا تضربوا العرب فتدلوها ولا تجمروها ^(٢) فتفتنوها ولا
تعتلوا علمها فتحمروها جود القرآن : (وفي رواية) وأقول من الرواية

وكان إذا بلغه عن أحد من عماله أسرى نخل بالمرؤة عزله في الحال ففي المناقب
لأبي الفرج بن الجوزي عن بن سعد قال . كان عمر بن الخطاب استعمل النعمان
ابن نضلة على ميسان وكان يقول الشعر فقال .

الأهل أتى الحسنة إن حليلها بميسان يسقى في زجاج وختم
في أبيات يقول في ختامها

لعل أمير المؤمنين يسؤه تنادنا بالجوسق المهتم

فلما بلغ عمر قوله قال . نعم والله انه ليسوني من لقيه فليخبره اني قد عزائته :
فقدم عليه رجل من قومه فاخبره بذي له فقدم على عمر فقال والله ما أحب شيئاً مما
قلت ولكن كنت أمراً أشاعراً وجدت فضلاً من قول فقلت فيه الشعر فقال
عمر والله لا تعمل لي على عمل ما بقيت . وفي رواية عن عثمان الخرامي عن أبيه قال

(١) كناية عن أجسامهم وأموالهم (٢) قال في القاموس جمره تجمير اجمعه والقوم

على الامر تجمعوا الى ان قال والحيش حبسهم في أرض العدو ولعله هو المراد

لما بلغ عمر بن الخطاب هذا الشعر كتب الى النعمان بن نضلة (بسم الله الرحمن
الرحيم) حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير . أما بعد فقد بلغني قولك

لعل أمير المؤمنين يسوءه تناد منا بالجوسق المهتمم

وايم الله انه ليسوءني وعزله

ومن عجيب سياسته مع العمال انه كان يحصى اموالهم قبل العمل وما زاد
بعده يصادرهم على كله او بعضه ومن هذا ما رواه الطبري ان عمر استعمل عتبة بن
أبي سفيان على كنانة فقدم المدينة بمال فقال له ما هذا يا عتبة قال مال خرجت به معي
وتجرت فيه . قال ومالك تخرج المال معك في هذا الوجه فصير في بيت المال .

وروى ان خالداً لما أدرب هو ووعياض الى بلاد الروم اتبعه من العراق

رجال منهم الاشعث بن قيس فوصله بعشرة آلاف درهم فبلغ ذلك عمر فكتب الى
أبي عبيدة أن يحصى مال خالد ويصادره على النصف فدعاه وتلا عليه أمر أمير
المؤمنين وصادره على نصف ماله حتى الخفين أخذ منهما واحداً وترك له الآخر .

وكان خالد بن الوليد أميراً على قنسرين من قبل أبي عبيدة لا من قبل عمر فقي رواية
أخرى للطبري أن عمر كان لا يخفي عليه شيء في عمله فكتب اليه من العراق

بمخروج من خرج من الشام وبجائزة من أجز فدا البريد وكتب معه الى أبي

عبيدة أن يقيم خالداً ويعقله بعاملته ويتزعم عنه فلنسوته حتى يعلمهم من أين أجاز الا

شئت أمن ماله أم من اصابه اصابها (يعني من المغنم) فان زعم انها من اصابة اصابها

فقد أقر بخيانة وان زعم انها من ماله فقد اسرف واعزله على كل حال وأضم اليك

عمله . فكتب ابو عبيدة الى خالد فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر فقام

البريد فقال أمن مالك أجزت بعشرة آلاف أم من اصابة فلم يجبه حتى اكثر عليه

وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً فقام بلال (مولى رسول الله) صلى الله عليه وسلم اليه فقال ان أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ثم تناول قلنسوته فعلقه بعمامته وقال ما تقول أمن مالك أم من اصابة قال لا بل من مالي فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال (نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم ونخدمه والينا) وأقام خالد متحيراً لا يعلم أم عزول هو أم غير معزول وأبو عبيدة لا يخبره كرامة له وكأن عمر لما أبطأ عليه الخبر علم بالذي كان فكتب الى خالد بالقدوم عليه فعتب خالد على أبي عبيدة لأنه لم يعلمه بأمر عمر من قبل فقال أبو عبيدة اني والله ما كنت لأروعك ما وجدت لذلك بدا وقد علمت ان ذلك يروعك . ثم ان خالد ارجع الى قنسرين فخطب أهل عمله وودعهم وتحمل ثم أقبل الى حمص فخطبهم وودعهم ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر فشكاه وقال لقد شكوتك الى المسلمين وبالله انك في أمرى غير مجمل ^(١) يا عمر فقال عمر من أين هذا الثرى . قال من الانفال والسهمان ما زاد على الستمين الفأفك فقوم عمر وعرضه ^(٢) فخرجت اليه عشرون ألفاً فأدخلها بيت المال ثم قال يا خالد والله انك علي لسكريم وانك الي لحبيب ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء . ثم ان عمر كتب الى الامصار اني لم اعزل خالد عن سخطه ولا خيانه ولكن الناس فتنوا به فحفت ان يوكلوا اليه ويبتلوا به فأحبت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان لا يكونوا بعرض ^(٣) فتنة . ويقال انه عوضه عما أخذه منه وكتب الى الناس : وهكذا أيضاً شاطر سعد بن أبي وقاص على ماله وشاطر أباهسيرة ولما أبى ان يشاطره ضرب به وصادر غيرهم أيضاً وردة أموالم لبيت المال . وهذا أمر لا يعجب من صدوره عن عمر (رض) على شهرته بالعدل لانه لا بد ان يكون له في هذا رأي سديد ومرمي بعيد ولعل الحامل

(١) مجمل من أجل في الطلب أتادوا عدل ولم يفرط (٢) متاعه (٣) بطريق

له على ذلك هو لانه كان يرى ان هذا المال حق المسلمين فينبغي له ان يكون لعامة المسلمين حتى لا يتكاثر به الاغنياء ويتعالوا به على الفقراء ويدلنا على هذا ما رواه ابن جرير الطبري في تاريخه عن السائب بن يزيد قال . سمعت عمر بن الخطاب يقول والله الذي لا اله الا هو (قوله لانا) ما من احد الا له في هذا المال حق اعطيه او منعه وما احد احق به من احد الا عبد مملوك وما نافية الا كآدمهم ولكننا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجل وبلاؤه في الاسلام والرجل وقدمه في الاسلام والرجل وغناؤه (كفايته) في الاسلام والرجل وحاجته والله لئن بقيت لياتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه

وأخرج عن حبيب بن أبي وائل قال . قال عمر بن الخطاب لو استقبلت من أمري ما استدبرت لا خذت فضول أموال الاغنياء فتقسمتها على فقراء المهاجرين

ولا يخفى على من له إلمام بأصول المذاهب الاشتراكية القائمة في هذا العصر في أوروبا أن من الأغراض التي ترمي إليها جمل الأمم والحقاً يشترك فيها الناس من كل الطبقات والاسلام قد قرر قاعدة الاشتراك الآن بين مذهب الاشتراكيين ومذهب المسلمين فرق في ان المسلمين يعتبرون هذا الحق في ثمره رأس المال وهي النضول وان الاشتراكيين يعتبرونه في رأس المال نفسه وهو خطأ أدام إليه الإفراط والغلو كما شرحنا ذلك في كتابنا تنبيه الافهام . وباللله لو علم اولئك الناس أن الاسلام قرر قاعدة الاشتراك على أصول الحق والعدل التي لا تصادم نواميس الاجتماع وان أهله باتوا لا يعرفون شيئاً من هذه القاعدة ولا غيرها من القواعد التي تضمن سعادتهم الاجتماعية وحياتهم المليية

لأخذتهم الحيرة من هذا الامر وربما تنبه قادتهم وزعماءهم الى قبول الاسلام وجعله أساسا للسعادة التي ينشدونها للانام واكتفوا في بث دعوتهم مؤنة المقاومة التي يلاقونها من أهل الجدل والحصام
 ﴿كلمة في الحرية والطاعة﴾

(أوالحكومة العسكرية والحكومة القانونية) ﴿

أخذت على نفسي أن لا أغفل في هذا الكتاب خبر أمير على القارى من الاخبار التاريخية المهمة ما لم أردفه ببيان مفيد لاسيما فيما يرجع للاخلاق ويمثل صورة الفضائل والذائل ويفرق بين السعادة والشقاء ومما ينبغي ان لا يفوتنا النظر فيه حادث خالد بن الوليد الذي هو أهم حادث في تاريخ الحرية العربية في الاسلام وكيف لا يكون كذلك وهو يمثل نتائج الحرية والعدل في صورة من الكمال تنزل لها أقدم الظلم وتخضع امامها قوى الكون البشرى الهابطة من أعلى عليين والصاعدة من أسفل سافلين ألا وهي الطاعة للرئيس والخضوع للقانون الحرية فضيلة معناها تخلص الانسان من الاسر وتخلصه من ضيق الحجر وجواز تصرفه في كل حق من حقوق الانسانية التي سوغها العقل وقضت بها أصول الاجتماع والتعاون بحيث يكون الانسان مالكا لارادته لا بهيمة تتحرك بارادة سواه مالكا لثمره عمله لاحق لا خربح مانه منها مالكا لأمنه لا سلطان لا خرف في سلبه منه ومتى فقد الشخص واحدة من هذه الثلاث سلب منه معنى الحرية وصار كالحيوان يتعب لياكل سواه ويشقى ليسعد غيره ويسعى ليموت هو ويحيا من عداه ربما يتوهم ان الحرية بهذا المعنى هي الانطلاق عن كل قيد مادام ليس لارادة النفس على ما يعلم من حالها من قيد وليس الامر كذلك اذ كان التفريط بالحرية طرف للردية كذلك الافراط فيها ايضا وفي كلا الطرفين رجوع للبهيمية

وفقدت فضيلة الحرية وانما هناك وسط ترجع اليه وقيد تتميد به بل قيدان وهما
 القيد النفسي والقيد الخارجي فاما القيد النفسي فهو إما الزجر الديني وإما الفضيلة
 الذاتية والقيد الخارجي هو الوازع وليس في كلا القيدين معنى للعبودية أو منع
 للحرية وانما هو إمساك للنفس عن الاندفاع مع تيار الهوى والشهوة الذي يلحق
 الانسان بالبهائم في مطاوعة الارادة للزجر النفسي مطاوعة للفضيلة ووقوف
 عند حد الانسانية وفي مطاوعتها للوازع مطاوعة للشرع وخضوع للقانون
 الانسان ميال بطبعه للسعادة اذا ارشدها وحث عليها والشرائع انما هي
 شرعة السعادة البشرية وقوام الحياة الاجتماعية فالوازع الذي يزرع الناس
 بالشرعية لا يحاول بما يزرع به قهر النفوس ولا حرجاً على الارادة بل يماشى الارادة
 ويساعد النفوس على نيل السعادة لهذا فطاعة الوازع من مستلزمات السعادة لا
 يابأها العقل ولا يهضمها حق من حقوق الحرية مادامت طاعته يراد بها طاعة
 القانون الذي هو أصل في السعادة لا طاعة الوازع نفسه من حيث كونه أمراً
 بهواه وشهوته لا مأموراً من القانون ومهيمناً عليه

اذا تقرر هذا فاعلم ان الأمة العربية كانت في جاهليتها على جانب من
 الاغراق في الحرية يكاد يكون إفراطاً فيها كما يعلم ذلك كل مطلع على تاريخ هذه
 الأمة لان حب الحرية خلق تأصل في نفوسها منذ نشأت في فضاء البوادي المتسع
 مطلقة عن كل حجر . ومن هذا الافراط نشأ ما يسمونه العصية ذلك لانهم كانوا
 أشباتاً في التجزؤ إلى بطون وقبائل لا تجمعهم جامعة الجنس وليس ثمة وازع يضمنهم
 إلى كلمة واحدة فكانوا يفرعون عند الحاجة إلى العصية بان تتحد العشيرة الواحدة
 ضد الأخرى دفاعاً عن الحوزة وصد الغارذ أو جلب المغنم ومع ما في هذا الامر من
 ضعف النظام الاجتماعي وفقد الرابطة القانونية فانهم كانوا به ولعين وعليه

حريصين لانه نتيجة مغالاتهم في الحرية وجوبهم للانطلاق عن كل قيد. ولما جاء
 الاسلام ببيانه وبسط عليهم جناح حنانه وجمعهم على كلمته وضم شيتهم الى رايته
 كان من مبادئه الاولى في النصح والارشاد تحذيرهم من التفرق وتعليمهم
 لأصول الطاعة وأمرهم بالخضوع الى الوازع ليكونوا ايداً واحدة وقوة واحدة
 ومن ذلك قوله تعالى في الكتاب الكريم «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
 الامر منكم» وانما أرادهم على الطاعة لأولي الامر لانها طاعة للشرع الذي فيه
 سعادتهم بردم في الحرية الى حد الوسط بلاشطط عليهم في التقيد ولا ارسال
 لهم منه ولا حمل لهم على طاعة الوازع لنفسه بل لمايزعهم به من الشرع العادل
 يدلك على هذا قول أول خليفة في الاسلام وهو أبو بكر (رض) في احدى خطبه
 التي مر ذكرها في الجزء الأول «أطيعوني ما أطعت الله (في تنفيذ أوامره) فيكم
 فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم» وقول الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) أعينوني
 على نفسي بالامر بالمعروف وإحضاري النصيحة وأعينوني على أنفسكم بالطاعة
 وقوله أنه لم يبلغ حق ذي حق «يعني نفسه» أن يطاع في معصية الله وكثير من
 أمثال هذا الكلام مما مر في باب خطبه وغيرها من هذا الكتاب واذ كانت
 البداوة أصلاً في سلامة الفطرة وقبولها للخير وقد رأى القوم ان هناك نظاماً
 يضم أشتمات الافكار الى وجهة واحدة ويقوم بحراسة الحقوق قياماً يعني عن
 العصبية مع استبقاء ما للنوه من الاصول الديموقراطية في حالتهم الاجتماعية لم
 تأنف نفوسهم السامية من مثل تلك الطاعة وخضعوا للحكم الاسلام واجتمعوا
 على الرضى بسيادة الخلفاء ومن ثم تعلم ان دولة المسلمين في عهد الخلفاء
 الراشدين كان قيامها بالقانون لا بالقوة وحياتها بالشرعية لا بالسيف وبعبارة
 اوضح انها كانت دولة قانونية تستند الى الشرع الالهي لتقوم لدولة عسكرية

تستند الى القوة الجبرية لتسقط وتحل وشتان بين دولة تستند الى القانون الذي هو سيف لا يفل حده وبين دولة تستند على قوة القهر التي لا تلبث أن تبي أو تنحل وتهوي بالدولة الى حضيض الاضمحلال واما جلها بالانحلال لما عدت الامة العربية يومئذ ان الطاعة على ذلك الوجه ركن من أركان الحرية لا سبب لسلبها منهم وان ليس فيها سلب لارادتهم ولا قهر لنفوسهم ولا حيف عليهم ولا هضم لحقوقهم وان ليس للوازع فوق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر يراد به الاضططاط عليهم والاستئثار بالامر دونهم راضت لا ولياء الامر نفوسهم العاتية ولانت اخلاقهم الجافية فالتواطاعتهم في الحق ومعاونتهم على المعروف واليالك الدليل

خالد بن الوليد من سادات قريش وابن عم عمر بن الخطاب وفي مرتبته في الشرف الذي انتهى الى الرهط من قريش فوصله في الاسلام كما رأيت في صدر الجزء الاول من هذا الكتاب وخلا هذا فانه كان محبوباً من المسلمين كبير الجاه عند الناس له من قلوب الجندمكانة ليست لسواه اذا امر طاعوا واذا أشار قبلوا جاءه أمر أمير المؤمنين بالشخوص الى حيث يقيم أبو عبيدة فامتل وسئل فتردد وهابه أبو عبيدة وهو ابن عمه وأميره أن يأمر فيه بأمر الخليفة فقام اليه مولى (عبد) من مولى رسول الله (صل) فنزع عمامته عن رأسه وعقله بها وسأله ما سأله حتى أجاب فأعاده قلنسوته الى رأسه وعممه بيده وقال نسمع ونطيع لولا تنا (يعني عمر) ونفخهم موالينا^(١) « يعني خالداً » هذا كله على ملا الناس ومشهد من عامة المسلمين فما الذي أسكت مثل هذا الامير الجليل في مثل هذا الموقف فلم ينتصر لنفسه ولم ينصره أحد من المسلمين هذا على ما عرف به من علو النفس

(١) المولى يطلق على السيد وعلى العبد

وياء الضيم

أسكته أمران الأول علمه أنه لا يطاوع بسكوته وخضوعه هوى أمير المؤمنين بل يطاوع وجدانه ويطيع قانونه ودينه والامر الثاني علمه بأنه فيما صنع غير مسلوب الارادة بقوة عمر (رض) ولا مغلوب له على أمره بل هو حر في أن يناقشه الحساب ويسأله عن سبب ما صنع ويتصف لنفسه منه اذا اشتط عليه او جار وقد كان ذلك كما رأيت وأنصفه عمر (رض) ولو لأن يعلم خالد أن له سلطاناً في نفسه يناقش به عمر واردة لا يغلبه عليها الا الحق لاستحال على عمر ان يعامل مثله بتلك الشدة لما يعرفه في القوم من حب الحرية واستقلال الارادة وعزة النفوس وحسبك دليلاً على هذا ان أمير المؤمنين عمر (رض) لم يسعه بعد أن عامل خالداً بتلك المعاملة الا ان يعتذر عما صنع للناس ويجهر بالسبب على ملا المسلمين دفعا للشبه الضمائر وإعلانا لسلامة حريتهم من مساس القوة والحجر وذلك انه قام يوماً فخطب فيهم خطبة في شأن العطاء : رواها ابن الجوزي في المناقب : قال في آخرها

واني اعتذر اليكم من خالد بن الوليد فاني أمرته أن يجبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاد البأس وذالشرف وذاللسان فزعته وأمرت أبا عبيدة بن الجراح

فقام أبو عمرو بن حفص بن المغيرة (بن عم خالد) فقال والله ما اعتذرت يا عمر ولقد نزعت عاملاً استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتمدت سيفاً سألته رسول الله « صل » ووضعت أمراً نصبه رسول الله « صل » وقطعت رحماً وحسدت بن العم

فقال عمر (رض) أنك قريب القرابة حديث السن مغضب في ابن عمك .

ثم نزل ولم يزد على ان رده عليه ردًا جميلاً

وهذا نهاية ما يقال في اطلاق الحرية للرعية يناقشون بها عن أنفسهم ويكونون الايدي عن حقرتهم ومع وصول العرب الى هذا الحد من الجرأة في الرد على مثل عمر بن الخطاب ومناقشته الحساب فانهم كانوا أطوع له من بنائه لعلمهم بانهم انما يطيعون بطاعته الله والرسول في الشرع الذي كان عمر منذ ان لا مهمنا عليه ولو كانت الحكومة مثة حكومة عسكرية لكان خالد اول من لجأ الى القوة وضرب بجيوشه وجه الدولة وناصب خليفة المسلمين العداوة وتوثب على الخلافة ومعاذ الله ان يحدث خالد نفسه بشيء من ذلك مادام لأمر يومئذ للقوة وإنما كان الأمر الناهي عند سائر المسلمين هو الشرع والوجدان لا القوة ولا الرئاسة ولقد بلغ بفريق من المسلمين في دولة الخلفاء الراشدين غلوهم في الخضوع للوجدان والشرع دون الوازع وهم الحزورية وغيرهم من فرق الخوارج ان قالوا العلي رضي الله عنه *قلهم المشهور* « لا حكم الا لله » وتعالوا في هذا القول حتى أنكروا لزوم الخلافة وسفكوا دماء آلاف من الناس في سبيل تأييد معتقدهم الشاذ حتى أفضى الأمر الى فناءهم كما استرى بعد

اذ تمهد هذا علمنا ان حكومة الخلفاء الراشدين قامت على دعامة الشريعة لا القوة وكانت حكومة دستورية لا عسكرية وان الحرية لازم من لوازم الطاعة وسبب متين يتوصل به الى السعادة وشد عرى الصلة والاتفاق بين الحاكم والمحكوم لهذا كانت دولة الخلفاء الراشدين من أعظم الدول قياماً على الحق والحرية والعدل وبلغ المسلمون على عهدهما مبلغاً من القوة والغنى وقهر الأمم وقل جيوش الدول ما عهد مثله في تاريخ دولة قبلهم ولا بعدهم قط ومذ اختلط العرب بالاعاجم وابدعروا في أطراف البلاد وتفرقوا على قلوبهم في الممالك وضعفت

عصيتهم عن مقاومة أعداء الحرية من المتوثبين على الخلافة والدخلاء في دولتهم
من الأمم الأخرى الذين ألفوا الاستعباد وفقدوا على حب الاستبداد انحطت
دول الاسلام عن مقامها وأخذت بالتقهقر في سيرها وانقطعت صلة الاتفاق بينها
وبين رعيتهما فأصبحت ورعيتهما على طرفي نقيض تريدن على الخضوع لهوى
الامراء وشهواتهم ويريدن منها على العدل والاستقامة وتباع الشرع والقانون وهذا
خطب عظيم اذا طال أمره والعياذ بالله في أمة دمرها تدميراً اذا لا يزال يضرب
الامراء عقلاءها بمجملاتها وفضلاءها بسننها حتى يفنى الفريقان كما فنىت أمة
الرومان واليونان وعرب المسلمين هذا اذا بقى الاستبداد لافراد الأمة أفقده
تهوي الى الحرية ونفوساً تطلب النزوع الى الحياة الطيبة والرقى الى مرتبة
الانسانية وأما اذا بلغ الاستبداد من عامة الأمة مبلغه فأصابها الفالج العام الذي
يصيب الأمم في أواخر عهدها فيذهب بقواها ويميت أعضائها عن الحركة
وعقولها عن الادراك فدمارها يكون بيد غيرها لا يدها والمآل الى هذا أشنع
والموت بيد المتغلبين أظنع وحسبك دليلاً على هذا ما يقاسيه المسلمون من
ضروب القهر والشقاء من بعض الدول الاوربية التي آل اليها ذلك السبب ملك
المسلمين وتسلطت على أقوام كثيرين منهم ولو كان ثمة قوم لهم قلوب يفقهون بها
وآذان يسمعون بها فاذا ذكر وايدكرون لما خنعوا لهذا الاستعباد وكانوا أنداد
الأمم الاوربية في مضمار المنافسة الحيوية ولكن يا حرقة القوادق ومنا في وادٍ
والغريون في وادٍ

(حضه الناس على الكسب)

الانسان مدني بالطبع يتعاون على العمل ويتبادل مع أخيه العوض والعوض
انما هو ثمرة العمل فكل يعمل للآخر ليبادل العوض ورب صنعة يتعاون عليها جمع

من الناس كل فرد منهم يشتغل بفرع منها فاذا ترك أحدهم نصيبه من العمل بذلك الفرع خسر الكل لهذا كان أس الحياة الاجتماعية العمل وأصلها الكسب وليس في الوجود شرع ينهى عن الكسب بل كل الشرائع تأمر به ولو مع الرفق في الطلب والاسلام من الشرائع التي حثت السعي للرزق وأمرت بالكسب الا انه أمر بالرفق في الطلب والتوكل على الله مع السعي ليكون الرجا بالكسب أقوى والقناعة لجرثومة اليأس أقطع والعزيمة على السعي أمضى واذا كان عمر رضي الله عنه أعلم الصحابة بالدين وأيقظهم فيه وخشي أن يلبس نفوس العامة شي من ظواهر الآيات التي أمرت بالتوكل والقصد ورأى بعضهم حمل معنى التوكل على محمل الزهد وترك السعي جعل دأبه حض الناس على السعي وحثهم على العمل والكسب ومن ذلك ما جاء في كثر المال عن معاوية بن قرة قال: لقي عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن فقال ما أنتم فقالوا متوكلون: فقال كذبتم ما أنتم متوكلون انما المتوكل رجل ألقى حبه في الارض وتوكل على الله وفي المناقب لابي الفرج بن الجوزي عن محمد بن سيرين عن أبيه قال شهدت مع عمر بن الخطاب المغرب فأتى علي ومعي رزيمة لي فقال ما هذا معك فقلت رزيمة لي أقوم في هذا السوق فاشترى وأبيع فقال يا معشر قريش لا يغلبنكم هذا وأشباهه على التجارة فانها لث الامارة

وفيه عن حوالب التيمي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا معشر القراء ارفعوا رؤسكم فقد وضع الطريقوا استبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين وفيه عن الحسن قال: قال عمر رضي الله عنه من تجر في شي ثلاث مرات فلم يصب فيه شيئاً فليتحول الى غيره

وفيه عن الأكيذر العارض قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنة

وفي كثر العمال عن عمر قال : لولا هذه البيوع صرتم عالة على الناس

وفي المناقب عن بكر بن عبد الله قال : قال عمر م كسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس

وفيه عن ذكوان قال : قال عمر إذا اشتري أحدكم جملاً فليشتره عظيمًا سمينًا فان أخطأه خير لم يخطئه سوقه

وفيه عن محمد بن عاصم قال : بلغني أن عمر بن الخطاب كان إذا رأى فتى فأعجبه حاله سأل عنه هل له حرفة فان قيل لا سقط من عينه

وفي العقد : قال عمر بن الخطاب لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وإن الله تعالى أنما يرزق الناس بعضهم من بعض ونلا قول الله جلّ وعلا (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)

وفيه : قال عمر بن الخطاب يامعشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس

وفيه قال عمر بن الخطاب حسب الرجل ماله وكرمه دينه ومروءته خلقه

﴿ نهي عن التنطع ﴾

(وتحذيره من الابتداع)

الاسلام دين اليسر ودين الفطرة يأمر بالاعتدال في كل الاعمال حتى العبادة وينهى عن التنطع الناشئ عن التوسع والابتداع ولم يكن العرب على صلابتهم في الدين يعرفون هذا التنطع الذي ابتدعه الاعاجم بعد لدم توسعهم في

التأويل ووقوفهم عند ظاهر الشرع لهذا لما انتشر الاسلام في أنحاء الارض وعم
سائر الشعوب في دولة الخلفاء الامويين والعباسيين وأكثر الاعاجم من
الابتداع وغالوا بالتنطع والتشدد بما ليس من الدين كان يعيهم العرب على ذلك
ويهزأون بهم ويتباعدون عن بدعهم فقد ذكر ابن عبدربه في المقدم الفرید عن
الاصمعي قال . قدم أبو مهيدي الاعرابي من البادية فقال له رجل يا أبا مهيدي
أتوضئون بالبادية قال والله يا ابن أخي لقد كنا توضحاً فكفينا التوضئة الواحدة
ثلاثة أيام والاربعة حتى دخلت علينا هذه الحمراء (وهي الموالي من الاعاجم)
فجعلت تليق استأها بالماء كما تلاق الدواة

وانما أراد بقوله فكفينا التوضئة الواحدة الخ الاغراق بالتهكم على تنطع
الاعاجم لانهم (أي العرب) كانوا حقيقة يفعلون ذلك بالوضوء معاذ الله أن
يكونوا في هذه المرتبة من التهاون بالفرائض وهم أبناء أولئك الذين نشروا هذا
الدين وعلى عهدهم أنزل القرآن . ومن هذا تعلم ان التنطع أمر لا يريد به الدين وانما
كان منشؤه الابتداع والتوسع ومن هذا القبيل توسعهم في حديث السواك وهو
(لولا ان أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك) ومع ان الحديث يتضمن التذب
والاستحباب فقد كاد بعضهم ينزله منزلة الواجب وكتبوا فصولاً وأبواباً
مخصوصة في فوائده واستعماله وحمله الى آخر ما قالوه في شأنه مما لم يكن منشؤه الا
التنطع حتى فيما ليس من الدين

كان من الصحابة نفر ولعوا بالعبادة وانقطعوا الى التجهد لكن بما لا يخرج
عما جاء به الكتاب ورأوه من نبيهم عليه الصلاة والسلام نخشي عمر أن يسري الى
العامية حب الانقطاع الى العبادة والتنطع في الدين فينشأ عن ذلك تطيل لوظائف
الاجتماع الدنيوية وتوسع في التأويل وتجرو على الابتداع فجعل ينهى الناس عن

التنطع ويحذرهم من الابتداع ومن نهيه عن التنطع ما أخرجه أبو الفرج بن الجوزي عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال . نظر عمر الى شاب قد نكس رأسه فقال له يا هذا ارفع رأسك فان الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه فانما أظهر للناس نفاقاً على نفاق

وأخرج عن أبي عمر والشيباني قال . خبر عمر بن الخطاب برجل يصوم الدهر فجعل يضر به بمخفته وجعل يقول كل يادهر كل يادهر

وعن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال عجلوا الفطر ولا تنطعوا تنطع

أهل العراق

وعنه عن أبيه قال كنت جالساً عند عمر (رض) اذ جاءه راكب من أهل الشام فظفق يسأله عن حالهم فقال . هل تعجل أهل الشام الافطار . قال نعم . قال ان يزوالوا بخير ما فعلوا اذلك ولم ينتظروا النجوم انتظروا أهل العراق

وعن محمد بن سيرين ان عمر بن الخطاب خرج من الخلاء يقرأ القرآن فقال له أبو مريم بأمر المؤمنين أقرأ القرآن وانت غير طاهر . فقال له . مسلة (هكذا) أمرك بهذا

وأما تحذيره من الابتداع فقد أخرج الامام أبو الفرج أيضاً عن عابس بن ربيعة قال . رأيت عمر نظر الى الحجر فقال . أما والله لو لاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله

وعن عبد الله بن سرجيس قال . كان الاصلع (يعني عمر) اذا استلم الحجر قال : اني لا علم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك

وعن نافع قال : كان الناس يأتون الشجرة التي يابح رسول الله صلى الله عليه

وسلم تحتهايعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت : وهذا الاثر يوافق ما قدمناه في فصل (لاوثنية في الاسلام)
وليت عمر يأتي في هذا العصر بدرته وسيفه وينظر الى مصير صار اليه المسلمون من تقديس الاحجار والاشجار واذا كانت تلك شجرة واحدة وبويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندنا الآن عدد لا يحصى من الاشجار كالجميز في مصر والميس والزيتون في الشام وهي من الاشجار التي كانت تعتبر مقدسة عند الوثنيين القدماء فقدس عوام المسلمين بعضها بحجة ان هذا دفن تحتها فلان الصالح وتلك لمسها فلان الشيخ الى غير ذلك من الاعذار التي ينتحلونها بعقولهم القاصرة عن مرتبة التوحيد التي وضع الله فيها مثل أبي بكر وعمر فان الله وإنا اليه راجعون وأخرج عن عمر وبن ميمون عن أبيه قال : أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل فقال : يا امير المؤمنين انما لفتحننا المدائن أصبت كتابا فيه كلام معجب : قال أمن كتاب الله : قل لا ندعها بالدرة فجعل يضربه بها ويقول (الر تلك آيات الكتاب المبين انما أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) الى قوله تعالى : وان كنت من قبله لمن الغافلين : ثم قال انما أهلك من كان قبلكم انهم أقبلوا على كتب علمائهم وأسأفتهم وتركوا التوراة والانجيل حتى درسا وذهب ما فيهما من العلم اه

(ادبه وتأديبه)

(أدبه مع رسول الله)

تقدم معنا في باب صحبته كلام على أدبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه له وقيامه دائما بين يديه يغني عن الاسهاب في هذا الباب وحسبه أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تفانيه في حبه تفانيا اذهله عن حقيقة موته فقال في ذلك اليوم (من قول إن محمد أقدمت علوت رأسه بسيفي هذا) والقصة طويلة مر معنا في

هذا الكتاب مخصصها

أبوم مع نفسه

عن أنس قال دخلت حائطا (بستانا) فسمعت عمر يقول ويبنى ويبنه جدار:
عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ بخ والله لتتقين الله ابن الخطاب أولي عهد بنك الله
وقال السيوطي قال عبد الرحمن بن عامر بن ربيعة رأيت عمر أخذت بنة من
الارض فقال ياليتني كنت هذه التبنة ياليتني لم أك شيئا لمت أمي لم تلدني : وعن
سفيان بن عيينة قال : قال عمر بن الخطاب أحب الناس الي من رفع الي عيوبي .
وأخرج الطبري عن سلمان أن عمر قال له أملك أنا أم خليفة فقال له سلمان إن جيت
من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير
خليفة فبكي عمر : ولشد ما كان وأبو بكر يهربان من صفات الملوك ويقومان
بحقوق الخلافة خوف الاتسام بسمة الملوك الجبارين التي بأباها الاسلام وتنتهي
عنها شريعة محمد عليه الصلاة والسلام

(تأديبه لنفسه)

كان عمر رضي الله عنه شديدا على الناس سريع العقوبة يتناول المسيء بالدرة
التي قيل فيها « لدرة عمر أهيب من سيف فكم » ومع هذا فقد كان سريع الانابة
رقيق القلب لا يلبث أن يعاقب حتى يندم لطهاره وجدانه وسلامة قصده
أخرج الحافظ عز الدين الجزري في أسد الغابة عن أبي غنيمية يحيى بن عبد
الملك بن سلامة بن صبيح التميمي قال : قال الأحنف بن قيس : كنت مع عمر
ابن الخطاب فلقية رجلا فقال يا أمير المؤمنين انطلق معي فاعذني على فلان فإنه قد
ظلمني فرفع عمر الدرّة فخفق بهارأسه : فقال : تدعون أمير المؤمنين وهو معرض
لكم حتى إذا شغل في أمر من أمور المسلمين أتيتموه اعذني اعذني : قال فانصرف

الرجل وهو يتدمر قال « اي عمر » عليّ الرجل « اي ردوه عليّ » فألقى اليه الخفقة. وقال امثّل « اي اقتص بمثل الضربة » فقال لا والله ولكن ادعها لله ولك : قال ليس هكذا ما ان تدعها لله ارادة ما عنده او تدعها لي فاعلم ذلك : قال ادعها لله : قال « اي الاحنف » فانصرف ثم جاء يمشي حتى دخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين وجلس فقال « يخاطب نفسه » يا ابن الخطاب كنت وضعياً فرفعك الله وكنت ضالاً فهداك الله وكنت ذليلاً فأعزك الله ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضربتته ما تقول لرّبك غداً اذا أتيته : قال فجعل يعاتب نفسه في ذلك معاتباً حتى ظننا انه خير أهل الارض

وأخرج ابن جرير في تاريخه عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : مرّ عمر بن الخطاب « رض » في السوق ومعه الدرّة فخفقتي بها خفقةً فاصاب طرف ثوبي فقال أميط عن الطريق فلما كان في العام المقبل لقيني فقال . يا سلمة تريد الحج . فقلت نعم فأخذ بيدي فانطلق بي الى منزله فاعطاني ستمائة درهم وقال استعن بها على حجك واعلم انها بالحقيقة التي خفقتك . قلت يا أمير المؤمنين ما ذكرتها قال وانا ما نسيتها :

هذه هي الفضيلة وذلك هو الوجدان الحساس الذي جعل ذلك الخليفة العظيم يطلب العفو من شخص عن خفقة أصابت ثوبه لم يقصد بها أذاه وإنما قصد تنبيهه الى كشف الاذى عن طريق الناس والله أعلم بما عانى من القلق ريثما آن أو ان الحج ووجد سبيلاً لا استرضاء ذلك المسلم عنه وطلب الصّبح منه مع انه خليفة المسلمين الذي أئيط به العقاب فعاقب بمعروف ولم يتجاوز في مس طرف الثوب بدّرتة حد التنبيه الي إماطة الضرر عن الطريق فاین هذا الانصاف والرحمة من جبروت خلفاء والسلاطين الذين بسطوا يد القوّة بعد على الناس وتحكموا فيهم

تحكم المالك في العبيد لارحمته تشفع ولا جاه ينفع ولا فضيلة تمنع : وسيعلم الذين ظلموا
أي منقلب يتقلبون

(تأديبه للمسلمين)

بلغ رافة عمر بالمسلمين وحملهم على الطريق الواضحة وتأديبهم بأداب النبوة
ان كان إذا اراد تنبيههم الى أمر نافع وصر فهم عن أمر ضار يتقدم الى أهله بذلك
التنبيه ليكونوا قدوة للناس وأسود المسلمين في التأديب ومن ذلك ما أخرجه ابن
جرير في تاريخه عن سالم وابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر قال كان عمر إذا صعد
المذبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله فقال : اني نهيت الناس عن كذا وكذا وان
الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله الا
اضعت عليه العقوبة لمكانه مني

ورؤي عن عكرمة بن خالد قال دخل ابن عمر بن الخطاب عليه وقد ترجل
ولبت ثياباً أحسن فأضربه عمر بالدرة حتى أبكاه فقالت له حفصة لم ضربته قال رأيت
قد أعجبتة نفسه فأحببت ان أصغرها اليه

ومن أخباره في التأديب التي تدل على عظيم رحمته وحنانه وشدة عقوبته
لغلاظ القلوب ما جاء في كثر العمال عن أبي عثمان النهدي قال : استعمل عمر بن
الخطاب رجلاً من بني أسد على عمل فجاء يأخذه فده فأتى عمر ببعض ولده فقبله .
فقال الاسدي : أتقبل هذا يا أمير المؤمنين والله ما قبلت ولداً قط : قال عمر
فانت والله بالناس أقل رحمة هات عهدنا لا تعمل لي عملاً أبداً : فرد عهده

جوزي هذا العامل بالعزل والابعاد بتأعن العمل « التوظف » لكامة
قالها لعمر (رض) أحسن منها عمر بغلظة فؤاده فخشي ان هو عهد اليه بالعمل ان
يكون فظا غليظ القلب على الرعية فعزله : فهل كان الامراء والسلاطين من بعده

بصر يبصرون به أو سمع يسمعون به فيعلموا أن عمر بن الخطاب الذي أُرهب
أبناء الحريّة وصناديد العرب وسادات قريش واستخضع لحكمه الفرس والروم
الصابئة منهم وأهل الكتاب فكانوا كلهم بالسمع والطاعة له سواء انما ساسهم
بمثل هذه السياسة وكان بهم رؤفاً كرافة الوالد بالبنين وعليهم عدوفاً كعطف
المرضع على الطفل

أجل كان منهم من علم ذلك وعمل به وهم الخيرة الطيبون الذين ساسوا
وعمر ووجاء غيرهم فخرّبوا ودمروا فكانوا صواعق من العذاب انقضت على
المسلمين فقضت على ماشيده غيرهم بالدمار وشوشت نظام الملك وقتلت العقول
وجردت سيوف الاستبداد على الأمة فأعدمتها رشدها وأفسدت أخلاقها
وذهبت بعلومها وطأمنت من اشرفها وأفقدتها عنزها وشممها فأذلتها ذلاً لها نحن
اولاء نشاهد نتأجه الآن بالعيان حيث نظم ونهاز من كل انسان وليس فينا روح
تدب ولا نائم يهب بل كذّاموات يحسبنا العالم المتمدن من الرفات قلوبنا متفرقة
وأهواؤنا شتى ونفوسنا خادمة إلا عن السفساف وخطانا قصيرة الاعن أما كن
الفساد وشأننا كله شأن من رضي بالذل والنعس في الجهل واستسلم للقضاء حتى
ساعة الفناء قلت

ومن ينم عن شؤونِ كلِّها خطر فليس يخطئ من ينعيه للناس
ومن تأديبه لا شراف قريش وقهره لئفوسهم مع ماعرفوا به من الكبرياء
والسيادة مارواه ابن الجوزي عن الحسن قال حضر باب عمر (رض) سهيل بن
عمر بن الحرث بن هشام وأبوسفيان بن حرب في نفر من قريش من تلك
الرؤوس وصهيب وبلال وتلك الموالى الذين شهدوا بدرًا فخرج اذن عمر فاذن
لهم (أى للموالى) وترك أولئك . فقال أبو سفيان لما أَرَّ كالיום قط يأذن

لهؤلاء البديد ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينا: فقال سهيل بن عمرو وكان رجلاً عاقلاً
 أيها القوم اني والله أرى الذي في وجوهكم ان كنتم غضاباً فأغضبوا على أنفسكم
 دُعي القوم ودُعيتم فأسرعوا وأبطأتم فكيف بكم إذا دعوا على أنفسكم يوم القيامة
 وتركم: وكان هذا شأنه رضي الله عنه مع كبار قريش الذين تأخر إسلامهم
 إلى ما بعد الفتح أخرج أبو الفرج أيضاً عن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي حاطب عن
 أبيه قال قدمنا مكة فاقبل أهل مكة ليعنون . يأمر المؤمنين أبو سفيان حبس
 مسيل الماء علينا ليهدم منازلنا فقبل عمر ومعه الدرّة فاذا أبو سفيان قد نصب
 أحجاراً فقال ارفع هذا فرفعه ثم قال وهذا وهذا حتى رفع أحجاراً كثيرة خمسة
 أوسنة ثم استقبل عمر الكعبة فقال الحمد لله الذي جعل عمر يأمر أبا سفيان
 ببطن مكة فيطيعه: ومن علم ماهي سلطة أبي سفيان بمكة وكيف كان يحكم قريش
 في رقاب الناس علم فضل الإسلام في تأسيسه قاعدة لمساواة وعدله بين الناس
 ومحوه آثار التفاضل بالانساب؟ ومن أخباره في التأديب ما نقله في العقد
 الفريد ان عمر (رض) قال لرجل من سيد قومك: قال انا: قال كذبت لو
 كنت كذلك لم تقله

﴿ أدبه مع المسلمين وتواضعه لهم ﴾

إذا أردت ان تعلم أدب الرجال العظام الذين رفع الله نفوسهم لآل الكبرياء
 وسودهم على الأمم لا بالخطرة والتجبر وحبهم إلى الناس لا بالخيلاء فاسمع
 ما أخرجه الطبري في تاريخه عن الحسن قال: قال عمر إذا كنت في منزلة تسعني
 وتعجز الناس فوالله ماتلك لي بمنزلة حتى أكون أسوة للناس
 هذا الخليفة العظيم الذي دوخ ملك فارس والروم وأرهبت سطوته الأمم

وامتد ظل سلطانه الى حدود الهند شرقا وأفريقيا الشمالية غربا ومنحه الله هذا الملك العريض والسلطان العظيم لا يرضى لنفسه منزلة فوق منزلة الناس حتى من أدنى رعاياه أن هذا هو العدل الذي ليس فوقه عدل ولا جرم فبمثل ذلك عظم قدره وشاع ذكره وملا الأذهان خبره حتى عدّه المؤرخون من أعظم رجال الاسلام وحتى انما لئن فخر به على ملوك الارض فرضى الله عنه وأرضاه ومن تواضعه ما أخرجه الطبري عن ابن أبي سليمان عن أبيه : قال قدمت المدينة فدخلت داراً من دورها فاذا عمر بن الخطاب (رض) عليه ازار قطري يدهن ابل الصدقة بالقطران

وأخرج عن زهير بن سالم أن كعب الاحبار قال : نزلت على رجل يقال له مالك وكان جاراً لعمر بن الخطاب فقلت له كيف بالدخول على أمير المؤمنين : فقال ليس عليه باب ولا حجاب يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه الناس وفي المناقب عن الحسن (رض) قال كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام في شيء فقال له الرجل اتق الله فقال رجل من القوم اتقوا لا أمير المؤمنين اتق الله فقال له عمر دعه فليقلها لي نعم ما قال لا خير فيكم اذ لم تقولوها ولا خير فينا اذ لم تقبلها

وليس قول عمر هذا من قبيل التواضع فقط بل هو من قبيل العلم بوجوب النصيحة على المسلمين وبوجوب انتصاح الامام منهم ورضاه بنصحهم وتذكيرهم له بالتقوى والعدل وذكر أرباب السيران عمر (رض) كان أيام القادسية شديد التطلع الى أخبار جيوش المسلمين كثير الاهتمام بأمرهم فكان يخرج كل يوم خارج المدينة يترقب الاخبار ويتنسمها ثم يرجع الى أهله فلما لقيه البشير سأله من أين فاخبره فقال يا عبد الله حدثني قال هنرم الله العدو : وعمر يخب معه

وليس تخبره والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه حتى دخل المدينة فاذا الناس
يسلمون عليه بامرأة المؤمنين فقال الرجل : فهلا أخبرتي رحمتك الله انك أمير
المؤمنين وجعل عمر يقول لا عليك يا أخي

وذكر وان عمر لما قدم الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره وخلع
نعليه فامسكهما بيده فخاض الماء ومعه بعيره فقال له أبو عبيدة (رض) قد صنعت
صنيعاً عظيماً عند أهل الارض (يعني أهل الشام) فصك عمر في صدره وقال أو اه
لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة انكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس
فأعزكم الله بالاسلام فهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله

وروى الطبري ان عمر لما قدم الشام في أيام الطاعون اتخذ أيلة طريقاً
حتى اذا دامها تنجى عن الطريق واتبعه غلامه فنزل فبال ثم عاد فركب بعير
غلامه وعلى رحله فرو ومقلوب وأعطى غلامه مركبه فلما تلقاه أوائل الناس
قالوا أين أمير المؤمنين : قال أمامكم يعني نفسه وذهبوا هم الى أمامهم فجازوه
حتى انتهى هو الى أيلة فنزلها وقيل للمتقين قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها
فرجعوا اليه (وذلك لانه لما قال لهم أمامكم : وعنى نفسه لم يعرفوه وظنوا انه
يشير الى ان الامير غيره وقد تقدمه الى الامام)

وروى عن مولى عثمان بن عفان (رض) قال كنت رديفاً لعثمان بن عفان
حتى أتى على حظيرة الصدقة في يوم شديد الحر شديد السموم فاذا رجل عليه ازار
ورداء قد لف رأسه برداء يطرد الابل يدخلها الحظيرة حظيرة ابل الصدقة فقال
عثمان من ترى هذا قال فانهينا اليه فاذا هو عمر بن الخطاب : فقال هذا والله
القوي الامين

وفي كنز العمال عن الفضل بن عميرة ان الاحنف بن قيس قدم على عمر بن

الخطاب في وفد من العراق قدموا عليه في يوم صائف شديد الحر وهو محتجز^(١) بعباءة يهنا^(٢) بميرآمن إبل الصدقة فقال يا أحنف ضع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة فيه حق اليتيم والارملة والمسكين فقال رجل يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبدآمن عبيد الصدقة يكفيك هذا : فقال عمر : يا ابن فلانة وأى عبده هو أعبدهني ومن الأحنف هذا انه من ولي أمر المسلمين فهو عبء للمسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيدده من النصيحة وأداء الامانة في المداراة .

تالله ان هذا الخلق يعلو بصاحبه عن وصف الواصفين ومرتبة لا يبلغها أحد من الخلق والسلاطين ومن يعد نفسه عبداً للرعية اذا ملكها وخادماً لها اذا أمرته عليها ويقوم على خدمتها قيام التابع على خدمة المتبوع في جزئيات أمورها وكليات سياستها الجدير به ان يقال هذا ملك كريم لا ملك عظيم وحقيق بمثله الافتخار وعليه البكاء والى مثله الحنين ولا مثل لعمر جباراً على الظالمين رحيماً بالمستضعفين قوياً على الحق كريم على الناس باراً بالرعية يتعب لتسريح ويسهر لتنام ويجوع لتشبع ويفتقر لتستغنى فنسأل الله له الرحمة والرضوان كما نسأله لانفسنا العافية من الظلم والسلامة من عاقبة الجوران محجب السؤال

﴿التهمام بأمر الرعية﴾

(وعسسه بالليل)

كان عمر رضي الله عنه من حرصه على راحة الرعية يتفقد هم بنفسه ويهتم بشؤونهم أكثر من اهتمامه بشؤون بيته وبلغ ذلك به ان كان لا ينام عنهم بالليل كما

كان لا يقفل عنهم ساعة من نهار فليله ونهاره في خدمة الرعية سواء اذ كان اكثر لياليه يعس بالمدينة بنفسه ويرتاد منازل المسلمين ويتفقد احوالهم شأن الامراء الذين يعرفون انهم بما فوض اليهم من امر الهيمنة على القانوت خدام للرعية مسؤولون عن راحة الامة وسعادتها لان الرعية خدام لهم عبدا لشهواتهم

روى الطبري في تاريخه عن بكر بن عبدالله الزبي : قال جاء عمر بن الخطاب الى باب عبد الرحمن بن عوف فضربه فجاءت المرأة فقمته ثم قالت له لا تدخل حتى ادخل البيت واجلس مجلسي فلم يدخل حتى جلست ثم قالت ادخل فدخل ثم قال هل من شئ فآتته بطعام فاكل وعبد الرحمن قائم يصلي : فقال له تجوز ايها الرجل فسلم عبد الرحمن حينئذ ثم اقبل عليه فقال : ماجاء بك في هذه الساعة يا امير المؤمنين : قال رقيقة نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق فلنجر سهم : فانطلقا فأتيا السوق فعمدا على نشز (مرتفع) من الارض يتحدثان فرفع لهما صباح فقال عمر الم انه عن المصايح بعد النوم : فانطلقا فاذا هم قوم على شراب لهم : فقال انطلق فقد عرفته فلما أصبح ارسل اليه فقال يا فلان كنت واصحابك البارحة على شراب : قال وما علمك يا امير المؤمنين : قال شئ شهدته : قال اولم ينهك الله عن التجسس : قال فتجاوز عنه

قال بكر بن عبدالله وانما نهى عمر عن المصايح لان الفارة تأخذ الفميلة فترمي بها في سقف البيت فيحترق وكان اذ ذلك سقف البيت من الجريد

وأخرج عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب الى حرة حتى اذا كنا بصرار اذا نار تورت (تنقد) فقال : يا أسلم اني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد انطلق بنا : فخرجنا هرول حتى دنونا منهم فاذا امرأة معها صبيان لها وقد منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون (يتصايحون) فقال

عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكره أن يقول يا أصحاب النار : قالت وعليك السلام : قال أذنو : قالت ادن بخير أودع . فدنا فقال مابال هؤلاء الصبية يتضاغون : قالت الجوع قال وأي شيء في هذه القدر : قالت ما أسكتهم به حتى يناموا . : الله بيننا وبين عمر . : قال أي رحمك الله ما يدري عمر بكم : قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا : فأقبل عليّ (أي على أسلم) فقال انطلق بنا فخرجننا هرول حتى أتينا دار الدقيق فاخرج عدلا فيه كبة شحم فقال أحمله عليّ فقلت أنا أحمله عنك قال احمله عليّ مرتين أو ثلاثاً كل ذلك أقول أنا أحمله عنك ، فقال في آخر ذلك أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أم لك : فحمله عليه وانطلق وانطلقت معه هرول حتى انتهينا إليها فالتق ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول لها ذري عليّ وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج وأدم القدر ثم أنزلها وقال ابغني شيئاً : فأته بصحفة فافرغها فيها ثم جعل يقول اطعمهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلّى عندها فضل ذلك وقام وقت معه فجعلت تقول : جزاك الله خيراً أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين : فيقول قولي خيراً أنك اذا جئت أمير المؤمنين وجدتي هناك اب شاء الله ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها وربض مربض السبع : فجعلت أقول ان لك شأن غير هذا وهو لا يكمنى حتى رأيت الصبية يصطارعون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا فقام وهو محمد الله ثم أقبل عليّ فقال : يا أسلم ان الجوع أسهرهم وأبكاهم فاحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم

وفي مناقب عمر للإمام أبي الفرج ابن الجوزي عن أنس بن مالك قال : بينا عمر يمس المدينة اذ مرّ برحبة من رحابها فاذا هو بيت من شعر لم يكن

بالامس فدنامنه فسمع اثنين امرأة ورأى رجلا قاعداً فدنامنه فسلم عليه ثم قال
من الرجل فقال رجل من اهل البادية جئت الى امير المؤمنين اصيب من فضله :
فقال ما هذا الصوت الذي اسمعه في البيت قال انطلق يرحمك الله لحاجتك قال على
ذاك ما هو قال امرأة تمخض قال هل عندها احد : قال لا قال (اي انس) فانطلق
حتى اتى منزله فقال لامرأته ام كلثوم بنت علي رضي الله عنهم اهل لك في اجر
ساقه الله اليك : قالت وما هو : قال امرأة عمرية تمخض ليس عندها احد :
قالت نعم ان شئت : قال نخذي معك ما يصلح المرأة لولادتها من الحرق والدهن
وجيئيني بيرة وشحم وحبوب : قال فجاءت به فقال لها انطقي وحمل البرمة ومشت
خلفه حتى انتهى الى البيت فقال لها ادخلي الى المرأة وجاءت حتى قعد الى الرجل فقال
له او قد لي ناراً ففعل فأوقدت تحت البرمة حتى انضجها وولدت المرأة فقالت امرأته :
يا امير المؤمنين بشر صاحبك بسلام : فله اسمع (أي الرجل) يا امير المؤمنين
كأنه هابه فجعل يتنحى عنه فقال له مكانك كما أنت فحمل البرمة فوضعتها على الباب
ثم قال (أي لام كلثوم) اشبعيها ففعلت ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب
فقام عمر رضي الله عنه فاخذها فوضعا بين يدي الرجل فقال كل ويحك فانك
قد سهرت من الليل ففعل ثم قال (اي عمر) لامرأته اخرجي وقال للرجل اذا
كان غداً فاتنا نأمر لك بما يصلحك ففعل الرجل فأجازته وأعطاه

لله أي نفس طاهرة بارة هذه النفس وأي حنان خالص من شوائب
التصنع هذا الحنان وأي خليفة عظيم بعد عمر يحمل نفسه مثل هذا العناء ويضع
نفسه في هذه المرتبة من التواضع والرحمة ويأخذ نفسه بهذا الأدب والاهتمام
بافراد الرعية وهو محتاج الى التجرد عن شهوات الملك وعظمة السلطان والتنزل
عن مرتبة التسلط والكبرياء الى منزلة التساوي بأفراد الرعية وهيئات هيئات

فان الجبروت ملكة في نفوس الملوك لا يمحوها الا الرغبة في الله ك رغبة
عمر او الرهبة من الشعب ك رهبة ملوك الافرنجة من رعيتهم لهذا العهد

﴿ ورعه وزهده ﴾

تقدم معنا في سيرة ابي بكر (رض) ان طريقة الصحابة في الزهد هي
العفة عن الفضول والقناعة بالكفاف وان ليس منهم الا من كان له سبيل
للارتزاق وعمل اليد سواء كان في التجارة والصناعة وقد كان عمر كما في رواية النخعي
تاجراً وانما هو كأبي بكر رضي الله عنهما ترك التجارة لما ولي امر المسلمين واقنع
من بيت المال بالكفاف وقال اصحاب السير ان عمر (رض) لما كتب نفسه في
المطاء اقام نفسه مقام الاجير و اخرج ابن جرير الطبري في تاريخه وابن الجوزي
في المناقب عن نافع عن ابن عمر قال : جمع عمر الناس بالمدينة حين انتهى اليه فتح
القادية ودمشق فقال اني كنت امرءاً تاجراً وقد شغلتموني بأمركم هذا فاذا
ترون انه يحل لي من هذا المال فكثر القوم وعلي رضي الله عنه ساكت : فقال
يا علي ما تقول : قال ما يصلحك ويصلح عيالكم بالمعروف ليس لك من هذا الامر
غيره : فقال القول ما قال علي بن ابي طالب

واخرجنا عن اسلم قال : قام رجل الى عمر بن الخطاب (رض) فقال ما يحل
لك من هذا المال : فقال ما يصلحني واصلي عيالي بالمعروف وحلة لشتاء وحلة
للصيف وراحلة عمر للحج والمعرة ودابة لحوائجهم وجهاده

وروى الطبري ان هذا العطاء الذي رضي به عمر لنفسه وفرضه له المسلمون
لم يكفه واشتدت به الحاجة فاجتمع نفر من المهاجرين منهم عثمان وعلي وطلحة
والزبير وتشاوروا في زيادة يزيدونها العمر في رزقه من بيت المال فهابوا مقابله
بذلك فاتوا بنته حفصة وامروها ان تخبره بالخبر وتري رأيه فيه ولا تذكر له

أسماءهم فلما أخبرته بذلك عرفت الغضب في وجهه وقال لها من هؤلاء : قالت
 لا سبيل الى علمهم حتى أعلم رأيك فقال لو علمت من هم لسؤت وجوههم أنت
 بيتي وبينهم أنشدك بالله ما أفضل ما أقتني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك
 من الملبس (وكانت زوجته) قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما لوفد ويخطب
 فيهما للجمع قال فأني الطامع ناله عندك ارفع : قالت خبز ناخزة شعير فصبينا عليها
 وهي حارة أسفل عكة^(١) فجعلناها هشة^(٢) دسمة فأكل منها وتطعم استطابة
 لها : قال فأني مبسط كان يبسطه عندك كان أوطأ^(٣) قالت كساء لنا تخين
 كنا نربعه في الصيف فنجعله تحتنا فاذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه
 قال يا حفصة فأبلغهم عنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترفو وضع الفضول
 مواضعها وتبلغ بالترجية واني قد ترفو الله لأضعن الفضول مواضعها
 ولا تبلغن بالترجية^(٤) وانما مثلي ومثل صاحبي كثلثة سلكوا طريقا
 فضى الاول وقد تزودا فبلغ ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفصى اليه ثم اتبعه
 الثالث فان لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما وكان معهما وان سلك غير
 طريقهما لم يجامعهما

هكذا كان شأن عمر رضي الله عنه في العفة والقناعة والرضى بالكفاف
 مما يسد الجوع ويستريح العري وروى في المناقب عن الحسن قال خطب عمر الناس
 وهو خليفة وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة . وفي المناقب أيضا عن أبي عثمان
 النهدي قال رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة
 احدها من بادم (جلد) أحمر : وفيها عن قتادة أن عمر بن الخطاب أبطأ على

(١) قرية السمن الصغيرة (٢) طرية (٣) ألين (٤) قال في القاموس تبلغ بكذا

اكتفى به والترجية والرجاء بمعنى واحد وهو ضد اليأس

الناس يوم الجمعة ثم خرج فاعتذر اليهم في احتباسه وقال انما حبسني غسل ثوبي هذا ولم يكن لي ثوب غيره

وفيها عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال . قالت حفصة بنت عمر بن الخطاب لعمر يا امير المؤمنين لو لبست ثوبا هو الين من ثوبك هذا واكلت طعاما هو الين واطيب من طعامك فقد وسع الله من الرزق واكثر من الخير . فقال اني ساخصمك الى نفسك اماند كرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من العيش : فما زال يذكرها حتى ابكاها

ومن هذا وغيره من اخبار عمر الكثرة في الزهد نعم انه (رض) انما سلك هذا الطريق من الزهد اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي بكر الصديق ولم يكن يرضى لعامة المسلمين بمثل هذا الزهد والتعسف وانما هو كان يحملهم على الطريق الوسط كي لا ينفسوا في النعيم ويسترسوا في الشهوات فتفسد اخلاقهم وتفترهمهم ولا ينقطعوا عن العمل ويعرضوا بتاتا عن نعيم الحياة فتجمد ملكاتهم وتعطل امور معاشهم ومن يرى كتابه الذي كتبه الى ابي عبيدة ابن الجراح (وستأتي صورته في باب كتبه) يلومه فيه على شدته في منع المسلمين عن التمتع يتضح له مذهبه في حمل المسلمين على طريق الوسط وعدم حملهم على الزهد وانما هو كان يشدد على العمال فقط في النهي عن التمتع ويحملهم على طريقه في الزهد كي لا يتسوطوا في نعيم الحضارة ويتوسعوا في اسباب الرفاه فيحملهم ذلك على السرف الذي يحتاج الى كثرة المال وربما حملت احدى حاجه السرف الى تناول المال من غير طرقة المشروعة فتتأذى بهم الرعية ويضطرب نظام العدل الذي لم يكن شي في الدنيا احب اليه منه

— كَلِمَةٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ —

علمت مما مر في الفصل السابق ان عمر رضي الله عنه انما سلك في زهده
وتعففه طريق النبوة ولم يأخذ من بيت المال الا مقدار الحاجة للمعيشة الساذجة
التي تليق بزهده كما ان المسلمين انما راعوا في فرضهم العطاء له حالة معيشته
ولما اشتدت به الحاجة رأوا لزوم الزيادة في عطائه ليعادل نفقته فأبى عليهم هذه
الزيادة ورعا وزهداً وعمل الصحابة هذا يدل على جواز تناول الامير من بيت
المال ما فيه الكفاية له في معيشته بنسبة حاله فيما لو ترقت اصول معيشته اذ ليس
في طاقة كل خليفة ان يسلك مسلك عمر وأبي بكر في النقشف والزهد ويتأدب
مثلهما بآداب النبوة وليس ذلك بواجب على كل خليفة بل الواجب هو القصد في
المعيشة والامساك عن البذل الى حد السرف والتعفف عن فضول أموال الأمة
ووضعها في مواضع المشروعة كما كان ذلك من الخليفة عثمان رضي الله عنه فانه
لما لم يستطع المسير على قدم من سبقه جازله ان يتوسع في المعيشة ويتناول من بيت
المال ما يكفيه من غير سرف ولا تقنير

وقد رأيت ان الصحابة رضوان الله عليهم لما تشاوروا في أمر الزيادة في
عطاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) انما راعوا حاجته الضرورية التي
كانت تناسب معيشته وتقضي بتلك الزيادة ولم يراعوا نفس المنصب أو يريدوا
التوسعة عليه بقبول الاموال كما انه هو لم يرض بتلك الزيادة خشية ان
يكون فيها شيء من السرف في الاموال وحبسنا لو نظر الخلفاء بعد هذا النظر
وراعوا في بيت المال أو أمر الشريعة وسنة السلف من الصحابة فان فيها كل
الحكمة وليست في ذاتها بما نعمة لهم عن تناول مقدار الحاجة مهما بلغ وانما هي
تمنع من تناول الفضول والتوسع في البذل والسرف في المعيشة الى حد الاستثثار

بأموال بيت المال وتبديدها في سبيل الشهوات ووضعها في غير مواضعها
المشروعة التي بها قوام الأمة كلها الا خليفة وحده ولقد بلغ تجاوز هذه الحدود
المعقولة في دول الاسلام مبلغا يدهش عقول الباحثين وما نظن الا ان اكثر البلاء
الذي حل بهذه الأمة والضعف الذي انتابها في العصور القديمة والحديثة ناشئ
عن اسراف امرائها وسلاطينها وتبديدهم للاموال في طرق الشهوات وليست
هذه الآفة خاصة بدول الاسلام وانما هي عامة في كل دول الارض وانما هي
تفاوتت بتفاوت الامم بمعرفة حقوق الرؤساء وحقوقها وتباين بتباين صفة
الحكومة في كل قوم

وأشقى الامم من هذا القبيل الأمم التي لاحد سيطرة رؤسائها يعرف ولا غاية
لسلطانهم توصف وانما هم أرباب اليد المطلقة في أموال الرعية يأخذون منها
ما شاءوا ويمنعون من شاءوا وينفقون الاموال فيما شاءوا وليس عليهم من الأمة
رقيب عتيد ولا من الوجدان زاجر عنيد وقلما منيت مملكة بهذا النوع من الحكم
وبهذا البلاء من التسلط الآفني زادها وساء معادها والشاهد على هذا من دول
الاسلام سيأتي في هذا الكتاب وأما من دول أوروبا فيمكنني فيه ان يقال ان
الامبراطور شارل كان الذي قام في أوروبا في أوائل القرن السادس عشر بعد
المسيح وملك معظم الديار الأوروبية وتسلط على سائر الشعوب والدوال لمالم
يكن اسلطته حد في بيوت الاموال جعل ينفق منها في سبيل سيادته على الملوك
في عصره ما لا يدخل تحت حساب حتى اذا أحس بالعجز عن سياسة ذلك
الملك العريض لفقر بيوت أهواله وانها كه قوى رعيتيه أنزوى في دير من
الاديرة ولم يلبث ان مات فيه وانكشف بموته عن سماء الممالك الأوروبية ظل
الاسبانيول وان ذلك أساس ما ابتناه شارل كان لنفسه من الملك الكبير

حتى كأنه ما كان . لهذا لما تنبّهت الشعوب الاوربية من سنة الغفلة ووضعوا احداً
لسلطة الرؤساء والامبراطرة أخذوا على أيديهم فيما أخذوا التسلط على بيوت
الاموال وفرضوا لكل منهم كفايته منه بنسبة حاله في المعيشة وحال بلاده من
الثروة كما كان ذلك على عهد الخلفاء في صدر الاسلام فكان من ذلك ان عم اليسر
خزائن الدول الاوربية وتوفرت على القيام بشؤون الرعية الحربية والعلمية
واعزت بفضول المال بأسباب المنعة والجاه والقوة فبسطت جناح السلطان
على معظم ممالك الارض وهذا شأن الحياة في الامم اذا دب ديبها في جسمها
ونبّهت دورة الدم في عروقها والعكس بالعكس

ومن عجيب الامور ان يدالحاكم متى أطلقت في بيت المال يتفشى الخليل
في سائر فروع الحكومة تفشياً وبيلاً بحيث لو اراد الحاكماً نفسه ان يتلافى ذلك
الخلل لتعذر عليه ذلك بأي سبب من الاسباب ولو مهما كان قادراً او مملكته غنية
واقرب شاهد نذكره لشرقي هنا ما كان في عهد المرحوم اسماعيل باشا الخديوي
الاسبق في مصر من الخلل العظيم في سائر فروع الحكومة المصرية بسبب تسلطه
على أموال الحكومة وسرفه فيها وتبديدها في الوجوه التي لا تستلزمها حياة
الامة ولا الملك حتى كان من ذلك ان بات العامل في الحكومة والجندي في الثكنة
لا يتناولان مرتبهما الا كل بضعة شهر مرة مع غنى البلاد وثورتها ومع ما حملها
من الديون التي تزيد عن مائة مليون من الليرات (الجنيهات)


ولما أحس بالخطر الذي أشرفت عليه البلاد والضيق الذي استحوذ على
مالية الحكومة وهب لتلافى ذلك الخطر وأخذ في تنظيم شؤون البلاد تمذراً
عليه ذلك مع طول باعه في السياسة وحنكته في الامور ووجود رجال يساعده
على ذلك القصد ثم فشل فشله المعروف في التاريخ وانتهى الامر بعزله عن امارة

مصر باتفاق كل الدول صاحبات الديون في مصر مع الدولة العلية صاحبة الشأن فيها ولما ولي الامارة ابنه المرحوم توفيق باشا وأقبل منها على أمر جليل لا يقوم به الا العفيف الحازم الرأي وأراد أن ينقذ البلاد من ورطة العوز والحكومة من خلل النظام فأول ما بدأ به أن كف يده عن بيوت الاموال وأمر بتنظيم شؤون الجباية وقيد نفسه بقانون مخصوص من جهة ما يتناوله وأبناء عشيرته من الامراء من مال الحكومة وكان ذلك بإشارة بعض مندوبي الدول صاحبات الشأن في المالية وهو لحسن قصده لم يقاوم رأيهم أو يأبى قبول اشارتهم ومن ثم ظهرت في الحكومة علامة الاصلاح وبدأت في الحال ثمره تنظيم الشؤون المالية حتى حدث ما حدث في مصر من أسباب الثورة الدراية واحتلال الدولة الانكليزية في البلاد ثم مضى الامر لهذا العهد على وجهه واستمر نظام المالية في نمو وجباية البلاد في ازدياد حتى بلغت الى هذا العهد عشرة ملايين ونصفاً ونيقاً من الجنيهات وانتظمت سائر فروع الحكومة انتظاماً يحسد عليها كثير من الشعوب الشرقيين وحكوماتهم وكل ذلك نتيجة كف يد الحاكم عن بيوت الاموال وضبط اصول الجباية وحسابات الحكومة والله يوفق من شاء الى ماشاء

هذا واما واضع بيت المال في الاسلام فانه أبو بكر (رض) كما مر في سيرته وانما كان ساذجاً تحشر اليه الاموال من الفئ والصدقة ثم توزع في اماكنها المشروعة وعلى الوجوه التي أمر بها الله في الكتاب الكريم الذي وضع للمسلمين اصول التوزيع (المعروفة الآن بميزانية الحكومة المالية) وقد مر ذكر ذلك الا انه لم يكن ثمه ضابط ولا قيد في ديوان وقدر آيت فيما مضى من سيرة عمر رضي الله عنه كيف نهض لوضع الديوان لما كثرت الفئ والخراج وازدادت الجباية ضبطاً لامور بيت المال وتقييداً للنفقات وانما كان ديوان بيت المال هو دفتر الذي

يضبط فيه الحساب ثم مازال يترقى الحال حتى تفرغ عن بيت المال عدة دواوين على عهد الخلفاء من بني أمية وبني العباس كافر اد هم ديوان العطاء ووحده وكذلك ديوان الخراج وديوان الاقطاع وسنستقصيها عند الكلام على رجال هذه الدول ان شاء الله وكل هذه الدواوين كانت تابعة لبيت المال وقد توسع الائمة والفقهاء بعد في وضع الضوابط والقوانين التي تتعلق ببيت المال وكلها كانت استنباطا من أصول الشريعة وعمل الصحابة مثل كتاب الخراج لابن يوسف وما يشبهه من الكتب الواردة في مؤلفات الفقه الاسلامي الا ان امريوت الاموال تقلب بعد ذلك بتقلب الدول الاسلامية وتغير بتغير الزمان وخرجت ضوابطه عن طوق الفقهاء واستأثر بها الامراء قلباً وإبدالاً ومحواً وإثباتاً على مقتضى الظروف والاحوال الى الآن

﴿ حسبه ﴾

أصل الحسبة هي مشاركة السوق والنظر في موازينه ومكاييله ومنع الغش والتدليس فيما يباع ويشترى فيه من المأكول والمصنوع وغيره وتسعير السوق ورفع الضرر عن الطريق ودفع الحرج عن السابلة وتنظيف الأزقة وبالجملة هي كل الوظائف المتعلقة بما يعرف الآن بالمجالس البلدية ولها في الاسلام ولاية خاصة تسمى ولاية الحسبة وأول من وضعها على ما يظهر هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد جاء في كثر العمال في حديث أخرجه ابن سعد عن الزهري ان عمر بن الخطاب استعمل عبد الله بن عتبة على السوق : وقال العلماء هذا اصل ولاية الحسبة  ومن ثم ترقى الحسبة في الاسلام ترقياً عجيباً حتى كانت من اهم الشؤون التي عني بها الخلفاء والفقهاء وقد توسع بعض العلماء بتوسع الحاجة في وظيفة والي الحسبة فجعلوها تشمل كل أمر معروف ونهي عن منكر ومن هؤلاء شيخ الاسلام ابن

تمية فقد أجاز التوسع في ولاية الحسبة حتى في اقامة الصلوات الخمس في مواقيتها
وتماهد الأئمة والمؤذنين وإلزامهم باداء وظائفهم على مقتضى الشرع وحجته
في جواز التوسع بهذه الوظيفة ما قاله عن الولايات في كتاب الحسبة في الاسلام
المطبوع حديثاً في مصر ونصه

عموم الولايات وخصوصها وما يستفيد المتولي بالولاية يتلقى من الالفاظ
والاحوال والعرف وليس لذلك حد في الشرع فقد يدخل في ولاية القضاء في
بعض الامكنة والازمنة ما يدخل في ولاية الحرب في مكان وزمان آخر
وبالعكس وكذلك الحسبة وولاية المال اه

ومن هذا ترى مبلغ عناية القوم بهذه الوظيفة السامية وتوسعهم فيها
وإتقانهم لهم حتى ان اراينا من بعض آثار الحسبة على عهد الفاطميين قطعاً
مستديرة من الزجاج ومزيجا آخر معه على وزن الدينار والدرهم مكتوباً عليها
وزن واف او ما هو بمعناه ومثلها للاوزان الخفيفة وكلها كانت تصدر من والي
الحسبة او المحتسب على تعبير المتأخرين لاجل ان يضبط بها الناس عيار الدراهم
والدنانير والاوزان على ما يظن منعاً للتلاعب والغش الا اننا لم نقف على التاريخ
الذي النى فيه اسم المحتسب ولعله منذ أنشئت المجالس البلدية في المملكة العثمانية
وستتكام عليها في مكان آخر باوسع من هذا ان شاء الله

اما حسبة عمر رضى الله عنه فقد قدمنا انه استعمل لها عبد الله بن عتبة ومع
ذلك فقد كان يقوم بنفسه بوظائف المحتسب ويشرف السوق ويراقب المكابيل
والموازن ويأمر باماطة الاذى عن الطريق

أخرج الامام ابن الجوزى عن المسيب بن دارم قال : رأيت عمر بن
الخطاب رضى الله عنه يضرب جملاً ويقول حملت جملك ما لا يطيق

وفي كثر العمال عن زيد بن فياض عن رجل من أهل المدينة قال دخل عمر بن الخطاب السوق وهو راكب فرأى دكاناً قد أحدث في السوق فمكسره
وفيه عن عبد الله بن ساعدة الهذلي قال : رأيت عمر بن الخطاب يضرب
التجار بدرة إذا اجتمعوا على الطعام بالسوق حتى يدخلوا سكك أسلم ويقول
لا تقطعوا علينا سابلتنا

وفيه عن علي أنه كان يأمر بالمشاءب^(١) والكنف تقطع عن طريق المسلمين
وفيه عن القاسم بن محمد أن عمر بن الخطاب مر بحاطب بسوق المصلّى وبين
يديه غمراران فيهما زبيب فسأله عن سعرهما فسعر مدين بكل درهم فقال له عمر :
حدثت بعير مقبلة من الطائف تحمل زيباً وهم يعتبرون بسعرك فاما أن ترفع في
السعر واما أن تدخل زبيبك البيت فتبيعه كيف شئت فلما رجع عمر حاسب نفسه
ثم أتى حاطباً في داره فقال ان الذي قلت ليس بعزمة ولا قضاء وانما هو شيء
أردت به الخير لاهل البيت فحيث شئت فبيع وكيف شئت فبيع (أخرجه
الشافعي في السنن)

وله اخبار غير هذه في الحسبة وقد اكتفينا عنها بما تقدم دلالة على الباقي

﴿ قضاؤه ﴾

كتبنا في سيرة أبي بكر فصلا عن القضاء في الاسلام وكيف كان يقضى
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فلا نرى حاجة للمزيد هنا الا بعض اخبار عمر في
القضاء فانانا أتى بها إتماماً للفائدة -

كان عمر رضي الله عنه يتولى القضاء بنفسه وينيب عنه غير لما هو معروف
من أن القضاء في الاسلام وظيفة من وظائف الامام يجوز له أن يتولاها بنفسه

(١) مسایل الماء كما في النهاية

وأن ينيب بها عند الحاجة غيره وكان تحريه للعدالة في انتخاب القضاة كتحريره في
انتخاب الولاية لا يراعي في كليهما الا الاهلية والاستعداد والتقوى والعدل ويعلم
ان اثم الظالم اذا ظم على موليه فقصد اخرج ابن الجوزي في المناقب عن عبد الملك
ابن عمير قال: قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه من استعمل رجلا لمودة
أو تقربة لا يستعمله الا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين
وأخرج عن عمر ان بن سليم عن عمر قال: من استعمل فاجراً وهو يعلم انه
فاجر فهو مثله

وكما كان يتحرى في انتقاء العمال والقضاة التقوى والعدالة يتحرى العلم
والمعرفة والذكاء ويبغض خرق العامل وجهله

أخرج ابن الجوزي عن محارب بن دثار عن عمر بن الخطاب انه قال لرجل
قاض من أنت قال قاضي دمشق: قال كيف تقضى: قال أقضى بكتاب الله: قال فاذا
جاءك ماليس في كتاب الله قال أقضى بسنة رسول الله: قال فاذا جاءك ماليس في
سنة رسول الله قال اجتهد رأيي وأمر (أي أشاور) جلسائي: قال أحسنت:
وقال فاذا اجلست فقل اللهم اني أسئلك ان أفتي بهلم وان أقضى بحكم. وأسئلك العدل
في الغضب والرضى: قال فسار الرجل ماشاء الله ان يسير ثم رجع الى عمر:
فقال ما رجوعك: قال رأيت الشمس والقمر يتنزلان مع كل واحد منهما جنود
من السكواكب: فقال مع أيهما كنت: قال مع القمر: قال يقول الله عز وجل
(وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) لاتي لي عملا
وانما عزله لجهله وأبعده عن العمل لسخافة قوله وهكذا كان شأنه مع
عماله رضى الله عنه

وكان لا يحب تمجيل الفصل في الخصومة رجاء أن يصطالح الخصمان وتمحى

آثار الضغائن من النفوس فقد جاء في كثر العمال عنه رضى الله عنه انه قال ردوا
الخصوم حتى يصطاحوا فان فصل القضاء يورث الضغائن بين الناس. وأما كلامه
في القضاء ووصاياه للقضاة فتظهر من الكتابين التاليين

﴿ كتابه في القضاء الى شريح القاضى ﴾

أما بعد اذا جاءك شئ في كتاب الله فاقض به ولا يلقنك عنه الرجال فان
جاءك أمر ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها فان
جاءك أمر ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله فانظر ما اجتمع عليه
الناس فخذ به. فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ولم
يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الامرين شئت. ان شئت ان تجتهد رأيك وتقدم
فتقدم. وان شئت ان تأخر فتأخر ولا أرى التأخير الا خير الاك اه (من كثر العمال)
وأما أقضيته فكثيرة لا يسعها هذا الكتاب فليرجع اليها من أحب في كتب
الحديث وقد خالف في بعض أحكامه ما قضت به السنة مراعاة للحال والمصلحة
فلم يؤخذ على ذلك لحسن قصده منها حكمه بتجريم المنة وقد أحلت في ظروف
مخصوصة ومنها حكمه بوقوع الطلاق الثلاث اذا صدر عن شخص مرة واحدة
مع ان السنة قضت بوقوع طلقة واحدة وأراد به هذا قهر النفوس على تجنب
الطلاق لما يحصل عند المطلق من الندامة اذا أحس بالملحكم بوقوع الطلاق
الثلاث وغير ذلك من الاحكام النافعة التي أخذ بها بعد كثير من أئمة المسلمين
اقتداءً بحسن رأيه وجميل قصده فليرجع اليها في مظانها من كتب الأئمة
والمحدثين من شاء

﴿ كتابه في القضاء الى أبي موسى الأشعري ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم (أما بعد) فان القضاء فرضة محكمة وسنة متبعة فافهم

اذا أدلي اليك^(١) فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذله آس^(٢) بين الناس في مجلسك
 ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك^(٣) ولا يخاف ضعيف من جورك
 والبيئنة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً
 حرم حلالاً أو أحل حراماً. ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس راجعت فيه نفسك
 وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من
 التماذي في الباطل. الفهم الفهم عندما يتجلى^(٤) في صدرك مما يبلغك في كتاب
 الله ولا سنة النبي صلى الله عليه وسلم. اعرف الامثال والاشباه وقس الامور
 عند ذلك ثم اعمد الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعي حقاً غائباً
 أو بيئنة أمداً ينتهي اليه (أي وقتاً محدوداً) فان أحضر بينته أخذت له بحقه
 والوجهت عليه القضاء فان ذلك أتق للشك وأجلى للعمى وأبلغ في العذر.
 المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور
 أو ظنيماً^(٥) في ولاء أو قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات. ثم
 اياك القلق والضجر والتأذي بالناس والننكر للخصوم في مواطن الحق التي
 يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله
 تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم
 الله خلافه منه هتك الله ستره وأدى فعله والسلام (من البيان والتبيين)
 وهذا الكتاب على ايجازه هو الذي تدور عليه أحكام القضاء الى هذا العهد

(١) رفع لك الامر ووجهي به اليك (٢) اعدل وساو (٣) الحيف الجور والظلم
 كافي القاموس (٤) التاجيح التردد في الكلام كما في القاموس (٥) هو المتهم بسبب
 قرابته أو ولاءه

﴿ فراسته وذكاؤه ﴾

كان رضى الله عنه حديد الذكاء شديد الفراسة يكاد بفراسته يستطلع خبايا القلوب ويستخرج ما تكنه النفوس وقد ساعده تفرسه في الناس على وضع الشدة في مواضعها واللين في مواضعها حتى أخذ بنواصي الناس واستكانت له النفوس رغبة ورهبة وكان أشد الناس حذراً منه قریش كما كان هو أشد الناس حذراً منهم واستكناها لكانه ضمائرهم ليحسن إلى محسنهم ويأخذ على يدي مسيئتهم لهذا دبت في قلوبهم هيبته وفعلت في نفوسهم فراسته

لما جاء عمرو بن العاص من جيفر وأخبر المسلمين بكثرة من تجمع لهم من جيوش الردة في خلافة أبي بكر تفرق المسلمون وتحلقوا حلقاً وأقبل عمر للتسليم على عمرو وفر على حلقة فيها نفر من المهاجرين وهم علي وعمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد فلما دنا عمر منهم سكنوا: فقال فيم أنتم فلم يجيبوه فاستطلع طلع بواطنهم وأدرك بفراسته ما هو دأبهم من الكلام فقال لهم: أنكم تقولون ما أخوفنا على قریش من العرب: قالوا صدقت: قال فلا تخافوهم أنا والله منكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم والله لو تدخلون معاشر قریش حجر ألدخلته العرب في آثاركم فاتقوا الله فيهم ومضى

ولا يخفى ما في هذا الكلام من المغامز خلا ما فيه من الاستخفاف بقوة العرب وإنما أدرك ما خامر نفوسهم من أخبار الردة فاراد أن يستفز منهم صدق العزيمة لمضافة أبي بكر ومكافئته على استخضاع العرب ويبين لهم أنهم قدوة العرب وأئمة الناس فحيثما اتجهوا اتجه معهم الناس طوعاً أو كرهاً وهذا هو الحق الذي تشهد له الحوادث العظمى التي حدثت بعد خلافة أبي بكر وعمر وسبق بها العرب إلى ما سيقوا إليه ودخلوا مع قریش إلى حيث دخلوا كما هو معروف في

التاريخ وسنشير اليه في محله ان شاه الله

وحسب عمر من سعة المدارك وبعد النظر والذكاء قيامه ببيعة أبي بكر ومبادرته الى ذلك قبل اخوانه من المهاجرين مع تحققه ان أمر البيعة منوط بالشورى متوقف على اتفاق المهاجرين وغيرهم من أهل الحل والعقد لهذا اعتدها بعد ذلك فلتة وقي الله المسلمين شرها كما استرى في احدى خطبه التي تجي في باب الخطب وانما عجل ببيعة أبي بكر لما كان يتفرسه في وجوه القوم ويتوقعه من المهاجرين من الاختلاف كما كان ذلك من الانصار ويأويح الأمة لو حدث من الخلاف بين المهاجرين في ذلك العهد ما حدث في خلافة عثمان وما بعده اذ كان الاسلام غضاً طرياً والناس لوفاة النبي صلى الله عليه وسلم في اضطراب والعرب على قدم القيام على المسلمين وانما تلافى هذا الخطر وحال دون ذلك الخلاف عمر رضي الله عنه بمبايعته لابي بكر لعلمه انه أقدم المهاجرين اسلاماً وأكبرهم سنناً وأضعفهم عصية فاذا تعجل بمبايعته قطع آمال المتطلعين الى الخلافة من أولي العصبية الكبيرة فكانوا باجمهم عصية لابي بكر يذودون عن حوضه ويفنون بحق طاعته لاسيما وان ليس لاحد منهم غاية بعد تقرير أمر الخلافة الانصرة الدين والقيام على الحق شأنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدى حياته وانما هم تراجموا على الخلافة بعد لا اعتزاز كل فرد منهم بعصيته أو سابقته في الاسلام وكونه يرى نفسه أولى بخدمة المسلمين وأحق بامرؤ المؤمنين لانهم كما قدمنا في غير هذا المحل كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها . أي كلهم أهل للخلافة وجدير بخدمة ذلك المنصب فقيام عمر ببيعة أبي بكر قطع جهيزة قول كل خطيب وجعلهم كلهم راضين به العلمهم بسابقته وفضله وعزيمته ولا طمئنان ضمير كل فرد من المتطلعين اليه ابصر فيها عن الآخرو هذا الذي دعا لارتياحهم

جميعاً لخلافة أبي بكر وإنما كان القائم بها العارف بلزومها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنهم أجمعين

ومن عجيب فراسته التي كان كأنه ينظر منها بعين الغيب ماذا كره ابن عبدربه في العقد قال : قال أبو بكر بن أبي شيبة كان عبد الله بن عباس من أحب الناس الى عمر بن الخطاب وكان يقدمه على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولم يستعمله قط فقال له يوماً كدت أستعملك ولكن أخشى أن تستحل النبي على التأويل فلما صار الامر الى علي استعمله على البصرة فاستحل النبي على تأويل قول الله تعالى (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ) واستحله من قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تفرس فيه ذلك عمر من قبل

هكذا كان مبلغ فراسة عمر رضي الله عنه خصوصاً في بني هاشم وقد كان يتفرس فيهم القيام يوماً لطلب الخلافة واثارة غبار الفتن والاستحواذ على ذلك المنصب الذي كانوا يرون أنفسهم أحق الناس به على خلاف ما كان يراه جلة المهاجرين الذين يعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم منعهم من أن يعملوا له عملا كي لا يحدوا أنفسهم بشيء من الامارة لانها غير النبوة ومن ذلك ما ذكره في العقدان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم طلب منه ولاية يقال له (يا عم نفس تحبها خير من ولاية لا تحبها)

وكان عمر لتفرسه فيهم التطلع الى الامارة لا يستعمل أحداً منهم كما لم يستعملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجاهر بظنه هذا فيهم وقد جاهر به لعبد الله بن عباس مراراً ومنه ما تقدم ذكره في باب سياسته اذ قال له : يا ابن عباس اني خشيت أن يأتي علي الذي هوأت وأنت في عمالك فتقول هلم الينا ولا هلم اليكم دون غيركم :

ولقد تحققت فراسته في بني هاشم بعد اذ قضا عصوراً طويلة في مكافة
 الملوك ومزاحمة الخلفاء على الخلافة وأسسوا عدة دول أضخمها العباسية في
 بغداد والفاطمية في أفريقيا وأهرقوا سيولا من دماء أشياخهم وأشياخ غيرهم في
 سبيل نيل هذه البغية، وتأتى عن هذه المزاحمة من التشويش في أمور الدول
 الاسلامية والاضطراب في المسلمين ما الله به عليم: على انهم لو اتعظوا بعمل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم اذ صرف أسلافهم عن الامارة وصر فيها عنهم لما أقدموا على
 شي من ذلك بل لسكانوا اذا استمر في نفوسهم شي من التطلع الى الخلافة سلكوا
 اليها سيلا غير ذلك السبيل وجعلوا الأمة بأجمعها طامحة الانظار اليهم ساعة
 بنفسها لاسناد منصب الخلافة لاهل الجدارة منهم وحسبهم موعظة وذكرى
 ان علي بن أبي طالب رضى الله عنه على صلاحه وتقواه وسابقته في الاسلام
 وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهرته بالعدل والورع والزهد (ومن
 كعلي بعده) لم يتوقف عن جمع كلمة الأمة على الرضى بخلافته لاقصور فيه مماذ الله
 وانما هو لما وقر في نفوس الامة يومئذ من ان الهاشميين بسبب قرابتهم من رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لا ينفكون عن الادلال على الناس وحب الاستعلاء على
 الكافة والناس يومئذ في ابان نشأة الاسلام وعز الحرية وحظيرة المساواة والاخاء
 التي حشرهم اليها الاسلام بقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) وبقول النبي صلى عليه
 وسلم (لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى) فتوهم ان يسلبهم بنو هاشم
 شيئا من هذه النعمة بالاستعلاء عليهم كانوا غير ميالين لاستخلاف احد منهم يدلك
 على صدق هذا القول ما ذكره في العقد عن عبد الله بن عباس قال: ماشيت عمر
 ابن الخطاب يوما فقال لي يا ابن عباس ما يمنع قومكم منكم وانتم اهل البيت خاصة:
 قلت لا أدري: قال لكنتي أدري انكم فضلتهم بالنبوة فقالوا ان فضلوا بالخلافة

مع النبوة لم يقبوا الناشئاً وان أفضل النصيين بأيديكم بل ما اخالها الا مجمعة لكم
وان نزلت على رعم أنف قریش (يريد الخلافة)
﴿ نبت من فنون اقواله واخباره ﴾

من اخباره في الشفقة ورقة القلب ما اخرجته في المناقب عن الاحنف بن
قيس قال وفدنا على عمر رضی الله عنه بفتح عظيم فقال أين نزلتم: فقلت في مكان كذا
فقام معنا حتى انتهينا الى مناخرو واحلنا فجعل يتخللها ببصره ويقول: ألا اتقيتم الله
في ركا بكم هذه ما علمتم ان لها عليكم حقاً لا خلتيم عنها فاكات من نبت الارض:
فقلنا يا امير المؤمنين انا قدمنا بفتح عظيم فاحببنا التسرع الى امير المؤمنين بما يسره
عن نافع قال دخل شاب قومي المسجد وفي يده مشاقص^(١) وهو يقول من
يعينني في سبيل الله فدعا به عمر فأتي به فقال من يستأجر مني هذا يعمل في أرضه
فقال رجل من الانصار: انا يا امير المؤمنين: قال بكم تأجره قال كل شهر بكذا
وكذا قال خذته فانطلق به: فعمل في ارض الرجل اشراً ثم قال عمر للرجل: ما
فعل أجيرنا: قال صالح يا امير المؤمنين: قال اتيتي به وبما اجتمع له من الاجر:
بخاء به وبصرة من دراهم: فقال (عمر للرجل) خذ هذه فان شئت فالآن اغز
وان شئت فاجلس

وشفته على هذا الرجل هي من جهة انه رآه قويا واهلاً للعمل فاعطاه لمن
يستاجره كي لا يكون عالة على الناس

ومن جميل اخباره في تأديب الناس على ستر العورات وكتبات ما عس
بشرف الضيافة ما جاء في المناقب عن الشعبي قال اتى عمر بن الخطاب رجل فقال ان

(١) قال في القاموس المشقة كمنبر نصل عريض او سهم فيه ذلك والنصل الطويل او

سهم فيه ذلك يرمى به الوحش

ابنتي كنت وأدتها^(١) في الجاهلية فاستخر جناها قبل أن تموت فأدركت معنا
الاسلام فاسلمت ثم أصابها احد من حدود الله فأخذت الشفرة لتذبح نفسها
وأدركنها وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برأت ثم اقبلت بعد توبة
حسنة وهي تخطب الى قوم فأخبرهم بالذي كان : فقال عمر (رض) اتعمد الى
ماستره الله فتبديده والله ائن اخبرت بشأنها احداً من الناس لاجعلنك نكالا
لاهل الامصار نكحها نكاح العفيفة المسلمة

ومن أخباره في رفع القصاص عن القتال دفاعاً عن الشرف والعرض
ما أخرجه في المناقب عن الليث عن عبد الله بن صالح قال أتني عمر بن الخطاب بفتى
أمرد وجد قتيلا ملقى على وجهه في الطريق فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له
على خبر ولم يعرف له قاتل فشق ذلك على عمر وقال اللهم اظفرني بقاتله حتى اذا كان
رأس الحول أو قريباً من ذلك وجد صبي مولود ملقى موضع القتيل فأتني به عمر
فقال ظفرت بدم القتيل ان شاء الله فدفعت الصبي الى امرأة وقال لها قومي بشأنه
وخذى من نفقته وانظري من يأخذه منك فاذا وجدت امرأة تقبله وتضمه الى
صدرها فاعلمني بمكانها فلما شب الصبي جاءت جارية فقالت للمرأة ان سيدتي
بعثتني اليك تبعثي الصبي لتراه وترده اليك . قالت نعم اذهبي به اليها وانامك
فذهبت بالصبي والمرأة معها حتى دخلت على سيدتها فلما رأتها أخذته فقبلته وضمته
اليها فاذا هي بنت شيخ من الانصار من أصحاب رسول الله فاخبرت عمر خبر المرأة
فاشتمل عمر على سيفه ثم اقبل الى منزلها فوجد اباهما متكئا على باب داره : فقال يا ابا
فلان ما فعلت ابنتك فلانة : قال يا امير المؤمنين جزاها الله خير اهي من اعرف

(١) الود هو دفن البنات وهن أحياء وكانت عادة الود عند العرب في الجاهلية فلما جاء

الناس بحق الله تعالى وحق أبيه مع حسن صلاحها وصيائها والقيام بدينها فقال عمر
 قد أحببت أن أدخل اليها فاذا رغبته في الخير وأحبتها على ذلك فقال جزاك الله
 خيراً يا أمير المؤمنين أمكث مكانك حتى أرجع اليك . فاستأذن لعمر فلما دخل
 عمر أمر كل من كان عندها فخرج عنها وبقيت هي وعمر في البيت ليس معها أحد
 فكشف عمر عن السيف وقال لتصدقيني وكان عمر لا يكذب : فقالت على رسلك
 يا أمير المؤمنين فوالله لأصدقن : از عجوزاً كانت تدخل عليّ فاتخذتها أمماً
 وكانت تقوم في أمرى بما تقوم به الوالدة وكنت لها بمنزلة البنت فامضيت بذلك
 حيناً ثم انها قالت لي يا بنية انه قد عرض لي سفر ولي بنت أخوف عليها منه ان تضع
 وقد أحببت أن اضمها اليك حتى أرجع من سفري . فعدت الى ابن لها شاب
 امرد فبهاثة كهيئة الجارية وأنتى به لا أشك انه جارية فكان يرى منى ما ترى الجارية
 من الجارية حتى اغتفلني يوماً وانا نائمة فاشمرت حتى علاني وخالطني فمدت يدي
 الى شفرة كانت الى جنبي فقتلته ثم امرت به فآلتني حيث رأيت فاشتملت منه على
 هذا الصبي فلما وضعته القيته في موضع أبيه فهداؤ الله خبرهما على ما أعلمتك : فقال
 عمر صدقت بارك الله فيك ثم أوصاها ووعظها ودعا لها وخرج وقال لا يهاب بارك
 الله في ابنتك فنعم الابنة ابنتك وقد وعظها وأمرتها فقال الشيخ وصلك الله
 يا أمير المؤمنين وجزاك خيراً عن رعيتك

﴿ فنون شتى من أخباره ﴾

عن الحسن قال عاتب عيينة عثمان فقال له كان عمر خيراً لنامنك أعطانا
 فأغنانا وأخشاننا فاتقانا

تظلم رجل من بعض عمال عمر وادعى انه ضرب به وتعدى عليه فقال : اللهم اني
 لأحل لهم اعشارهم ولا أبشارهم (أموالهم وأجسامهم) كل من ظلمه أمير فلا

أمير عليه دوني ثم أقاده منه (أي أخذله القود)

وقال المغيرة بن شعبه وذكر عمر فقال كان والله فضل يمنعه أن يخدع وعقل يمنعه أن يخدع

في كثر العمال عن طاوس أن عمر قال أرأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أقضيت ماعلي قالوا نعم قال لا حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته أم لا وفيه عن عمر قال : الرعية مؤدية إلى الامام ما أدت الامام إلى الله فاذا رفع الامام رفعوا (أخرجه ابن سعد)

وفيه عنه انه قال لا ينبغي أن يلي هذا الامر الرجل فيه أربع خلال اثنين في غير ضعف والشدة في غير عنف والامسالك في غير بخل والسماحة في غير سرف فان سقطت واحدة منهن فسدت الثلاث

وما ظن ان خليفة اتصف بهذه الصفات من غير تصنع ولا تكلف كعمر رضي الله عنه

وفيه عن قطن بن وهب عن عمه انه كان مع عمر بن الخطاب في سفر فلما كان قريبا من الروحاء سمع صوت راع في جبل فعدل اليه فلما دنا منه صاح ياراعي النعم فاجابه الراعي : فقال له اني مررت بمكان هو اخصب من مكانك فان كل راع مسؤل عن رعيته ثم عدل صدور الركاب (أخرجه الامام مالك وابن سعد)

وتالله ان هذا الاهتمام بشؤون الناس حتى في ارشاد الرعاة الى اماكن الخصب لجدير بأن يقوم به كل خليفة من خلفاء المسلمين اقتداء بسلفهم الصالحين وهيئات هيئات فان الشهوات غلبة ومحبة لذات خلافة وليست كل النفوس خيرة كنفوس عمر

وفيه عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال في ولايته من ولي هذا

الامر بعدي فيعلم ان سير يده عنه البعيد والقريب وأيم الله ما كنت الا أقاتل
الناس عن نفسي قتالا

وأخرج ابن الجوزي في المناقب عن يحيى بن جعدة قال : قال عمر لولا اني
أسير في سبيل الله أو أضع جبيني لله في التراب أو أجالس قوماً يلتقطون طيب
القول كما يلتقط طيب التمر لا حبيت أن أكون قد لحقت بالله

وفيه عن ابن سعد قال : قال عمر والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك فان كنت
ملكاً فهذا أمر عظيم : فقال قائل يا أمير المؤمنين ان بينهما فرقاً قال ماهو : قال
الخليفة لا يأخذ الا حقا ولا يضعه الا في حق وانت بحمد الله كذلك والملك يعسف
الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا فسكت عمر

وفيه عن الزهري قال كان جلساء عمر أهل القرآن كهولاً كانوا اوشبانا
وفيه عن الازاعي قال : بلغني ان عمر (رض) سمع صوت بكاء في بيت ومعه
غيره فمال عليهم ضرباً حتى بلغ النائمة فضر بها حتى سقط خمارها وقال اضرب فانها
نائمة لا حرمة لها انها لا تبكي اشجواكم انما تهريق دموعها على أخذ دراهمكم انها
تؤذي أموالكم في قبورهم وأحياءكم في دورهم . انها تنهى عن الصبر الذي أمر الله
به وتأمر بالجزع الذي نهى الله عنه

وفيه عن عبد الله بن بريدة قال : ربما أخذ عمر بن الخطاب بيد الصبي فيجيء
به ويقول ادعني فانك لم تذب بعد : وفيه عن محمد قال : كان عمر يشاور حتى المرأة
وفيه عن أبي امامة بن سهل قال : كتب عمر الى أبي عبيدة رضي الله عنهما
علموا غلمانكم العموم ومقاتلتكم الرمي

ولا يخفى انه أراد بهذا التعليم التمرن على فنون الحرب من حال الصغر
وانما كان تعلم الرمي من أهم لوازم الجند بالنسبة لذلك العصر

وأما في هذا العصر فلو ازمن الحرب كثيرة ومنها تعلم فنون الكيمياء لاجل
عمل المواد الالتهابية التي يحتاج اليها المحارب وتعلم الهندسة والميكانيات أي علم
صناعة الآلات لاجل عمل المدافع والبنادق والقلاع والمتاريس ونحوها من
لوازم القوة والدفاع وفن الجغرافية لاجل معرفة أطوال البلاد وعروضها وسهولها
ونجودها وطرقها وجبالها وأخلاق أهلها وقوتهم وثروتهم وغير ذلك مما يعين
على معرفة البلاد وأهلها معرفة تامة قبل مهاجمتها وعلان الحرب على
أهلها (ومن الغريب) ان يقوم مهندستين بعض علماء المسلمين في مصر معلنين
على ملائ الناس ان ادخال أهون هذه العلوم في أصول التعليم في الازهر وهو فن
تقويم البلدان غير جائز ولا مفيد وهم يقرؤون كل يوم مئات من مثل هذه الآثار
والاخبار تدعو الى الحظ على العناية بفنون الحرب وصرف الهمم الى مباراة
الاعمم في مضمار الحياة والقوة وكأنهم لا يقرؤون من ذلك شيئاً ولا يعلمون فان الله
وانا اليه راجعون

وأخرج الطبري عن زيد بن أسلم قال قال عمر كنا نعد المقرض نخيلاً
وانما هي المواساة

ومن ماثور كلامه قوله من كتم سره كان الخيار في يده : أشقى الولاية من
شقيت به رعيتيه : أعقل الناس أعذرهم للناس : ما الخمر صراً بأذهب لعقول
الرجال من الطمع : لا يكن حبك كلفاً ولا بفضك تلقاً : مر ذوى القربات ان
يتزاوروا ولا يتجاوروا : قلما أدبر شئ فأقبل : أشكو الى الله ضعف الامين
وخيانة القوي : من لا يعرف الشركان أجدر أن يقع فيه (عن زهر الآداب
وثمر الاباب)

ودخل عدي بن حاتم على عمر فسلم وعمر مشغول فقال يا امير المؤمنين انا

عدي بن حاتم فقال: ما أعرفني بك أمنت اذ كفر واووفيت اذ غدر واوعرفت اذ أنكر واأقبلت اذ أدبر وا (عنه أيضا)

ومن جميل قوله اياكم والمعاذير فان كثيرا منها كذب: وقوله تعلموا المهنة فانه يوشك أحدكم ان يحتاج الى مهنته (المناقب)

عن قبيصة بن جابر قال: قال لي عمر بن الخطاب انك رجل حدث السن فصيح اللسان فسيح الصدر وانه يكون في الرجل عشرة اخلاق تسعة اخلاق حسنة وخلق سيء فيغلب الخلق السيء التسعة الاخلاق الحسنة فاتت عثرات الاشياء:

وفي المناقب عن عبيد أمّ كلاب انه سمع عمر يقول لا يعجبنيكم من الرجل طنطنته^(١) ولكن من أدّى الامانة وكف عن اعراض الناس فهو الرجل وفيه عن اسماعيل بن أمية قال قال عمر الراحة في ترك خلطاء السوء: وما أعظمها من حكمة وأفيدها من موعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وعن مسروق قال تذاكرنا عند عمر بن الخطاب الحسب فقال: حسب المرء دينه وأصله عقله ومروءته خلقه

ومن قوله في بيان فضيلة الكسب ما ذكره في المناقب عن عطاء قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن أموت بين شعبي رَحَلٍ (هو قُب الجمل) أسعى في الارض أبتغي من فضل الله كفاف وجهي أحب الي من ان أموت غازياً (كلمة اجمالية في أخلاقه)

هذا ما أحببنا ايراده من مناقب عمر (رض) وأخلاقه وسيرته ومنه تعلم كيف كان ذلك الرجل العظيم فيتمثل لك فيه صورة من النور وجسم من الفضيلة

والكمال وعلم من اعلام الرجال الذين تفتخر بحياتهم الأتم ويقنّدي بسيرتهم
 أرباب المهمة فالجد والصبر والثبات والجلد والقوة والمعدل والتقوى والتواضع
 والرفق والحلم والبصيرة والرأى كلها أخلاق قلّ ان تجتمع في عدد عديد من
 الرجال وقد اجتمعت في عمر بن الخطاب كما رأيت فيما أوردناه من سيرته وكل
 أخلاقه هذه تكاد تكون فطرية لا يظهر عليها شيء من التصنع أو التكلف ولو
 أردنا استقصاء كل أخباره وآثاره لأعجزنا هذا الامر كما أعجز كثير غيرنا من
 الفضلاء الذين حاولوا جمع أخباره وتبع آثاره فلم يدر كواغابها ولم يأتوا بمعشارها
 ومن أحسن وصف موجز وصف به عمر ماروي ان معاوية بن أبي سفيان قال
 لصمصمة بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب فقال

كان عالماً برعيته عادلاً في قضيته عارياً من الكبر قبولا للمذر سهل الحجاب
 مصون الباب متحريراً للصواب رقيقاً بالضعيف غير محابٍ للقريب ولا
 جافٍ للغريب :

وكان من أخص صفاته الجهد المصحوب بالحزم مع الثاني في الامور
 والاستشارة في جليلها وحقيرها لهذا من تتبع سيرته لا يراه فشل في أمر من
 الامور بل كل تلك الاعمال التي عملها في خلافته وذلك الفتح العظيم الذي كان
 على عهده توفيق اليه توفيقاً صاحبه من أول عهده بالخلافة الى حين وفاته وسبب
 هذا التوفيق هو الجهد والحزم وعدم التردد في الامر وتمحيص الاشياء شأن كل
 رجل عظيم يريد ما يقول وينال ما يريد ولو بحثنا في تاريخ الامم القديمة والحديثة
 لوجدنا لكل أمة رجلاً أو رجلاً من رجال السياسة والحرب تفتخر بهم وتعلي
 ذكرهم ولكن ليس من هؤلاء الرجال من اجتمعت فيه كل تلك الخصال السامية
 والاخلاق الحميدة التي اجتمعت في عمر بن الخطاب . إذن فاذا افتخرت كل أمة

برجالها فنحن لانبالغ اذا فاخرنا بهذا الرجل العظيم كل الأمم واذا كان هناك
مبالغة في القول أو غلو في الوصف ووقف غير نامن سير رجال الامم المشهورين
على من اتصف بكل صفات عمر فليبينه لنا وهو المتفضل وأنا اضع له خدي في
التراب اعترافا بالحق وإقراراً بفضل ذوى الفضل من رجال العالم

نعم ان من مشهورى الرجال رجالاتاً أسسوا ملكاً عمر أيضاً أوسع من ملك
عمر وافتتحوا من الممالك ما لم يفتتحه ونالوا من السيادة على الشعوب الكثيرة فوق
ما نال ولكن هل منهم من كان كعمر جباراً غير ظالم كريماً غير مسرف عادلاً
لا عن ضعف شجاعاً غير مهوراً قنواً غير شره زاهداً غير تصنع حليماً من غير جبن
تقياً غير منتطع كلاً ما نظن ان أوصافاً كهذه تجتمع في رجل واحد غير هقط لاسيما
اذا نشأ في بيئة كبيئته وبين قوم كقومه حالهم من البدوة معروف والتاريخ حكم
عدل وما بسطناه من سيرته في هذا الكتاب خير شاهد أمين وأنا والله لنتمني
لكثير ممن مضى من خلفائنا الذين نشأوا في مهاد الحضارة وحسنتهم تجارب
الزمان وغدتهم لبان السياسة بعضهم من أخلاق عمر يحملون بها الأمة على طريق
الخير والسعادة ويربونها على الجد ويتكفون بها طرق المهالك التي ساقها اليها
يد الظلم والاستبداد والجهل باصول سياسة الرعية والله في خلقه شؤون

﴿ أولياته ﴾

تقدم معنا كلام طويل على آثار عمر في الخلافة وفي تلك الآثار ما هو من
أوليائه ونحن ننقل هنا بوجه الاجمال أوليات عمر كما ذكرها السيوطي في تاريخه :
فهو أول من كتب التاريخ من الهجرة وأول من اتخذ بيت المال وأول من سن
قيام شهر رمضان وأول من عس بالليل وأول من عاقب على الهجاء وأول من
ضرب في الخمر ثمانين وأول من حرم المتعة وأول من نهى عن بيع أمهات الاولاد

وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز وأول من فتح الفتوح ومسح السواد وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة (البحر الاحمر) الى المدينة وأول من احتبس صدقة^(١) في الاسلام وأول من أعال الفرائض^(٢) وأول من أخذ زكاة الخيل وأول من قال أطال الله بقاءك (قاله علي) وأول من قال أيدك الله (وقاله أيضاً) وأول من اتخذ الدرّة وأول من استنقضى القضاة في الامصار وأول من مصر الامصار وأول من سمي أمير المؤمنين وكان يكتب اولاً من خليفة أبي بكر او من خليفة خليفة رسول الله حتى كتب مرة الى عامل العراق ان يبعث اليه رجلين جليدين يسألهما عن العراق وأهله فبعث اليه لييد بن ربيعة وعدي بن حاتم فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجد عمر وبن العاص فقالا استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمر انما والله اصبتما اسمه فدخل عليه عمر وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما بالك في هذا الاسم لتخرجن مما قلت فأخبره وقال أنت الامير ونحن المؤمنون فجرى الكتاب بذلك من يومئذ

وهو أول من اتخذ دار الدقيق يعين به المنقطع وأول من وسع المسجد النبوي وفرشه بالحصباء

هذا ما نقله السيوطي من أوليات عمر عن النووي والعسكري وابن سعد ويزيد عليه انه أول من ضرب النقود في الاسلام وأول من استعمل البريد لنقل الرسائل وأول من أقام والياً للحسبة وأول من شق الترع وأقام الجسور وأول من وضع المرابطة من الجنود في الثغور وسمى الاجناد اول من أمر بالعبادة بالمناظير وأول من عين شخصاً مخصوصاً لاقتصاص أخبار العمال وتحقيق

(١) أي وقف وقفاً (٢) أعال من العول المعروف في الفرائض وهي ان تزيد الفريضة

في الحساب فتعدل القسمة على وجه معروف عند علماء الفرائض

الشكايات التي تصل الى الخليفة من عماله وهو محمد بن سلمة وربما كان له اوليات
اخرى غير هذه وقد تقدم الكلام على كل هذا مفصلاً فيما مر من هذا الكتاب

— ❦ —
باب كبير ❦ —

كتب الى أبي عبيدة حين ولي الخلافة يوليه على جند الشام
أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفى ماسواه الذي هदानا من الضلالة وأخرجنا
من الظلمات الى النور وقد استعملتكم على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذي
يحق عليك لا تقدم المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده (١)
لهم وتعلم كيف ما تاه ولا تبع سرية الا في كنف من الناس واياك والقاء المسلمين
في الهلكة وقد ابلاك الله بي وأبلاني بك فاعمض بصرك عن الدنيا وآله قلبك عنها
واياك أن تهلك كما أهلكت من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم (هكذا وردت صورة
هذا الكتاب في تاريخ الطبري ورأينا صورة غيرها في حقائق الاخبار وهي بنصها
(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أبي
عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وقد وليتكم أمور المؤمنين فلا تستحي فان الله لا يستحي من
الحق واني أوصيك بتقوى الله العظيم الذي لا يفى ويفى سواء الذي استخرجك
من الكفر الى الايمان ومن الضلالة الى الهدى وقد وليتكم على جند خالد فاقبض
الجيش منه ولا تنفذ المسلمين الى الهلاك رجاء غنيمة ولا تبع سرية الى جمع كثير
ولا تقل اني أرجو لكم النصر واياكم والتغريب والقاء المسلمين الى الهلكة واعمض
عن الدنيا عينك وانه عنها قلبك واياك أن تهلك كما أهلكت من كان قبلك فقد
رأيت مصارعهم واحترت سرايرهم وبينك وبين الآخرة بيت كالحمام وقد تقدم
اليه سلفك فتتظر سيراً أو سفراً طويلاً من دار قد مضت نضارتها وذهبت منها
زهارتها فأحرم الناس الخارج الى غيرها واتق الله في شرك ونجواك وتفكر في زاد
التقوى وراع المسلمين ما استطعت وأما الخنطة والشعير التي وجدتموها في دمشق
وكرت مشاجرتكم عليها فهي للمسلمين وأما الذهب والفضة ففيهما الخمس والسلام اه

٢

وكتب الى أبي عبيدة يلومه على تركه حصار حاب
 (بسم الله الرحمن الرحيم) من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة عامر بن الجراح
 سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه سيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم وبعد فقد ورد كتابك عليّ مع رسلك فسرّني ما سمعت من الفتح وعامت
 من قتل من الشهداء وأما ما ذكرت من انصرافك عن قلعة حلب الى النواحي التي
 قربت من انطاكية فهذا بئس الرأي أتترك رجلاً ملكك دياره ومدينته ثم ترحل
 عنه وتسمع أهل النواحي والبلاد بأنك ما قدرت عليه فما هذا رأي فيضعف رأيك
 ويعلّو ذكرك بما صنع ويطمع من لم يطمع فترجع اليك الجيوش وتكاتب ملوكها
 فإياك أن تبرح حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين فبئس الحيل في السهل والسعة وكففتها
 في المضايق والحيال ومن المعدات الى حد الدروب ومن صالحك منهم فاقبل صلحه ومن
 سالمك فسلمه والله خليفتي عليك وعلى جميع المسلمين وقد انفذت اليك كتابي هذا
 ومعه أهل مشارف اليمن ممن وهب نفسه لله ولرسوله ورغب في الجهاد في سبيل الله
 وهم عرب وموال رجال وفرسان والمدد يأتيك متواليًا ان شاء الله تعالى اه

٣

وكتب أبو عبيدة كتاباً الى عمر يخبره فيه بانه لا يريد الاقامة بانطاكية لطيب
 هوائها وخوف اخلاذ الجيوش الى الراحة فأجابه بما نصه
 (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح
 سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه سيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم واشكره ملياً (كثيراً) على ما وهب من النصر للمسلمين وجمال العاقبة
 للمتقين ولم يزل معيناً لطيفاً وأما قولك انك لم تقم بانطاكية لطيب هوائها فالله عز
 وجل لم يحرم الطيبات على المتقين الذين يعملون الصالحات فقال تعالى في كتابه العزيز
 (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم) وكان يجب
 عليك أن تريح المسلمين من تعبهم وتدعهم يرغدون (١) في مطعمهم ويريجون الابدان
 النصبه في قتال من كفر بالله وأما قولك انك تنظر أمري الذي أمرك به ان تدخل

(١) يتوسعون ويتنعمون

الدروب خلف العدو فانت الشاهد وأنا الغائب والشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت
بمحضرة عدوك وعيونك يأتونك بالاخبار فان رأيت الدخول الى الدروب صواباً
فابعث اليهم السرايا وادخل معهم بلادهم وضيق عليهم مسالكهم وان طلبوا منك
الصلح فصالحهم وأما قولك ان العرب أبصرت نساء الروم فارادوا التزويج فمن أراد
ذلك فدعه ان لم يكن له في الحجاز أهل ومن أراد أن يشتري الاماء فدعه وذلك
أصون لفروجهم والسلام عليك وعلى جميع من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته
(نقله والذي قبله في حقائق الاخبار عن منشآت السلاطين لفريدون بك)

٤

وكتب اليه كتاباً فقرأه على الناس بالجابية ونصه
من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك أما بعد
فانه لم يقم امر الله في الناس الا حصيف العقدة (١) بعيد الغرة (٢) لا يطلع الناس
منه على عورة ولا يحنق في الحق على جرتة (٣) ولا يخاف في الله لومة لائم (كتر العمال)

٥

وكتب الى ابنه ينصحه
بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه
ومن شكر له زاده ومن قرضه جزاه فاجعل التقوى عماد قلبك وجلاء بصرك فانه
لا عمل لمن لانية له ولا أجر لمن لاحسبة له ولا جديد لمن لا خلق له (العقد الفريد)

٦

وكتب الى أبي موسى الأشعري بوصيه
بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان للناس نفرة عند سلطانهم فاعوذ بالله ان تدركني
واياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة وأهواء متعبة ودينيا مؤثرة فاقم الحدود ولو ساعة
من نهار واذا عرض لك امران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الآخرة
على نصيبك من الدنيا فان الدنيا تنفذ والآخرة تبقى وكن من خشية الله على وجل

(١) قوله حصيف العقدة اي محكمها والعقدة بالضم الولاية على البلد او هي من عقد الجبل
ربطه وهي كناية عن احكام الامر بالمعنى الثاني واحكام الولاية بالمعنى الاول (٢) الغرة هي الغنلة
(٢) قال في لسان العرب لا يصلح هذا الامر الا لمن لا يحنق على جرتة اي لا يحنق على رعيته
وفلان لا يحنق على جرتة اي لا يحنق سراً

وأخف الفساق واجعلهم يداً يداً ورجلا رجلا واذا كانت بين القبائل نائرة (١) وتدعو أبال فلان فانما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيثوا الى امر الله وتكون دعواهم الى الله والى الامام وقد باع أمير المؤمنين أن صبة تدعو يال صبة واني والله ما علم أن صبة ساق الله بها خيراً قط ولا منع بها من سوء قط فاذا جاءك كتابي هذا فانهمكهم عقوبة حتى يفرقوا (٢) ان لم يفقهوا والصق بغيلان بن خريشة من بينهم وعذ مرضى المسلمين واشهد جنائزهم واقبح بابك وباشر امرهم بنفسك فانما انت امرؤ منهم غير ان الله جعلك ألقاهم حملاً وقد باع أمير المؤمنين انه فشا لك ولاهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فايك يا عبد الله ان تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بواد خصب فلم يكن لها همه الا السمن وانما حثفها في السمن واعلم ان للعامل مرداً الى الله فاذا زاغ العامل زاغت رعيته وان اشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام (مفتاح الافكار)



وكتب الى معاوية وقيل الى ابي عبيدة

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني لم آلك في كتابي اليك ونفسي خيراً . اياك والاحتجاب وأذن للضعيف وأذنه حتى تبسط لسانه وتجري قلبه وتعهد الغريب فانه اذا طال حبسه وضاق اذنه ترك حقه وضعف قلبه وانما ترك حقه من حبسه واحرص على الصلح بين الناس ما لم يستبين لك القضاء واذا حضرك الحصان بالبينة العادلة والايامن القاطعة فاهض الحكم (مفتاح الافكار)



(كتابه لاهل ايلياء • • القدس)

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الامان أعطاهم اماناً لانفسهم وأموالهم ولاكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وريثها وسائر ملتها انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن

١ قوله نائرة أي عداوة وقوله يفيثوا أي يربحوا (٢) وقوله حتى يفرقوا أي يخانوا ويفزعوا واذا كانت بتشدد الراء فمعناها يفرقوا

وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (١) فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان (٢) فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحدد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة ١٥ (تاريخ الطبري)

٩

(كتابه إلى أهل لد)

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريتهم وسائر ملتهم انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص من حيزها ولا مللها ولا من صلبيهم ولا من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين ان يعطوا الجزية كما يعطي أهل مدائن الشام وعليهم ان يخرجوا مثل ذلك الشرط إلى آخره (عن الطبري)

١٠

« كتب إلى سعد في اليوم الذي يرتحل فيه من شراف »

أما بعد فاذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوارس وشرق بالناس وغرب بهم « عن الطبري »

١١

(وكتب إليه أيضاً جواباً عن كتابه)

أما بعد فتعاهد قلبك وحادث جنودك بالموعة والنية والحسبة ومن غفل فليحدثهما « ٣ » والصبر الصبر فان المعونة تأتي من الله على قدر النية والاجر على قدر الحسبة . والحذر الحذر على من أنت عليه وما أنت بسيدله وأسألوا الله العافية واكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله . واكتب إلى ابن بلغك جمعهم ومن

« ١ » وفي رواية واللصوص وهو الظاهر « ٢ » هكذا في الاصل « ٢ » هكذا في الاصل
والاحداث الابداء فليحذر

رأسهم الذي يلي مصادمتكم فانه قد منعي من بعض ما أردت الكتابة به اليك قلّة
علمي بما همتم عليه والذي استقر عليه أمر عدوّكم فصف لنا منازل المسلمين والبلد
الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر اليها واجعلني من امركم على الجلية وخف
الله وارزجه ولا تدل بشيء واعلم ان الله قد وعدكم . وتوكل لهذا الامر بما لا خلف
له فاحذر ان تصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم

« وكتب الى سعد وهو بشراف يريد العراق وحرب الفرس ما نصه »

اما بعد فيسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين وتوكل على
الله واستعن به على أمرك كله واعلم فيما لديك انك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم
فاضلة وبأسهم شديد وعلى بلد منيع وان كان سهلاً كؤوده لبحوره وفيوضه ودأده (١)
الآن توافقوا غيضاً من فيض واذا لقيتم القوم أو واحداً منهم فابدؤهم الشر والضرب
واياكم والمناظرة لجموعهم ولا يخذعنكم فانهم خدعة مكررة أمرهم غير أمركم الا ان تجادوهم
واذا انتهت الى القادسية والقادسية في باب فارس في الجاهلية وهي أجمع تلك الابواب
لمادتهم ولما يريدونه من تلك الاصل وهو منزل رغيب خصيب رحيب دونه قناطر
وانهار متمعة فتكون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات
الحجر وحافات المدر والجراخ بينهما ثم أزم مكانك فلا تبرحه فانهم اذا أحسوك انقضت
رموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وخدمهم وجددهم فان أتم صبرتم لعدوكم
واحتسبتم لقتاله ونوئتم الامانة رجوت ان تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم ابدأ
الا ان يجتمعوا وليست معهم قلوبهم وان تكن الاخرى كان الحجر في أديركم فانصرفتم
من أدنى مدرة من أرضهم الى أدنى حجر من أرضكم ثم كنتم عليها اجراً وبها أعلم
وكانوا عنها اجبن وبها اجهل حتى يأتي الله بالفتح ويرد لكم الكرة عليهم (هذا
الكتاب وما قبله عن الطبري)

١٢

(وكتب الى سعد)

قد جاءني كتابك وفهمته فأقم مكانك حتى ينفض الله عدوك واعلم ان لها

« ١ » كؤوده اي صعبه وفيوضه اي مياهه الفائضة والدأدا جمع دأداء وهو الفضاء الواسع
وتوافقوا اي تلاقوا : غيضاً من فيض أي قليلاً من كثير : النقب الطريق يكون في الجبل والثقب وجمعها
انقب ولعل مراده بالانقب هنا أنقاب القناطر التي على الانهار : والحجر والمدر كناية عن البادية
والعمران او المدن والغضاء لان المدر هي المدن والحجر هي نفا الرمل وقوله انقضت اي حركتهم

مابعدها فان منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فانه خرابها
ان شاء الله (الطبري)

١٣

وكتب اليه أبو عبيدة ومعاذ بن جبل ينصحانه

(بسم الله الرحمن الرحيم) من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل الى عمر
ابن الخطاب سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو (اما بعد) فانا عهدناك
وأمر نفسك لك مهم فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها يجلس
بين يديك الصديق والعدو والشريف والوضيع ولكل حصة من العدل فانظر كيف
انت يا عمر عند ذلك وانا نحمدك يوماً تغزو فيه الوجوه ونحب (١) له القلوب وتتقطع
فيه الحجج بحجة ملك قهرهم بجبروته والخلق داخرون (٢) له يرجون رحمته ويخافون
عقابه وانا كنا نحدث ان أمر هذه الامة يرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان
العلانية اعداء السريرة وانا نعوذ بالله ان تنزل كتابنا سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا
فانا انما كتبنا اليك نصيحة لك والسلام

(فكتب اليهما)

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة عامر بن الجراح
ومعاذ بن جبل سلام عليكما فاني أحمد اليكما الله الذي لا اله الا هو (اما بعد) فقد
جاءني كتابكما تزعمان انه بلغكما اني وليت أمر هذه الامة احمرها واسودها يجلس
بين يدي الصديق والعدو والشريف والوضيع وكتبتما ان انظر كيف انت يا عمر عند
ذلك وانه لاحول ولا قوة لعمر عند ذلك الا بالله كتبتما تحذرائي ما حذرت به الامم
قلنا وقديماً كان اختلاف الليل والنهار باجال الناس يقربان كل بعيد ويبيليان كل جديد
وبأنيان بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة والنار ثم توفي كل نفس
بما كسبت اذن الله سريع الحساب كتبتما تزعمان ان امر هذه الامة يرجع في آخر زمانها
ان يكون اخوان العلانية اعداء السريرة ولستم بذلك وليس هذا ذلك الزمان ولكن زمان
ذلك حين تظهر الرغبة والرغبة فتكون رغبة بعض الناس الى بعض اصلاح دينهم ورهبة
بعض الناس اصلاح دنياهم . وكتبتما نعوذ اني بالله ان أنزل كتابكما مني سوى المنزل
الذي نزل في قلوبكما وانما كتبتما نصيحة لي وقد صدقما فتعهداني منكما بكتاب فلاغني

(١) تخاف (٢) اى اذلاء صاغرون

بي عنكما والسلام عليكما (مفتاح الافكار)

وله كتب غير هذه تقدم ايرادها في غضون اخباره وكتب أخرى كتبها الى عمرو بن العاص وهو في مصر رأينا من تمام الفائدة ان نرجع ذكرها الى سيرة عمرو بن العاص لان ايرادها في سيرته أنسب لاشتمالها على تبادل المكاتبه بين الاثنين في شؤون خاصة سترى في محلها ان شاء الله

(كلام على وجوب التصاح في الاسلام)

وأنت ترى من هذين الكتابين كيف كان المسلمون يتناخون بالمعروف عملاً بأمر كتابهم وهدى بينهم ولا يمتنعون عن أداء النصيحة للإمام لكونه اماماً له عليهم السلطان بل يرون أن النصيحة به أحرى وله أولى وان له عليهم حق الطاعة كالمهم عليه حق النصيحة والارشاد الى مواقع الخطأ والتعهد بما يقيم الأود ويصلح العمل شأن الأمم التي تعاون رؤساءها على البر وتعتمد في رفع شأنها على قوة التكافل في الحق والتعاون على شؤون الملك وقد انتهت بهم حرية الفكر والانطلاق عن قيود العبودية والقيام على حسن المناجحة أن لا يغفلوا ساعة عن نصيحة الامام وهو من هو : فذ الأمة الاسلامية ونخر الاسلام والمثل المضروب في التقوى والعدل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنهم أجمعين وقد بلغ بهم الاغراق في حرية الضمائر وعدم الامسك عن الحق ان قال أحدهم لمثل ذلك الخليفة العظيم لماسأله عما اذا ترخص بأمر من أمور المسلمين (لو فعلت لقومناك تقويم القدرح) أى تقويم السهم الموعوج كما رأيت ذلك فيما بسطناه في باب سياسته فما ازداد ذلك الخليفة العظيم الا سروراً بقول ذلك المسلم واستبشاراً في أن المسلمين قائمون على شؤونهم رجال في أخلاقهم متمسكون بشرع بينهم منتهون لكل خطأ يصدر عن خليفتهم وكان ذلك دأبه مع الناس في استطلاع طلع ضمائرهم من جهته ليعلم مبلغ الحياة فيهم ويسترشد الى عيوبه بحميد نصحتهم وصادق قولهم ولم يكن يخطر له على بال أو يمر له في خيال ان استرشاده بآراء ذوى الرأى والبصيرة من المسلمين وانتصاحه بنصائحهم فيه حطة في شأنه أو مس لسلطانه لهذا كتب لابي عبيدة ومعاذ لما نصحاه في آخر كتابه (قد صدقتم فتعهدتني منكما بكتاب فلا غني بي عنكما) وقد رأيت فيما مر زجره لمن اعترض على قائل قال له اتق الله يا عمر وقوله للمعترض دعه فلا خير فيكم اذ لم تقولوها ولا خير فينا اذ لم نسمعها اذا تقرر هذا علمنا أن التصاح بين المسلمين واجب لا يستثنى منه أمير ولا صغير بل الأمير أولى بان ينصح ويستصح بسبب ما وسد اليه من أمور الملك التي ليس من طوق الآحاد

القيام بها الا اذا سلكوا سبيل الآثرة وأطاعوا هوى النفوس فكان الانفراد بالسلطان والتسلط على الرعية والتطوح بمصالح الملك والدولة في مهاوي الهوى أحب اليهم من الانتصاح بنصيحة الاعوان والأخذ على شكائم النفوس الأمانة بالسوء التي يقودها الهوى الى تصور أن الامارة مرتبة لا ينبغي لها أن تكون الا في مصاف الملائكة المقربين أو الانبياء المعصومين وحبذا لو تحقق هذا التصور لانسان من أولئك الامراء اذن والله لحكموا الناس بحكم الانبياء وهو هو التناصح الذي يهربون منه والتعاون الذي يترفعون عنه وحسب هذا الترفع آفة انه أودى بدولة بني مروان في ابان شبابها كما أودى بكثير من اضرابها

المناجحة بالمعروف أس من أسس السعادة القومية في كل قبيل وعصر بل هي مدرسة الامة التي تتربى فيها الاخلاق وتنمو الفضيلة وتتطهر الاعراق وتثبت روح الألفة والتعاون وليس لمدرسة مثلها أثر في الاخلاق ومؤثر في نفوس الامة قط اذ تتناول بالتعليم الكبير والصغير عفواً بلا أجر وتسرى روحها بين كل الطبقات محتارة بلا اكرام فيربي الكبير الصغير ويرشد المهتدى الضال وينصح الصغير الامير وكلهم يتبادل العوض مع الآخر بما ينفعه في اخلاقه ويقوم أوده فينتفع الكل بالكل وتم السعادة والرخاء سائر الناس

أجل هذه هي المدرسة التي ربت مثل معاذ وأبي عبيدة وعمر واضرابهم من عامة المسلمين وخاصتهم فسادوا بالمناجحة والاخلاص على كل الامم وأدهشت سيرتهم انظار الشعوب وامتد ظل سلطانهم على نصف الكرة ونالهم من السعادة والعز والمجد فوق ما رأيت في هذا الكتاب

وهي المدرسة التي علمت الشعوب الاوربية حرية الضمائر والافكار ورفعتهم من حضيض الجهالة وسدكت بهم سبيل المجد وسودتهم لهذا العهد على الامم فملكوا ثلاثة أرباع المعمور وقضوا على استقلال الدول الشرقية فحجوا بعضه محجوا وجعلوا بعضه صورة في الخيال قد باتت على وشك الزوال كما زالت دول الهند العظيمة وافريقيا الكبيرة والجاوى والقريم وبحارى وسمرقند وما لا يعد من الشعوب والدول الاسلامية

ليس بعجيب أن يصير المسلمون في أسر الدول المتغلبة ويتقلص ظل مجدهم عن الارض بعد اذ كان شأنهم في المناجحة والقيام على الحق ما ذكر ثم بلغ ترك المناجحة وانحطاط النفوس والاخلاق بفريق كبير منهم ان صاروا يعدون الناصح بالمعروف

خارجاً عن دينه خارجاً على سلطانه والدين يقول (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم) (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) والنبى صلى الله عليه وسلم يقول (من لم يحمد عدلاً ولا يذم جوراً ففدبارز الله تعالى بالمحاربة) (١) ومن البديهي ان مدح العدل وذم الجور انما يكون بان يقول المسلم للعادل المحسن عدلت وأحسنيت ولالجائر على نفسه أو على غيره جرت وأساءت فاستقم كما أمرت وهو من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذى وردت آياته الباهرة في الكتاب الكريم

ومن الاغراق في الجهالة والتناهي في الانحطاط ان يرى المسلمون بلادهم تخرب واستقلالهم يتزعزع وملكتهم يزول ودولتهم تدول والاوربيون قد غلبوهم على أمرهم وزاحموهم في ملكهم وتحكموا فيهم وفي دولهم وسبقوهم في العلم والمعارف والاختراع واجلبوا عليهم بالخيول والرجل وسدوا دونهم منافذ الصناعة والتجارة واذا دعاهم ناصح من اخوانهم غيور من بنى دينهم الى النظر في أسباب انحطاطهم وارتقاء غيرهم وتقهرهم وتقدم سواهم وابان لهم طرفاً من تلك الاسباب وحكمهم في التفريق بين خطئها والصواب اعرضوا عنه اعراض المريض عن الماء الزلال بل ربما رماه بعضهم بانواع الزور وتقرب بماله واهله ودمه الى ولاة الامور رجاء نيل الخطوة عندهم والتزلف اليهم واكتساب رضاهم وان اغضب الله والمروءة والوجدان وخرج عن الانسانية والدين اذ لاوازع من النفس ينهأ ولا فضيلة تلوى عنان شهوته عن ظلم اخيه والشواهد على هذا كثيرة في الاشخاص والأعمال سنأتى على بيانها في محالها ان شاء الله لتكون عبرة يتعظ بها الآتى والحاضر وصورة في التاريخ ترهب قلوب الاشرار وتزعج عن مواطئ الرذيلة اقدام الفجار

باب

خطبه

اوردنا عند ذكر استخلافه اول خطبة خطبها ورأينا في رواية اخرى رواها ابن الجوزي في المناقب عن جامع بن شداد عن ابيه ورواها غيره من المحدثين من طرق

١ اخرج هذا الحديث في اسد الغابة في ترجمة المغيرة بن نوفل

اخري ان اول خطبة خطبها عمر (رض) ان سعد المنبر وحمد الله واتى عليه وقال
(اللهم اني شديد فائيني واني ضعيف فقوني واني بخيل فسخني) وقد رأينا هذه
الخطبة في العقد الفريد بعبارة اطول الا انها لا تخرج عن هذا المعنى

٢

وفي تاريخ الحافظ ابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال لما ولي عمر بن الخطاب
خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
ايها الناس اني قد علمت انكم كنتم تؤنسون مني شدة وغلظة وذلك اني كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عبده وخادمه وجلاوزه (شرطيه) وكان كما
قال الله تعالى بالمؤمنين رؤفاً رحيماً وكنت بين يديه كالسيف المسلول الا ان يغمدني
او ينهاني عن امر فأكف عنه والاقدمت على الناس لمكان امره فلم ازل مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض والحمد لله على
ذلك كثيراً وانا به اسعد ثم قت ذلك المقام مع ابي بكر الصديق خليفة رسول الله بعد
رسول الله وكان من قد علمتم في رغبة ولبنة فكنت خادمه وجلاوزه وكنت كالسيف
المسلول بين يديه على الناس اخلط شدي بلبنة الا ان يتقدم الي فأكف والاقدمت
فلم ازل حتى توفاه الله فكان عني راضياً والحمد لله على ذلك كثيراً وانا به اسعد . ثم
صار امركم اليوم الي وانا اعلم انه يقول قائل كان يشتد علينا والامر الي غيره فكيف به
لما صار الامر اليه فاعلموا انكم لا تسألون عني احداً قد عرفتموني وخبرتموني وقد
عرفت بحمد الله من محمد نبيكم صلى الله عليه وسلم ما قد عرفت وما اصبحت نادماً على
شيء كنت احب ان اسأله الا وقد سألته واعلموا ان شدي التي كنتم ترونها ازدادت
أضعافاً عن الاول على الظالم والمتعدي والاخذ للمسلمين لضعيفهم من قويمهم واني
بعد شدي تلك واضع خدي الى الارض لأهل العفاف وأهل الكفاف ان كان بيني
وبين من هو منكم شيء من أحكامكم أن أمشي معه الى من أحبه منكم فينظر فيما
بين يديه : فاتقوا الله عباد الله وأعينوني على نفسي بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واحضاري النصيحة فيما ولاي الله من أمركم ١

(١) تصرفت تصرفاً طفيفاً ببعض الالفاظ الواردة بهذه الخطبة لان الناسخ الذي نسخ لي سيرة
عمر من تاريخ ابن عساكر من مكتبة دمشق لم يتمكن من ضبط الالفاظ المشوشة والمتشابهة
لسقامة خط التاريخ

٣

وفي تاريخ الحافظ ابن عساكر أيضاً عن الشعبي قال : لما ولي عمر بن الخطاب
صعد المنبر فقال

ما كان الله ليراني أن أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر فنزل مرقاة فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال : اقرأوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله وزنوا
أنفسكم قبل أن توزنوا وترتبوا للعوض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم
خافية . انه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله «١» إلا وأني أنزلت نفسي
من مال الله بمنزلة وليّ اليتيم ان استغنيت عفت وان افقرت أكلت بالمعروف

٤

وفي الخراج لأبي يوسف خطبة بهذا المعنى الا أنها أطول وأجمع رواها عن
طلحة بن معدان قال

خطبنا عمر بن الخطاب خطبة فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر أبا بكر فاستغفر له ثم قال : أيها الناس انه لم يبلغ ذو حق في حقه أن
يطاع في معصية الله واني لا أجد هذا المال يصاحبه الا خلال ثلاث أن يؤخذ بالحق
ويعطى في الحق ويمنع من الباطل وانما أنا وما لكم كولي اليتيم ان استغنيت استعفت
وان افقرت أكلت بالمعروف ولست أدع أحداً يظلم أحداً ولا يعتدي عليه حتى
أضع خده على الارض وأضع قدمي على الحد الآخر حتى يذعن للحق ولكم عليّ
أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها : لكم عليّ أن لا أجبي شيئاً من خراجكم
ولا مما أفاء الله عليكم الا من وجهه ولكم عليّ اذا وقع في يدي أن لا يخرج مني
الا في حقه : ولكم عليّ أن لا أزيد أعطياتكم وأرزاقكم ان شاء الله وأسد نفوركم :
ولكم عليّ أن لا أليكم في المهالك ولا أجركم (أحبسكم) في نفوركم . وقد اقترب
منكم زمان قليل الامناء كثير القراء قليل الفقهاء كثير الامل يعمل فيه أقوام للاخرة
يطلبون به دنيا عريضة تأكل كل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب الا من أدرك ذلك

«١» يعني بذى الحق نفسه وهو الحق والسلطة الذي لا يتعدى ما أمر الله من العدل الى ما
تأمر به النفس وتطلبه السيادة وهو من قبيل قول أبي بكر «رض» في إحدى خطبه اطيعوني
ما أطعت الله فيكم فرضي الله عن تلك النفوس السامية ما كان أعرفها للحق والعدل والزمها للشرعة
الانصاف مع الرعية

منكم فليثق الله ربه وليصبر: يا أيها الناس ان الله عظم حقه فوق حق خلقه فقال فيما عظم من حقه « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » ألا واني لم أبعثكم أمراء ولا حيارين ولكن بعثكم أئمة الهدى يهتدى بكم فأدروا على المسلمين حقوقهم ولا تضربوهم فذللوهم ولا تحمدوهم فنفتوهم ولا تغلقوا الابواب دونهم فيأكل قلوبهم ضعيفهم ولا تستأثروا عليهم وقاتلوا بهم الكفار طاقهم فإذا رأيتم بهم كلاله فكفوا عن ذلك فان ذلك أبلغ في جهاد عدوكم: أيها الناس اني أشهدكم على أمراء الامصار اني لم أبعثهم إلا ليقهوا الناس في دينهم ويقسموا عليهم فيأهم ويحكموا بينهم فان أشكل عليهم شيء رفعوه اليّ اه
 هذه الخطبة من أجمع خطبه لأنها تمثل عدله وسياسته وعقيدته وتحدد وظيفته وتبين مقاصده وتنبئ عن اخلاصه في خدمة المسلمين وشدته على الظالمين ورافقه بالمظلومين الى غير ذلك مما يدركه القارئ من معاني هذه الخطبة الغراء فرضي الله عنه

٥

﴿ وخطب خطبة فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه ﴾

يا أيها الناس اني قد وُليتُ عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأفواكم عليكم وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم ما توليت ذلك منكم ولكني عمر مهمماً محزناً موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها ووضعها أين أضعها وبالسير فيكم كيف أسير فربي المستعان فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده (تاريخ الطبري)

٦

﴿ وخطب فقال ﴾

ان الله عز وجل قد ولاني أمركم وقد علمت أنفع ما يحضرتكم لكم واني أسئل الله أن يعينني عليه وأن يجرسني عنده كما حرسني عند غيره وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خاتي شيئاً ان شاء الله انما العظمة لله عز وجل وليس للعباد منها شيء فلا يقولن أحد منكم أن عمر تغير منذ ولي: اعقل الحق من نفي وأتقدم وأبين لكم أمري فأيمّا

رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلماً أو عتب علينا في خلق فليؤذني «١» فانما أنا رجل منكم فعليكم بتقوى الله في سرركم وعلانياتكم وحرمانكم واعراضكم واعطوا الحق من أنفسكم ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن يحاكموا اليّ فانه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة «٢» وأنا حبيب اليّ صلاحكم عزيز عليّ عتبكم وأتم أناس عامتكم حضرني في بلاد الله وأهل بلدي لا زرع فيه ولا ضرع الا ما جاء الله به اليه وان الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة وأنا مسؤل عن أماتي وما أنا فيه ومطّاع على ما يحضرتي بنفسي ان شاء الله لا أكّله الى أحد ولا أستطيع ما بعد منه الا بالامناء وأهل النصح منكم للامة ولست أحعل أماتي الى أحد سواهم ان شاء الله (تاريخ الطبري)

وخطب أيضاً

فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان بعض الطمع فقر وان بعض اليأس غنى وانكم مجمعون مالا تاكلون وتاملون مالا تدركون وأتم مؤجلون في دار غرور كنتم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي فمن أسر شيئاً أخذ بسريره ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر فانه من أظهر لنا شيئاً وزعم أن سريره حسنة لم نصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً واعلموا ان بعض الشح شعبة من النفاق (فأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أيها الناس أطيعوا أمواتكم وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم ولا تلبسوا نساءكم القباطيّ فانه ان لم يشف فانه يصف «٣» أيها الناس اني لوددت أن أجو كفافاً لالي ولا عليّ واني لأرجو ان عسرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم ان شاء الله وان لا يبقى أحد من المساميين وان كان في يده الا آتاه حقه وانصبيه من مال الله ولا يعمل اليه نفسه ولم ينصب «٤» اليه يوماً وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ولقليل في رفق خير من كثير في عسف والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر والشهيد

«١» أي فليعلمني وهي من آذنه بالامر أي أعلمه به «٢» هوادة بالفتح الصلاح والاختصاص بالميل «٣» القباطي أثواب مشهورة وشف رق خشكي ما تحته وبصف لعله من الوصف أو من التواصف وهو أن يصفوا الشيء بعضهم لبعض «٤» ولا يعمل اليه نفسه أي لا يجهد نفسه اليه أي يأتيه بلا طلب . ولم ينصب أي لم يتعب

من احتسب نفسه واذا أراد أحدكم بعيراً فليعمد الى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فان وجده حديد الفؤاد فليشتره (تاريخ الطبري)

وخطب أيضاً

فقال ان الله سبحانه وبجده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدينا عن غير مسئلة منكم له ولا رغبة منكم فيه اليه فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته وكان قادراً ان يجعلكم لأهون خلقه عليه فجعل لكم عامة خلقه ولم يجعلكم لشيء غيره وَسَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ (١) عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَحَمَلَكُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ثم جعل لكم سمعاً وبصراً ومن نعم الله عليكم نعم عم بهما بني آدم ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم وليس من تلك النعم نعمة وصلت الى امرئ خاصة الا لوقسم ما وصل اليه منها بين الناس كلهم انعمهم شكرها وقد حهم (٢) حقها الابعون الله مع الايمان بالله ورسوله فاتم مستخلفون في الارض قاهرون لاهلها قد نصر الله دينكم فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم الا أمتان أمة مستعيدة للاسلام وأهله يجوزون لكم يستصفون معاشهم وكذا نهم ورشح جباههم (٣) عليهم المؤونة ولكم المنفعة وأمة تتظرو قائع الله وسطواته في كل يوم وليلة قد ملاً الله قلوبهم رعباً فليس لهم معقل (٤) يلجئون اليه ولا مهرب يتقون به قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم مع رفاغة العيش (٥) واستفاضة المال وتتابع البعوث وسد الثغور باذن الله مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الامة على أحسن منها مذ كان الاسلام والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد فما عسى ان يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ولا يقدر قدرها ولا يستطيع أداء حقها الابعون الله ورحمته ولطفه فنسأل الله الذي لا اله الا هو الذي أبلانا هذا ان يرزقنا العمل بطاعته والمسارعة الى مرضاته واذكروا

(١) أفاض (٢) اتقلمهم «٣» قوله يجوزون أي يعطون الجزية : وكذا نهم أي سعيهم أو مكاسبهم : ورشح الجباه عرقها (٤) حصن ومجأ (٥) رفاغة العيش سعته وخصبه

عباد الله بلاء الله عندكم واستتموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم منى وفرادى فان الله عز وجل قال موسى (أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) وقال لمحمد صلعم (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ) فلو كنتم اذ كنتم مستضعفين محرومين وخير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون اليها مع المعرفة بالله ودينه وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة وأثبتة بالله جهالة فلو كان هذا الذي استشلكم (١) به لم يكن معه حظ في دنياكم غير انه ثقة لكم في آخرتكم التي اليها المعاد والمقلب وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرىء ان تشحوا على نصيبكم منه وان تظهروه على غيره قبله اما انه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ومن شاء ان يجمع له ذلك منكم فاذا كرم الله الخائل بين قلوبكم الاما عرفتم حق الله فعمائم له وقسرتم انفسكم على طاعته وجمعت مع السرور بالعم خوفها ولاسقاها ووجلا منها ومن تحويلها فانه لاشيء اسلب للنعمة من كفرانها وان الشكر امن للغير ونماء للنعمة واستجاب للزيادة: هذا لله علي من أمركم ونهيكم واجب (تاريخ الطبري)

٩

﴿ وخطب لما شيع جيش سعد بن أبي وقاص ﴾

ان الله تعالى ضرب لكم الامثال وصرف لكم القول ليحيي به القلوب فان القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله . من علم شيئاً فلينتفع به . وان للعدل امارات وتبشير فأما الامارات فالحياء والسخاء والهيمن والابن وأما التبشير فالرحمة وقد جعل الله لكل أمراً باباً ويسر لكل باب مفتاحاً فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد . والاعتبار ذكر الموت بتذكر الاموات والاستعداد له بتقديم الاعمال . والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق (أي عنده) وتأدية الحق الى كل أحد له حق . ولا تصانع في ذلك أحداً واكتف بما يكفيه من الكفاف فان من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء . اني بينكم وبين الله وليس بيني وبينه أحد وان الله قد ألزمني رفع الدعاء عنه فأهوا شكاتكم اليها فمن لم يستطع فالي من يبلغهاها ناخذله الحق غير متع (٢) (تاريخ الطبري)

(١) استشلاه دعاء ليحييه من ضيق أو هلاك (٢) في القاموس تمتعه أي تتله وحركه بعنف أو أكرهه في الامر

١٠

وسمع مرة ان نفر يقولون لو مات عمر لبايعنا فلاناً اعتماداً منهم على ان بيعة أبي بكر تمت بمبايعة نفر من المهاجرين والأنصار فأراد عمر رضي الله عنه أن يبين لهم ان بيعة أبي بكر كانت فلتة وأن أهليته واستعداده وخرج الموقف الذي وقف به المسلمون يومئذ سوغ تلك البيعة فخطب فيهم هذه الخطبة التي رواها الشيخان فقال •

قد بلغني ان فلاناً منكم يقول لو مات عمر بايعت فلاناً فلا يعترن امرؤ ان يقول ان بيعة أبي بكر كانت فلتة الا وانها كانت كذلك الا أن الله وقي شرها وليس فيكم اليوم من تقطع اليه الاعناق مثل أبي بكر وانه كان من خيرنا حين توفي رسول الله صلى عليه وسلم وأن علياً والزبير ومن معهما تحلفوا في بيت فاطمه وتحلفتم الأنصار عنا بأجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون الى أبي بكر فقلت يا أبا بكر انطلق بنا الى اخواننا من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلاً صالحاً فذكر لنا الذي صنع القوم فقالوا اين تريدون يا معشر المهاجرين قلت نريد اخواننا من الأنصار فقالوا عليكم ان لاتقربوهم واتصوا امركم يا معشر المهاجرين فقلت والله لنايتهم • فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فاذا هم مجتمعون واذا بين ظهرانهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ماله قالوا وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فأتى على الله بما هو اهله وقال (اما بعد) فحجنا انصار الله وكتيبة الاسلام وانتم يا معشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة (١) منكم يريدون ان تحزنوننا من اصنامنا وتحزنوننا من الامر فلما سكت أردت أن أتكلّم وقد كنت زوّرت مقالة أعجبتني أردت ان اقولها بين يدي أبي بكر وقد كنت ادارى منه بعض الجد وهو كان احلم مني وأوقر فقال ابو بكر على رسلك فكرهت أن أغضبه وكان أعلم مني والله ماترك من كلمة أعجبتني في تزويري الاقاهلاني بداهته وافضل حتى سكت فقال

اما بعد فذاكرتم من خير فائتم أهله ولم تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحيا من قريش هم اوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين ايهما شئتم • فأخذ بيدي ويدي أبي عبيده بن الجراح فلم أكره مما قال غيرها وكان والله ان أقدم فتضرب عني لا يقربني ذلك من ثم احب الى من أن أتأمر على قوم فيهم ابو بكر

(١) الدافة الجيش يدفون نحو العدو : والاختزال : الاقتطاع وتحزنوننا تكفوننا

فقال قائل من الانصار انا جديها المحكك وعذيقها المرجب منا امير ومنكم امير
يامعشر قريش وكثر اللغظ وارتفعت الاصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت ابسط
يدك يا ابا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الانصار أما والله ما وجدنا
فيما حضرنا امراً هو اوفق من مبايعة ابي بكر . خشينا ان فارقنا القوم ولم تكن
بيعة ان يحدثوا بعدنا بيعة فاما ان نبايعهم على ما لانرضى واما ان يخالفهم فيكون
فيه فساد

١١

﴿ وخطب فقال ﴾

ايها الناس ما الجزع مما لا بد منه وما الطمع فيما لا يرجى وما الحيلة فيما سيزول وانما
الشيء من اصله وقد مضت قبلنا اصول ونحن فروعها فما بقاء الفرع بعد اصله انما
الناس في هذه الدنيا اغراض تتنصل (١) المنايا فيهم وهم نصب المصائب مع كل جرعة
شرق وفي كل اكلة غصص لا ينالون نعمة الا بفراق اخرى ولا يستقبل معمر من
عمره شيئاً الا بهدم آخر من اجله وانتم اعوان الختوف على انفسكم فآين المهرب مما
هو كائن وانما ينقلب الهارب في قدرة الطالب فما اصغر المصيبة اليوم مع عظم الفائدة
غداً واكثر جنبه الجانب جعلنا الله واياكم من المتقين (مفتاح الافكار)

١٢

﴿ وخطب فقال ﴾

ايها الناس انه اتى على حين وانا احسب ان من قرأ القرآن انه انما يريد به الله
وما عنده الا وقد خيل الى ان اقواماً يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس الا
فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه باعمالكم فاناً كنا نعرفكم اذ الوحي ينزل واذ النبي
صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فقد رفع الوحي وذهب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فانما نعرفكم بما أقول لكم الا فن أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً واندينا به عليه ومن
اظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه أقدموا (٢) هذه النفوس عن شهواتها
فالها طلعة فانكم الا تقدموها تنزع بكم الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مريء وان

« ١ » في أساس البلاغة وخرجوا ان النضال وهم يتناضلون ويتنصلون : ومعناه يترامون
ويتبارون « ٢ » قوله أقدموا أى كفوا وقوله نفس ظلمة تكثير التطلع الى النبي

الباطل خفيف وبيء وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة
وشهوة ساعة اورثت حزنا طويلا (مفتاح الافكار)

١٣

﴿ وخطب فقال ﴾

انما الدنيا أمل مخترم (١) وأجل منتقض وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت
ليس فيه تعريج فرحم الله امرءا فكر في أمره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال
ذنبه بئس الجار الغني يأخذك بما لا يعطيك من نفسه فان أبيت لم يعذك اياكم والبطنة
فانها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ومؤدية الى السقم وعليكم بالقصد في قوتكم
فهو أبعد من السرف وأصح للبدن وأقوى على العبادة وان العبد لن يهلك حتى
يؤثر شهوته على دينه (مفتاح الافكار)

١٤

﴿ خطبته بالجابية عند أوبته من الشام الى المدينة ﴾

قال بعد ان حمد الله وأتى عليه ألا اني قد وليت عليكم وقضيت الذي علي في الذي
ولاني الله من أمركم ان شاء الله قسطنطينا بينكم فيكم ومنازلكم ومغازيكم وأبلغنا
مالديكم فجدنا لكم الجنود وهيئنا لكم الفروج ويواناكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيكم
وما قاتم عليكم من شامكم وسمينا لكم أطعاعكم وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم
ومعاونكم فمن علم علم شئ ينبغي العمل به فبلغناه نعمل به ان شاء الله ولا قوة الا
بالله (تاريخ الطبري)

﴿ باب ﴾

﴿ مقتل عمر ﴾

ذكر أرباب السير والمحدثون عن مقتل عمر ان أبا لؤاؤة غلام المغيرة
ابن شعبه شكاه اليه ارتفاع الخراج الذي ضربه عليه مولاه المغيرة وطلب اليه

«١» مخترم اي منتقض وقوله منتقض من الانتقاض وهو التراجع والانتكاس

تخفيفه فمن قائل انه وعده خيرا أو عزم أن يلقى المغيرة في تخفيف الحراج عنه ومن قائل انه سأله كم خراجك قال درهمان في كل يوم قال وايش صناعتك قال نحاس نقاش حداد قال فارأي خراجك بكثير على ما تصنع من الاعمال فتوعد الغلام وانصرف فقال عمر توعدني العبد

قالوا ولما انصرف عمر الى منزله جاءه من الغد كعب الاحبار فقال يا امير المؤمنين اعهد فانك ميت في ثلاثة ايام: قال وما يدريك قال أجده في كتاب الله عز وجل التوراة قال عمر الله انك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة: قال اللهم لا ولكني أجده صفتك وحليمتك وانه قد فني أجلك: قال وعمر لا يحس وجعا ولا أمدا فلما كان من الغد جاءه كعب فقال يا امير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان وهكذا مازال يحببته كل يوم الى مساء اليوم الذي قتل في صبيحته . ومن روى هذا الخبر وذكر فيه قول كعب هذا ابن جرير الطبري في تاريخه رواه عن المسور بن مخرمة وروى في أسد الغابة عن أبي رافع ان أبولؤلؤة لما طلب الى عمر ما طلب قال له عمر اتق الله وأحسن الى مولاك ومن نية عمران يلقى المغيرة فيكاهه ان يخفف عنه فغضب العبد وقال وسع الناس كلهم عدله غيري فأضمر على قتله فاصطنع له خنجرأ له رأسان وشحذه وسمه ثم أتى به الهرمزان فقال كيف ترى هذا قال انك لا تضرب به أحدا الا قتلته قال فتحين أبولؤلؤة عمر فجاءه في صلاة العداة حتى قام وراء عمر وكان عمر اذا أقيمت الصلاة يقول أقيموا صنفوكم فقال كما كان يقول فلما كبر وجاءه (طعمه) أبولؤلؤة في كتفه وجاءه في خاصرته وقيل ضرب به ست ضربات فسقط عمر وطعن أبولؤلؤة بخنجره ثلاثة عشر رجلا (ممن حاولوا القبض عليه) فهلك منهم سبعة

وفي رواية ان أحد المسلمين اتى على أبي لؤلؤة برنسا ليمكن من القبض

عليه فلما أحس انه مأخوذ اتحرج بخنجره: وفي رواية الطبري وغيره ان عمر لما سقط
قال أفي الناس عبد الرحمن بن عوف قاتلوا نعم هو ذاقا قال تقدم فصل بالناس : فصلي
عبد الرحمن بالناس صلاة خفيفة وعمر طريح ثم اجتمعت فادخل داره فدعا بعلي
وعثمان والزبير وسعدوا أمرهم ان يتشاوروا في أمر الخلافة وقال لهم انتظروا أخاكم
طلحة ثلاثا فان جاء والا فاقضوا أحدكم وليشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من
الامر شيء قوموا فتشاوروا واوليصل بالناس صهيب: ثم قال لابي طلحة لانصاري
يا أبا طلحة ان الله أعز بك الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار وكونوا مع
هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم: وقال للمقداد بن الاسود اذا وضعتوني
في حفرتي اجمع هؤلاء الرهط وقم على رؤسهم فان اجتمع خمسة على رأي واحد وأبي
واحد فأشدخ رأسه بالسيف وان اجتمع أربعة ورضوا وأبي الاثنان فاضرب
رأسيهما فان رضي ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا
بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين ان رغبوا عما
اجتمع عليه الناس

وفي المناقب عن ابن ميمون قال لما طعن عمر دخل عليه كعب فقال (الحق
من ربك فلا تكن من الممترين) قد أنبأتك انك شهيد فقلت من أين لي الشهادة
وأنا في جزيرة العرب وفي تاريخ الطبري ان المهاجرين والانصار جعلوا يدخلون
على عمر لما طعن فيسلمون عليه ويقول لهم أعن منكم كان هذا فيقولون معاذ
الله ودخل في الناس كعب فلما نظر اليه عمر أنشأ يقول

فأوعدني كعب ثلاثا أعدها ولا شك ان القول ما قال لي كعب

وما بي حذار الموت اني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

وفي رواية أبي جعفر الطبري ان عبيد الله بن عمر قتل بأبيه ابنة أبي اؤلوة

وقتل جفينة رجلا نصرانياً من اهل الحيرة أتى به سعد بن ابي وقاص ليعلم الناس
 الكتابة وقتل الهرمزان وان سبب قتله للاثنين الاخيرين ان عبد الرحمن بن ابي
 بكر قال غداة قتل عمر : رأيت عشية امس الهرمزان و ابا لؤلؤة وجفينة وهم
 يتناجون فلما رأوني ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه وهو
 الخنجر الذي ضرب به عمر فقتلهم عبيد الله وقال والله لا قتلن رجلاً ممن شرك في
 دم ابي يمرض بالمهاجرين والانصار فبلغ ذلك صهيياً فبعث اليه عمر وبن العاص فما
 زال به حتى اخذ منه السيف ثم ثاوره سعد بن ابي وقاص واخذه وحبسه في داره
 هذه الروايات التي جاءت في قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن امعن
 فيها النظر وراجع ما كتبتناه عن الهرمزان ونسكته عهد المسلمين قبل اسره المرة
 بعد المرة وكيف احتال للخلاص من القتل ثم اذا ضاف الى هذا ما ذكرناه في اخبار
 نهاوند من ان ابا لؤلؤة فارسى الاصل من نهاوند وقد كان اسره الروم ثم اسره منهم
 المسلمون ولما قدم سبي نهاوند الى المدينة جعل ابو لؤلؤة لا يلقى منهم صغيراً الا
 مسح رأسه وبكى وقال له اكل عمر كبدي وان جفينة نصراني وان كعب الاحبار
 يهودي حديث عهد بالاسلام وان مر ارجل الخنجر على عمر وتديخه ببلادهم وقهره
 لهم ولملوهم كانت تعلى في صدورهم وولاء الدخلاء في الدين اتضح لديه ان قتل عمر
 لم يكن الا عن مؤامرة بين اولئك الدخلاء كما شهد بذلك عبد الرحمن بن ابي بكر
 وان السبب الظاهر الذي اختلقه ابو لؤلؤة تحتها اسباب اهم واعظم وهي الغيظ
 والحقد على المسلمين وان اباهريرة كان واقفاً على امر هذه المؤامرة فانذر عمر
 بالقتل قبل ثلاثة ايام من قتله والافقوله لعمر انه رأى خبر قتله في التوراة كلام غير
 معقول يرفضه العقل بتناول ليس عليه دليل كما انه ليس لابي هريرة ان يعلم الغيب
 وانما علمه عند الله ومن المحتمل ان لا يكون لابي هريرة يد في هذه المؤامرة الا

انه علمها واراد ان يعرض بذكرها لعمر رضى الله عنه بالكفاية تحذيراً له ولم يشأ ان يصرح له بذلك لامر لانعلمه الا ان عمر رضى الله عنه لم يعباً لسلامة صدره بقوله ولم يشدد عليه في السؤال ووربما لم يخطر له ذلك الامر في بال لما يعلمه من نفسه من القيام على الحق والعدل وانصاف الناس مسلمهم وغير مسلمهم وعربهم وعجمهم ومن كان هذا شأنه يكون بالطبع آمناً غائلة الناس وغدر الغادرين وخصوصاً عمر بن الخطاب الذي يحكى انه جاءه مرة رسول من قبل ملك الروم فوجده نائماً على الارض متوسداً الحصى فقال: لله انت عدات فأمنت فمنت . ولكن قُدر على المسلمين ان يفعلوا عن مضره وجود امثال اولئك الدخلاء في المدينة في مثل عصر عمر الذي كانت فيه جيوشه تضرب في انحاء الارض وتشل عروش الملوك وتزعزع اركان الممالك وتشيد بنيان الاسلام وهذا كله مما يحفظ قلوب الاعداء ويطوى جوانحهم على دغل ويستدعي الانتباه لمثل ابى لؤاؤة والهزمران وجفينة وامثالهم من الدخلاء ولا ينبغي ان يحسن بهم الظن الا مع الاحتياط والتحذير فيما يتناسون ثأرهم وتضعف في نفوسهم اسباب الضغن ويسكنون الى سلطان المسلمين . يأنفون حكم الاسلام ويوثق باخلاصهم في الطاعة وامانة الجوار هذا مع ان عمر رضى الله عنه كان يكره وجود الاعاجم في المدينة فلا ندرى لهذا السبب ام غيره فقد اخرج في المناقب عن ابن عمر قال كان عمر يكتب لامراء الجيوش لا تجلبوا علينا من العلوج احد اجرت عليه المواسى فلما طعنه غلام المغيرة قال الم اقل لكم لا تجلبوا علينا من العلوج احد افغلبتموني: فربما كان على علم وبينة مما يبطنون الا انه لم يظن انهم يجرأون عليه مادام قائماً فيهم وفي كل الرعية بالقسط هذا ولما طعن عمر قال لابن عباس انظر من قتلني فقال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة: قال الصنيع: قال نعم: قال قتله الله لقد امرت به معروفاً

فالحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعى الإسلام ولما حمل الى بيته جزع الناس عليه جزعاً شديداً وكأنه لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ وأما هورضى الله تعالى عنه فقد أظهر من الثبات والجلد ما هو معروف به في حال الشدة والرخاء وكان اول همه النظر في أمر الخلافة وتقريرها على وجه يمنع من حصول الفتنة بعدها فرأى ورأيه الحق أن يتركها شورى بين النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ففعل وبلغ به الحرص على دفع الفتنة وتعجيل نصب الخليفة بعده ان امر المقداد بما أمركي لا يكون بينهم فتنة وان كانت فان تقمع بالسيف

وفي المناقب عن ابن عمر ان عمر دعا بطبيب ينظر في جرحه فجاءه بطبيب من الانصار من بنى معاوية فسقاه لبناً فخرج من الطعنة أبيض فقال له الطبيب يا أمير المؤمنين اعهد : فقال عمر صدقتي أخو بنى معاوية ولو قلت غير ذلك لكذبتك : فبكى عليه القوم حين سمعوا فقال لا تبكوا علينا من كان با كياً فليخرج ألم تسمعو اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدب الميت بكاء أهله عليه

وفيه عن جعفر بن محمد : قال لما طعن عمر اجتمع اليه البديريون المهاجرون والانصار فقال لابن عباس اخرج اليهم فسلهم عن ملاء منكم ومشورة كان هذا الذي أصابني قال فخرج ابن عباس فسألهم فقال القوم لا والله ولو ذنا أن زاد الله في عمر ك من أعمارنا

وفي العقد عن ابن عباس قال دخلت على عمر بن الخطاب في أيام طعنته وهو مضطجع على وسادة من أدم وعنده جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رجل ليس عليك بأس : قال لئن لم يكن علي اليوم ليكون بعد اليوم وان للحياة لنصيدياً من القلب وان للموت لكرهه وقد كنت أحب ان أنجي نفسي وأنجو منكم وما كنت من أمركم الا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ويخشى ان يموت دونها

فهو يركض بيديه ورجليه. وأشد من الغريق الذي يرى الجنة والنار وهو مشغول
واقتركت زهرتك كما هي ما لبستها فأخلفتها. وثمرتك يانعة في أكمامها ما أكلتها
وما جنيت ما جنيت الالكيم وما تركت ورائي درهما معدا ثلاثين أو أربعين درهما:
ثم بكى وبكى الناس معه: فقلت يا أمير المؤمنين أبشر فوالله لقد مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ومات أبو بكر وهو عنك راض وإن المسلمين
راضون عنك: قال (أى عمر) المغرور والله من غررتوه أما والله لو أن لي ما بين
المشرق والمغرب لا فتديت به من هول المطلع

وفيه عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما طعن عمر بن الخطاب قيل له
يا أمير المؤمنين لو استخلفت: قال إن تركتكم فقد تركتكم من هو خير مني وإن
استخلفت فقد استخلف عليكم من هو خير مني ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً
لا استخلفته فإن سألني ربي قلت سمعت نبيك يقول إنه أمين هذه الأمة ولو كان
سالم مولى حذيفة حياً لا استخلفته فإن سألني ربي قلت سمعت نبيك يقول إن سالما
ليحب الله حباً لو لم يحفه ما عصاه قيل له فلو أنك عهدت إلى عبد الله فإنه أهل في
دينه وفضله وقديم إسلامه قال: بحسب آل الخطاب إن يحاسب منهم رجل واحد
عن أمة محمد ولو ددت أني نجوت من هذا الأمر كفافاً لآلي ولأعلي: ثم راحوا
فقالوا يا أمير المؤمنين لو عهدت فقال: قد كنت أجمعت بعد مقاتلي لكم أن أولي
رجلاً أمركم أرجو أن يحملكم على الحق وأشار إلى علي بن أبي طالب ثم رأيت إن
لا تحملها حياً ولا ميتاً فعليكم هؤلاء الرهط الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم
أنهم من أهل الجنة وذكر السبعة واستثنى من الشورى سعيد بن زيد وقال عن
الستة فليختاروا منهم رجلاً فاذا ولوكم والياً فأحسنوا وازرته (أى معاونته) في
حديث طويل سيأتي معناه هو بمعناه في قصة الشورى إن شاء الله

ومن هذا تعلم مقدار حرج الموقف في منصب الخلافة الرفيع حتى ان عمر لم يقبل ان يتحمل مسؤوليته بعد الموت كما تحملها في الحياة وانما يعرف هذه المسؤولية من كان له دين يردعه كعمر بن الخطاب رضي الله عنه واخوانه من الخلفاء الراشدين اخرج في أسد الغابة عن عمرو بن ميمون في حديث طويل ان عمر قال لابنه يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً قال ان وفي له مال آل عمر فأدّوه من أموالهم والأفضل في بني عدي فان لم تف أموالهم فسل في قریش ولا تمدهم الى غيرهم فأد عني هذا المال وانطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل لها يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للؤمنين أميراً وقل يستأذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فسلم (أي عبد الله) واستأذن ودخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر ابن الخطاب السلام ويستأذن ان يدفن مع صاحبيه : فقالت كنت أريده لنفسى ولا وُثرت به اليوم على نفسي : فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء : قال عمر ارفعوني فأسنده رجل اليه فقال مالديك قال الذي تحب قدأذنت : قال الحمد لله ما كان شيء أهم الي من ذلك فاذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت لي فأدخلوني وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين

روي انه لما نقل عمر قال لابنه عبد الله ضع خدي على الارض فوضعه على الارض فجعل يقول ويلى ويلى وويل أمى ان لم يغفر لي ربي ثم مات ولما توفي صلى عليه في المسجد وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسله ابنه عبد الرحمن وصلى عليه صهيب وكان تقدم قبل ذلك على عثمان للصلاة عليه فقال عبد الرحمن لا اله الا الله ما أحرصكم على الامرة أما علمتما ان أمير المؤمنين قال ليصل

قال في أسد الغابة روى أبو بكر بن اسماعيل بن محمد بن سعد انه قال طعن
عمر يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم
الاحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر
واحد وعشرين يوماً قال : وقال عثمان بن محمد الاحمسي هذا وهم توفي عمر لاربع
ليال بقين من ذي الحجة وبويع عثمان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة
وتوفي عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل اقل والاول اصح الاقوال في

عمره

(وصيته لمن يخلفه)

أخرج ابن الجوزي وغيره من الحفاظ والمحدثين عن ابن عمر انه قال : دفع
الي عمر كتاباً فقال اذا اجتمع الناس على رجل فادفع اليه هذا الكتاب واقراءه مني
السلام فاذا فيه

أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله وأوصيه بالمهاجرين الاولين : الذين
أخرجوا من ديارهم واموالهم ينتفون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله
ورسوله : ان يعرف حقهم ويحفظ لهم كرامتهم . وأوصيه بالانصار خيراً (الذين
تبوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما أتوا الى قوله تعالى : المفلحون : ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن
مسيئتهم وأن يشر كوافي الامر . واوصيه بذمة^(١) الله وذمة محمد صلى الله
عليه وسلم ان يوفيهم بهداهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم وان يقابل من ورائهم
(اي يحميهم) اه

«١» وهم أهل الذمة من غير المسلمين ويدخل فيها الفرس والكتابيون وكل من رضی
بدفع الجزية للمسلمين فصار ذمة له ما لهم وعليه ما عليهم

هكذا انقضت حياة هذا الرجل العظيم نقية طاهرة بعد أن فتح الممالك
ورفع منار الاسلام وبسط بساط العدل وبث روح الجد والنشاط في العرب
وأسس لهم ذلك الملك العريض وقل بهم جيوش فارس والروم ورباهم على العفاف
وكف يد الظلم واحترام اليهود والوفاء بالذمة كما أمر به الاسلام وقررت شريعة
محمد عليه الصلاة والسلام فسعدت بحياته الرعية من سائر الملل ودخل الامم في
طور جديد من الحرية والعدل والأمن والراحة لم يكونوا يمهدون له ولم يكن
لأسلافهم أن يروه وبلغ به الحرص على ذلك البذر الطيب الذي بذره في المسلمين
أن أوصى عند آخر نسمة من حياته بتلك الوصية الغراء التي تدل على الهمة العالية
والشيم الطاهرة والاخلاق البارة التي اكتسبها عمر من نبيه عليه الصلاة والسلام
فكان خير قدوة للمسلمين وذكري الفخر الخالد لهم بين الناس أجمعين
لما توفي عمراً أكثر الشعراء من مرأيه فرثاه حسان بن ثابت وعاتكة بنت
زيد بن عمرو بن نفيل وكانت زوجته وغيرها

(صفتة)

قال في أسد الغابة كان عمر أعسر يسر يعمل بكتا يديه وكان أصلع طويلاً
قد فرع^(١) الناس كأنه على دابة وقال الواقدي كان عمر أبيض أمهق^(٢) تعلوه
حمرة يصفر لحيته وانما تغير لونه عام الرمادة لأنه أكثر من أكل الزيت وحرم
على نفسه السمّن واللبن حتى يخلصب الناس : وقال بعضهم انه كان أسمر شديد
السمرّة وهو الاكثر عند أهل العلم

(١) علام (٢) الابيض لاحمرة فيه

— باب —

(ولده وعماله)

(ولده)

قال ابن قتيبة ولد عمر بن الخطاب هم عبد الله وحفصة أمهما زينب بنت مضمون . وعبيد الله (وهو الذي قتل الهرمزان وجفينة) وأمه مليكة بنت جرول الخزاعية . وعاصم وأمه جميلة بنت عاصم بن ثابت حمي الدير . وفاطمة وزيد وأمهما أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب . ومجير واسمه عبد الرحمن . وأبوشحمة (وهو الذي حده أبوه في الخمر فمات) واسمه أيضاً عبد الرحمن . وبنات أخر وأما الذين أعقبوا من أولاد عمر فهم عبد الله وعبيد الله وعاصم ومجير وعقب مجير هذا بادوا ولم يبق منهم أحد

(عماله)

كان عماله على الامصار سنة ٢٣ أي السنة التي توفي بها علي مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعي . وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقيفي وعلى الكوفة المغيرة ابن شعبة وعلى البصرة أبو موسى الأشعري . وعلى مصر عمرو بن العاص . وعلى دمشق معاوية بن أبي سفيان . وعلى حمص عُمَيْرُ بن سعد وعلى البحرين وماحولها عثمان بن أبي العاص الثقيفي وعماله في الحرب من علمنا من القواد الذين مر ذكرهم قبل وكاتبه زيد بن ثابت وكتب له مِعْيَقِيبُ أيضاً وعلى بيت ماله عبد الله بن أرقم وحاجبه يرفاً مولاه

— باب —

(الحالة الاجتماعية على عهده)

كانت الحالة الاجتماعية على عهد عمر غيرها على عهد أبي بكر رضي الله عنهما إذ

توطد على عهد الثاني للمسلمين الملك وشيدت دعائم الدولة وصارت تلك الأمة العربية المشهورة بالانقسام والتفرق والجهل بأمور الدولة والانغماس في الجهالة وسداجة الفطرة سائسة ملك وربة سطوة ومجد ومقننة قانون وصاحبة دين جعلها أمة تذكر في التاريخ بأنها أعظم الأمم وكانت تلك الحياة العربية والجامعة المليمة مع انها بادية الظهور تنمو بسرعة وتؤذن بانقلاب عظيم يحدث في أنحاء العالم وتهزله أركان الدول العظمى يومئذ حيث اندفعت هذه الأمة بقوة الجامعة الاسلامية والاتحاد القومي على أطراف الممالك المجاورة لها وهي فارس والروم فانزعجت من الأولى سلطانها وتغلغت بجيوشها في أحشاء بلادها وقلبت سرير ملكها وأزعجت قادتها ورؤساءها وأجأت للانكماش الى أطراف البلاد الشرقية والتخلي عن الملك أسرة الاكسرة من ملوكها وأنقصت من الثانية أطرافها وقلصت عن سورية والجزيرة ومصر ظلها وهي تتقدم في داخل بلادها وتهتدد بالهجوم عاصمة الامبراطور

تأصلت في تلك الممالك جزور الاستعباد وتناسى الروم معنى الحرية التي كان يقاتلونها أسلافهم الرومان ويدافعون عنها يد الامبراطرة والملوك وخنق الفرس للاكسرة واستعبدوا لاشراف البلاد فألف الفريقان حكم المبودية وفقدوا مبدأ الاعتماد على النفس والاستقلال الذاتي في الحياة فجاءهم العرب وقد امتزج في دماهم حب الحرية حتى ما يطيقون علو أمير المؤمنين عليهم واستئثاره بشي من أمورهم دونهم كما رأيت فيما مر فنفتوا في روعهم روحاً جديدة من حب الاستقلال الذاتي والحرية الشخصية فهبوا كمن نشط من عقال فوضعوا أيديهم في أيدي الغالبيين علامة الشكر والوفاء وشعروا حينئذ بأنهم بشر لا يخطون في الحقوق العامة عن مرتبة الامراء وبلغ بهم ذلك ان لما أهين رجل مصرى من

ابن أمير مصر عمر وبن العاص شخص الى مقر الخلافة يشكوه ويطلب انتصافه
منه ولم يعد الابدان استنزل أباه عن منصة إمارته فقدم هو وابنه الى المدينة وأقادا
ذلك الفرد من الرعية بحضور الخليفة كما سبق ايراده في غير هذا المحل وما نعلم ان
قوما بلغت بهم الحرية الشخصية يوماً مبلغها في ذلك العصر وتمتعوا بعدل مثل ذلك
العدل وهو حال ماؤها لتلك الأمم يومئذ من حال رفعهم من حضيض الذل
والعبودية الى ذرى العز والحرية وبشرهم بمصر جديد وسعادة ما عليها مزيد
خالط العرب هذه الأمم ودال اليهم ذلك الملك العريض ورأوا أبهة
الحضارة واستشعروا بلزوم الحياة المدنية للامم الغالبة وليس لديهم من ذلك الا
الاستعداد الفطري لقبول الخير والشر والشرع الالهي الذي دعاهم الى الخروج
من ظلمات البداوة فأخذوا بحكم الضرورة يقلدون مجاورهم في العادات وبدأوا
يباينهم في مضمار الحياة وكان مطمح نظرهم وأول عملهم بالطبع تقليد مجاورهم
في الامور الحربية واستعمال آلات القتال الفارسية والرومية ليقابلوا القوة بمثلها
ويعدوا لهذه الفتوح عدتها ثم تطرقوا من ذلك الى الامور السياسية والادارية
فوضع الخليفة عمر رضي الله عنه التاريخ ودون الدواوين على نحو ما هو موجود في
الدولتين الرومية والفارسية ثم أقبل على ترتيب الولايات وتقسيم الاعمال
وانتقاء العمال ثم فرض الاعطيات وقرر مصرف الفيء في غير سرف ولا تقدير
ونشر جناح الأمن واقام ميزان العدل وقرر اصول الجباية بلا اجحاف في حقوق
الرعية ولا غبن للدولة فعم الرخاء وبدأت مظاهر العمران تتجلى في أنحاء المملكة
وانهال الغنى والثروة على الفاتحين وخطوا خطى خفيفة الى ميدان الراحة والنعيم
مع الاخذ على الشكائم والتخوشن في المأكل والملبس والتوسط في العيش
والقصد في الانفاق والامساك عن البذل خوف الاخذ على أيديهم من عمر بن

الخطاب رضي الله عنه كما أخذ على يد خالد بن الوليد اذ وصل بعشرة آلاف من
الدراهم شريفاً من أشرف العرب كما رأيت في باب سياسته مع العمال
هذامن وجه ومن وجه آخر فان عمر رضي الله عنه لم يدع للعرب بعد اذ دفع
بهم في غمار الحضارة وقذف بهم الى ميدان الحروب وقتاً للاخلاق الى الراحة
والايواء الى ظل التنعم والسكون تحت كنف الامصار بل شغلهم عن ذلك بالفتح
وأهالهم بادخار المغانم عن التمتع بهار يثمايفل من غرب الدول المجاورة ويأمن
غائلة الائم المغلوبة وكان له بهذا ما رب أخرى أيضاً وهي اشغال العرب في الحرب
وزجهم في مضمار الفتح لئلا نسوا بأصول الاجتماع والحضارة وتبدل أخلاقهم
الجافية وتزول من نفوسهم أسباب التنافر والانتماء الى العصبية الداعية الى
الشقاق والفرقة يدلك على هذا ما كتبه لابي موسى الاشعري في الكتاب عدد ٦٥
الذي جاء في باب كتبه وأمره فيه بأن يضرب من ينادي بالعصبية بالسيف
استفاد العرب في حالتهم الاجتماعية من هذه السياسة العمرية لكن اندفاعهم
عنهم للفتح وتفرقهم في انحاء الممالك وتعجلهم في ذلك الظهور قبل تأصل الدين في
عامتهم نشأ عنه بعد تشويش في الدين والملك منه عدم التمكن من محو آثار الوثنية
من البلاد المفتوحة مع دخول أهلها في الاسلام وانما اختلفت هذه الآثار حينئذ
بدأت تظهر ثانية من صبغة بصبغة أخرى دعت لسرعة تفرق أهواء المسلمين
وظهور البدع والمبتدعين خصوصاً بين الاعاجم من المسلمين مما لا محل لتعداده
وذكره في هذا المقام . ومنه سرعة تقهقر الأمة العربية بمقدار سرعة تقدمها في
الحضارة والمدنية الى غير ذلك من الامور التي ربما يمر معنا ذكرها في هذا الكتاب
ومع هذا فاذا نظرنا من جهة أخرى الى سياسة عمر في تعجل الفتح نرى لها فوائد
كبيرة في حينها وذلك لان دفعه للقوم الى الفتح في ابان الظهور وحين التحمس

مهد لهم السبيل لقهر الأمم وتدويح الممالك لاسيما وانه كان من ورثهم جزاه الله عناو عنهم خير الجزاء يؤدبهم بأدبه ويحملهم على الفناعة والقصد ويحبب فيهم الأمم ويغل أيديهم عن التناول الى حقوق الغير ويأمرهم بمحاسبة الناس وحماية أهل الذمة حتى كان من ذلك ان ارتاح لحكمهم الشعوب وسهل عليهم استخضاع الاقوام وبث دعوة الاسلام فلم يخرج على سلطانهم خارجا بل لحكمهم أو تظلماً من سياستهم مع حداثة عهدهم في الفتح وقلة الحامية منهم بين ظهري الشعوب الخاضعين لسلطانهم الآمنين في أوطانهم

بسط المسلمون على عهده يد السلطة على الشعوب واستفتحو أغلاق الكنوز وملكوها واملكوها من البلاد ومع هذا فلم تأخذهم الدنيا بزخارفها ولم يُغرم الغنى والسلطان بالنعيم ولم يبترهم المال ولم تخطبهم الحضارة الا خطي قليلة الى الامام فكانوا وسطا في المعيشة في كل الامور ذلك لان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يريد على البطء في السير في طريق الترقى ويحملهم على التوسط في العيش فلا يمنعمهم منغاً ولا يدفعهم دفعا اللهم الا الامراء والعمال فانه كان يحملهم على طريقته في التقشف وشطف العيش لحكمة ذكرناها فيما سبق من هذا الكتاب يدل على ذلك على هذا كتابه الى أبي موسى الاشعري الذي يقول له فيه : بلغني انه فشت لك ولا هلك هيئة في المطعم والملبس : وينصحه بالتزام القصد وتأنيبه لسعد بن أبي وقاص على أن سمى داره في البصرة قصر سعد وغير هذا من أخباره الكثيرة مع العمال ومنها شرطه عليهم ان لا يأكلوا نقياً ولا يركبوا برذونا الخ ما جاء في باب سياسته مع العمال وأما عامة المسلمين فكان لا يريدهم على هذا الحال ولا يمنعمهم عن التمتع بما أحل الله لهم من الطيبات بل يرغب حملهم على طريق الوسط وحسبك دليلاً على هذا كتابه الى أبي عبيدة بن الجراح الذي يلومه فيه

على رحيله من انطاكية لطيب هوائها وتنعم المسلمون فيها
وأما انه كان يريد هم على البطء في السير في طريق الترقى في ذلك عليه مارواه
عامه أهل السير أن الاحنف بن قيس وفد عليه مرة وتكلم عن أهل البصرة
بكلام دل على سعة عقله فاحتبس عنده حولا وأشهر أتم سرحه وكذلك فعل
مع زياد بن أبيه لما وفد عليه من العراق ورأى فيه قوة العارضة والفتنة وزلاقة
اللسان احتبس عنده ولما سأله زياد عن السبب قال كرهت أن أحمل الناس على
فضل عقلك . وإنما كان يريد للعرب بهذه السياسة الترقى التدريجي حتى في
المدارك على أن مخالطهم الامم وسكنى الامصار غير ولا شك من أخلاقهم وألأن
من طباعهم وزاد في معارفهم ولا يعقل أن قوما كانوا يظنون الكافور ملحا أيام فتح
المدائن تصير اليهم كنوز الارض بعد ذلك ويسوسون الامم الا باستعداد عظيم في
قوى المدارك كمن في نفوسهم وأظهره الاحتكاك بتلك الامم على وجه خال
بالطبع عن كل شائبة من شوائب التصنع والختل المشهور بها أهل الامصار في ذلك
العصر وفي كل عصر فهم اذن كانوا أحسن أخلاقا وأسد عملا على سداجة فطرتهم
وجدة اسلامهم ممن حاربوهم من الامم وهذا شأن لا ينكر على مثل عصر عمر
رضى الله عنه الذي دأب فيه هذا الخليفة العظيم على تدريب هذه الأمة على أصول
السياسة وتهذيبها على وفق ما جاء به القرآن من آيات الحث والترغيب
في أسباب الظهور على الأمم بذلك على هذا ما رواه الطبري في أخبار القادسية ان
رستم زعيم الفرس وقائدهم قال يومئذ : أكل عمر كبدي أحرق الله كبده علم
هو ولا حتى علموا وفيه دليل على ان العرب لم يكونوا قبل الاسلام في نظر الفرس
شيئا مذكورا بعدهم عن أسباب الحضارة واغراقهم في الجهالة ولما اجتمعوا
على كلمة الاسلام وانكفوا على مملكتي فارس والروم وظفروا بحسن قيادة عمر

رضي الله عنه بدولتي الفرس والروم عرف رستم وأشباؤه من زعماء الدولة
الفارسية عظم قدر عمر بن الخطاب وبعد نظره في السياسة وحسن قيامه على تربية
المسلمين وتعليمهم كيف تكون حياة الامم ولهذا قال رستم ما قال ولا جرم
فلا خلاص الراعي لله وحبه لرعيته وحسن قيامه على مصالح الأمة دخل عظيم
في تسودهم على الامم وتعززهم بالعلم والقوة والعكس بالعكس

وبالجملة فالحالة الاجتماعية على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على حداثة
عهد أهلها في تسنم ذرى الارتقاء تمثلها لك سيرة هذا الخليفة الجليل في قالب الجدد
والاستقامة والعزيمة وتظهرها لديك في مظهر النهوض الى ارتقاء قمم المجد التي
انتهى اليها المسلمون فيما بعد بسيرهم سيراً حثيثاً ممدتة تزيد عن جيلين وقفاً بعددها
وقفه المستريح من وعاء سفر شاق المتلذذ بجنى ثمرات الجدد والنشاط والعمل
وهكذا حتى تغير الحال وانقلب الجدد والنشاط الى فتور واهمال وكان بعد ذلك
ما كان من هبوط مستمر بلغ بنا الآن ان فقدنا كل حول وقوة الامن السفساف
والاوهام وكل اشتغال الا بالباطيل وكل سعى الا وراء الرتب واللقاب التي
أضحكت علينا الأمم وأسرعت ببقية الاخلاق الفاضلة فينا لي هوّة العدم :
والغريبون يبتعوننا كل يوم بندير من الرهبوت والقوة وواعظ من العلم
والاعتبار ومنبه من التسلط على الممالك الاسلامية والديار الشريفة ومرشد الى
كيف تكون حياة الامم وسيادة الشعوب ونحن سكوت لا يسمعون لنا ركزاً
الافى تها ترو ولا يحسون منا حركة الا الى تدابر قد امتزج الاستعباد في نفوسنا حتى
مانطيق الحرية ولا نرضى العلم ولا نقبل التذرع الى السيادة والسعي الى المجد وهي
حالة يا لله تمزق غشاء القلوب وتندربشق الجيوب فواغو ثناه وواعمره

﴿ اعتذار ﴾

هذا جهد ما استطعته في استقصاء أخبار رجل الأمة العظيم عمر بن الخطاب
رضي الله عنه واني لا أرجو بمبادلته من الجهد وما عانيت من النصب وتعب الفكر
في تطبيق الحوادث وجمع الاشباه والنظائر وضرب الامثال وتحقيق الاخبار
واستنتاج النتائج واداء النصيحة أن يقابل قومي خدمتي هذه بالقبول ويحملوا كل
ما خطه قلبي على محمل الاخلاص في خدمة الملة والحق والله يشهد اني لا اغرض
لي أرمي اليه سواه ولا أرغب في هذه الحياة الا فيه فان أصبت فيما كتبت فذلك
ما أتمناه والا فالانسان محل الخطأ وصاحب الفضل من ردالي خطأي ونهني الى
عاطلي لا أصلحه في الجزء الذي يلي هذا الجزء وحسبي ما رأيت من قومي في جميع
الاقطار الاسلامية من الاقبال على الجزء الاول من هذا الكتاب تنشيطاً لي
ودافعاً لي الى المضي في عملي والمثابرة على اتمام هذا الكتاب على أسلوبه الجديد مما
عانيت من المشاق ولاقيت من التعب اذ كل شيء سهل بعد رضى قومي عن كتابي
هذا . وقد بعث رضاؤهم في نفسي رجاء عظيم في تحقيق أميتي التي قصارها تنبيه
العقول الراقدة لا الفاقدة الى سير أسلافهم الكرام ورجال الاسلام العظام الذين
يمثلون صورة الحياة العالمة في أحلى مظاهر الجد والقوة والنشاط فيقوم منها خيال
في النفوس الخاملة يزعجها عن مواطن الخمول والذيلة وينهض بها الى تناول المجد
من قته الشاحنة بوسائل الجد لا بالوسائل السافلة والله ملهم الصواب

هذا وقد كنت وعدت قراء الجزء الاول بأن أصدر هذا الجزء مشتملاً
على سيرة عمر بن الخطاب ومن اشتهر في دولته وبهذا عنونت هذا الجزء الا اني لما
انتهيت من سيرة عمر رضي الله عنه وجدت ان الجزء قد زاد عن الحجم الذي
قدرناه له ولو أضيفت اليه سيرة رجال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وسعنا الوفاء

بشرط بيع الاجزاء ثمن هين ولخالف ذلك رغبتى في تعميم الكتاب لاسيما وان
كثيراً من قراء الجزء الاول سألوني سرعة انجاز سيرة رجل الاسلام عمر بن
الخطاب لهذا رأيت ان اصدر هذا الجزء خلواً من سيرة مشهوري الرجال في
خلافة عمر رضى الله عنه وان ارجئها الى الجزء الذي يليه فاسأل القراء المعذرة كما
أسأل الله التوفيق انه اكرم مسؤول

﴿ كلمة للجراند ﴾

(وشكر للمنتقدين)

التمست في الجزء الماضي من أهل الفضل وأرباب الجراند الانتقاد على
ما في ذلك الجزء من خطأ بما بدر به القلم لاصححه في هذا الجزء فسبق بهذا التفضل
من المجالات العلمية كل من مجلة المقتطف والهلال الشهيرتين اللتين خصتا بخدمة
المعارف والعلم منذ أنشئت الى هذا العهد فطلبت اليّ الأولى ان أوسع النظر في
تواريخ الغربيين واستقصى منها حالة دولة الروم على عهد الفتح الاسلامي لا توسع
في بيان العلل والاسباب التي أوجبت قهر تلك الدولة بواسطة الجيوش العربية وفي
الحقيقة فان هذا الامر من الامور الجديرة بتدقيق المؤرخين الخليفة بالنظر
والتأمل لهذا راجعت أشهر التواريخ الافرنجية التي كتبت عن العرب والروم في
ذلك العهد كتاريخ الامبراطورية الشرقية لادوردجيون الانكليزي وتاريخ
العرب للمؤرخ الفرنسي دي فرجي والذي رأته فيها وفي غيرهما من التواريخ
مالاتخو منه كل دولة في مبادئ ضعفها من المفاسد الاجتماعية والسياسية كالظلم
وحب الشهوات ونبد القانون وتجاذب أطراف الرياسة وغير ذلك وزاد عليه في
الدولة البرنطية تفاقم خطب المجادلات الدينية التي أودت بحياة القوم السياسية
الا أن الامبراطور هرقل كان والحق يقال عضداً عظيماً لهذه الدولة في حال

ضعفها ذلك لانه من أعظم الملوك البرنطين وأشدهم حرصاً على حياة الدولة كما
 نرى ذلك من وقائمه الشهيرة مع المسلمين ومكافئته لهم بجيوش الروم مكافئة أهل
 العزيمة والحزم ومهاجمته لهم الكربة بعد الكربة لكن لم يغن عنه ذلك الكفاح شيئاً
 في جانب قوة المسلمين وكفاءة قوادهم العظام على ان الاطلاع على تاريخ الروم
 وأخبار دولة الخلفاء الراشدين في عهد الفتح ولو مجردة عن التعليقات السياسية
 والقياسية يكفي المؤرخ أن يستخرج الملل والاسباب من ثانياً السطور ومترقات
 الاخبار وقد بذلت في هذا الجزء جهد المستطاع في تتبع الملل السياسية
 والاجتماعية التي دعت اسرعة ظفر المسلمين بدولتي الفرس والروم يومئذ ولم ادع
 خبراً من الاخبار الأوردفة بما خطر لي من الخواطر الفلسفية أو وقفت عليه من
 الحقائق التاريخية لأمثل ذلك العصر في صورة يراها القارئ كأنما هو فيه
 خصوصاً فيما يتعلق بدولة الخلفاء الراشدين وسياسة المسلمين فان أصبت فيما قلت
 وبينت ثمة فذلك هو المطلوب والافوق كل ذي علم عليم وللمتقطف في تنبيهي
 الى ذلك فضل أشكره عليه من صميم الفؤاد

انتقد المتقطف الاغر كلاماً آخر من كتابي وسأني بياناً عن هو المسؤول
 عن بعض الحوادث التاريخية التي جرت في بعض أنحاء القطر السوري في
 منتصف القرن الماضي والجواب عن هذا علافة له بهذا الجزء وأتمها هو من
 خصائص الاجزاء الاخيرة من هذا الكتاب وسيأتي في محله ان شاء الله
 وأما مجلة الهلال فعقد انتقدت عليّ قولي في الجزء الماضي أن دمشق
 كانت على عهد الفتح الاسلامي حاضرة بني غسان وقد أفردت للجواب عن
 هذا الانتقاد فصلاً مخصوصاً في هذا الجزء فيه البيان الكافي فلاحاجة هنا لتغير
 اسماها شكري ومشاركتها في أجرى لانها كانت السبب في استقصائي للادلة

التاريخية التي اذا لم تغد في بابها اليقين فانها تكون عوناً للباحثين
وحبذا لو حذت حذو هاتين المجملتين كل المجالات العربية في انتقاد الكتاب
وتتبع ما فيه من الخطأ اذن والله لرادني انبعثا لتحقيق الاخبار وبسط الافكار
ونبهتني الى ما ربما لم يحط لي من الحوادث التاريخية في بال اذ العلم اجزاء لا يتناولها
عقل الفرد والامة جسم لا يتحرك عضو منه الا بالاستعانة باخيه فما بال مجلاتنا
التي هي عون المعارف وسند الباحثين ومنار المسترشدين لا يفيض من كنوزها
على المؤلفين الا قول أحسن وأجاد العلم يتجهل ان مدرسة الامة العامة هي الكذب
والمؤلفات وان الجرأدهي المسيطرة على هذه المدرسة المكلفة بتعهدا بالنظر
والبحت فيما يفسد اخلاق الناس او يصلحها من خير او شر وحق او باطل
او لعلمها يتجهل ان معظم البلاء الذي حل بالشرقيين عامة والمسلمين خاصة انما
كان منشأه الكذب التي شحنت بالباطل وانتزعت من النفوس ملكات العلم
الصحيح فأفسدت الاخلاق وأضعفت العقول وجمعت الحق والباطل في نظر
اكثر الناس سواء بل جمعت الحق عند فريق كبير تابعاً للاهواء ان شاءت جعلته
باطلاً وضربت به وجوه العلماء

ان جرأده الشوق ولا نكر ان للحق مصابة بنفس مصاب الامة لم تستثن
من ذلك البلاء لانها لا تحفظ على صفحاتها للمؤلفين غير المدح والاطراء فلا تلبه
المؤلفين الى حقيقة ولا تتمهم من سر باطل

هذا وما خلا المجالات فقد انتقد علي بعض الادباء اغفالي تفسير الالفاظ
اللغوية التي وردت في كلام القوم في الجزء الماضي على اني لم اغفلها الا اقتصاداً
لوقت كما نبهت على ذلك ثمة ومع هذا فقد استدركت هذا الخطأ في هذا الجزء
ففسرت الالفاظ اللغوية الا ما كان منها كثير التداول مفهوم ما بقرينة المجاورة

فاني لم أفسره اعتماداً على ذكاء القارىء
وقد نبهني بعضهم أيضاً الى غلطات مطبعية غير ما صححته في آخر ذلك الجزء
فجزمت ان أضيفه الى فهرس الخطأ والصواب الذي يلحق بهذا الجزء
وانتقدت على بعضهم كثرة استعمال الالفاظ الدينية كالدعاء بالصلاة والترضى
بحجة ان التاريخ ينبغي ان يكون خلواً من ذلك الحشو اذ يقرأه المسلم وغير المسلم
ومن يرى لزوم الدعاء ومن لا يراه
ونحن مع علمنا بأن هذا شئ لم يرد عن لسان الصحابة والتابعين بل اصطلاح
عليه بعض المحدثين بقصد تعظيم الصحابة وان لهؤلاء من النضية الذاتية ما يغنيهم
عن مثل هذا التعظيم وان أكبر المحدثين والمؤرخين كابن جرير الطبري لم
يستعمل الدعاء في تاريخه الا لكبار الصحابة واستعمله بالترحم لا بالترضى وفيه
دليل على أن وجوب التعظيم انما هو في القلب لا في اللسان والمؤرخ في الخيار
باستعمال أية صيغة من صيغ التعظيم اللفظية أو عدمه
مع هذا كله فاني لم أربأ من ايراد ذلك الدعاء اقتداءً بالائمة المحدثين الا انى
رمرت اليه بحرفي (رض) على اصطلاح بعض المتأخرين ليتلوه من شاء ومن
شاء فلا: ولا يخفى على فطنة المنتقد ان ذلك العصر عصر ديني أكثر مما هو
سياسي والصحابة هم الرجال الذين قام بهم الاسلام وضمير كل انسان يستشعر
بشئ من وجوب التعظيم ان لم يكن باللسان ففي القلب عند ذكر كل رجل عظيم من
أي قبيل أو ملة كان فكيف بالمسلم عند ذكر رجال أمته العظام وأئمة الكرام
الذين رفعوا منار الاسلام وأسسوا ذلك الملك العريض وأعلوا شأن المسلمين

﴿ تنبيه ﴾

نقلت عن منتخب كنز العمال كثير آمن الاحاديث في هذا الكتاب ولم
أذكر أسماء المخرجين اكتفاء بالعز والى كنز العمال ليراجعه من أحب معرفة
المخرج الذي ذكر في الكنز فيرجع الى كتابه عند قصد معرفة السند وكذلك نقلت
عن السيرة العمريه لابن الجوزي التي جردها من السند أسامة بن مرشد واكتفي
باسم الصحابي فقط كثير آمن الاحاديث المتعلقة بسيرة عمر رضي الله عنه وعزوتها
الى السيرة ومن أحب معرفة سلسلة سند كل حديث فليرجع الى الاصل ويوجد
منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بمصر



فهرست

— الجزء الثاني من اشهر مشاهير الاسلام —

صحيفة	صحيفة
واختلاف المؤرخين فيهما	عمر بن الخطاب
٢٤٥ فلسطين واجنادين	١٥٨ (باب) حاله في الجاهلية
٢٤٩ فتح بيت المقدس	نسبه وأصله وشرفه وصنعتة
٢٥٣ لاوثنية في الاسلام	١٨٦ مكانته عند قومه وسيرته فيهم
٢٥٨ فتح حماة واللاذقية وقنسرين	١٨٧ (باب) اسلامه وصحبته
٢٥٩ ذكر مسير هرقل الى القسطنطينية	١٩١ صحبته
٢٦١ فتح حلب وانطاكية وغيرها	١٩٦ (باب) خلافته
٢٦٣ مهاجمة هرقل لسورية بعد استقرار ملك المسلمين	١٩٩ (باب) أول أعماله في الخلافة
ماكل حديث يحدث به العامة وندم	٢٠٠ اجلاء أهل نجران
٢٦٧ أبي عبيدة على نقله الحديث لعامة الناس	٢٠٤ حكم الاسلام في المسيحيين وحكم الأوربيين في المسلمين
٢٧١ القواد الذين حضروا فتوح الشام	٢١٦ (باب) فتوح الشام
٢٧٢ خلاصة جغرافية ونظرة اجتماعية	(فتح دمشق)
(باب فتح العراق وفارس)	٢١٧ (بحث في الردة)
٢٨٥ انتداب أبي عبيد ووقعة الجسر وغيرها	٢٢٦ بطلان خبر
٢٨٧ موعظة	٢٢٩ بحث في هل كانت دمشق قاعدة الغسانيين
٢٨٨ عود الى خبر أبي عبيد	٢٣٥ وقعة نخل
موعظة أخرى	٢٣٦ بيسان وطبرية
٢٩٠ عود الى خبر أبي عبيد	٢٣٧ مروج الروم
٢٩٥ شجاعة النساء المسلمات	٢٣٨ ذكر بعلبك وحمص وسواحل دمشق
٢٩٧ عود الى خبر المثنى	٢٣٩ تحقيق خبر اجنادين واليرموك
كلمة على دولة الفرس قبيل الفتح	

صحيفة	صحيفة
٣٦٣ } كتابة التاريخ الهجري	٢٩٩ استعداد مثنى ومسير سعد بن أبي
٣٧٢ } تدوين الدواوين وفرض العطاء	وقاص الى العراق
٣٧٤ } ترتيب العمال وتقسيم الولايات	٣٠١ الحكم النبوي في الاسلام
٣٧٦ } ضرب النقود	٣٠٥ عود الى خبز الشورى
٣٧٦ } وضع البريد	٣٠٦ وصية عمر لسعد
٣٧٧ } تمصير البصرة والكوفة	٣٠٧ مسير سعد
٣٧٨ } التوسعة في المسجدين	٣١٠ كفة في التاريخ الاسلامي ورافة عمر
٣٧٩ } جملة ما تر	بالمحاريين
٣٨٩ } باب أخلاقه ومناقبه وسياسته وعدله	٣١٢ خبر القادسية وغيرها
٣٩٢ } نظرة في بعض الاخبار المتعلقة	٣١٥ مسح سواد العراق وترتيب الجزية
٤٠٣ } بأهل الذمة	والخراج
٤٠٩ } أخباره مع عماله ووصاياه لهم	٣١٥ كيف يكون الاستعمار
٤١١ } كفة في الحرية والطاعة أو الحكومة	عود الى خبز الفتح
٤١٤ } العسكرية والحكومة القانونية	٣٢١ } غزوة فارس من البحرين
٤١٥ } حضه الناس على الكسب	خبر الهرمزان
٤١٧ } نهي عن التطع وتحذيره من الابتداء	٣٢٣ } فتح الاهواز وتستر والسوس وغيرها
٤١٩ } أدبه وتأديبه	خبر جندي سابور
٤٢٢ } أدبه مع رسول الله	٣٣١ } وأمان عبد أمضاء جيش المسلمين
٤٢٦ } أدبه مع نفسه	٣٣٢ الانسياح في بلاد فارس
٤٢٩ } تأديبه لنفسه	٣٣٤ خبر نهاوند
٤٣٣ } تأديبه للمسلمين	٣٤٤ (باب) فتح الجزيرة
٤٣٦ } أدبه مع المسلمين وتواضعه لهم	٣٤٦ (باب) فتح مصر وبرقة
٤٣٩ } اهتمامه بأموال الرعية	(باب) تعمية الحيوش وبراعة القواد
٤٣٣ } وعسسه بالليل	٣٤٨ } وديوان الجيش
٤٣٦ } ورعه وزهده	٣٥٨ باب علائق عمر مع الملوك
٤٣٩ } كفة في بيت المال	٣٦٠ باب أهم الاحداث في عصره
٤٣٣ } حسبته	٣٦٣ باب آثاره في الخلافة

صحيفة	صحيفة
٤٧١ (باب) مقتل عمر	٤٣٥ قضاؤه
٤٧٩ وصيته لمن يخافه	٤٣٧ كتابه الى شرح القاضي وكتابه في
٤٨٠ صفته	القضاء الى أبي موسى الأشعري
٤٨١ (باب) ولده وعماله	٤٣٩ فراسته وذكاؤه
(باب) الحالة الاجتماعية على عهده	٤٤٢ بُذ من فنون أقواله وأخباره
٤٨٨ اعتذار	٤٤٥ فنون شق من أخباره
٤٨٩ كلمة للجرائد وشكر لامتقدين	٤٥١ أولياته
٤٩٣ تبيينه	٤٥٣ (باب) كتبه وفيه ثلاثة عشر كتابا
	٤٦٢ (باب) خطبه وفيه أربع عشرة خطبة

﴿ تمت الفهرست ﴾



﴿ اصلاح الفاظ الواقع في الجزء الاول والجزء الثاني ﴾

صحيفة	سطر	خطاً	صواب
١٨	١٧	وتحملهم على	وتحملهم على
٢٠	٩	واخبار	واخبار
٢٥	٧	مسايح	مسايح
٢٨	١٦	عقلا	عقلا
٤٧	١٤	للحقيقة	للحقيقة
٥٦	١٠	العالمين	العالمين
٦١	٤	بنظام	بنظام
٠٠	١٣	طائفة	طائفة
٧٤	١٠	فجمعهم اليه	فجمعهم اليه
٧٦	١	قاتلت مع النبي	قاتلت النبي
٨٣	٦	برأسى	برأس
٠٠	١٦	السالمة	المسالمة
١٠١	١٣	اشتعلوا	اشتعلوا
١٠٤	عدد الصحيفة ١٤٠		١٠٤
١٠٤	٤	عصرة	عصره
١٠٥	٧	ليبره	ليبراً
١٠٦	٤	طرء على المسلمين ما طرء	طرأ على المسلمين ما طرأ
١٠٧	١٩	للفوضى	الفوضى
١١٢	٨	لااله اب هو	لااله الا هو
١١٩	١٦	ببحيركم	ببحيركم
١٢٠	٤	وأمعن فيما	وأمعن النظر فيما
٠٠٠	١٤	الشور	الشورى
١٢٦	٦	بتقوى والاعتصام	بتقوى الله والاعتصام

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
شر بعده الجنة	شر بعد الجنة	٣	١٢٧
واتباع أمره	واتباعه أمره	٦	١٣٠
دخلت عليه	دخلت عليه	١١	١٣٢
ولم يثن	ولم يثنى	١٩	٠٠
صدقت	صدفت	٨	١٣٨
مع المشركين	مع المسلمين	٨	١٤٠
في المدينة	في المدينة	١	١٤٣
وأجلسه	وجلسه	١٨	١٥١
على الباطل	على الباطل	١٥	١٥٣
جاءته الخيل	جاءته الخيل	٢٠	١٥٤
منادياً	منياً	١	١٥٥
الى أبي بكر	الى أبي بكر	١٦	٠٠
في اليرموك	في اليرموك	١٣	١٦٨
الى عزله	بعزله	١٦	١٧١
والمعاهد	المعاهد	١٩	١٧٩
اشتغالاعنها	انشغالاعنها	١٦	١٨٥
بضحيان	بضحيان	١١	١٦٦
على الحق	على الحق	١٢	١٩٠
المشكاة	المشكات	٧	١٩٤
بيانا	بيانا	٨	٠٠
والجسمانية	والجسمانية	١٧	٠٠
عن بيعته	عن بيعه	٦	١٩٦
الكفائة	الكفائة	١٤	٠٠
يفعلان في العقول	يقعلان في العقول	١٥	١٩٩
واشترط عليهم	واشترط عليهم	٣	٢٠١
يدينون	يتدينون	١١	٠٠
لحياتهم	لحياتهم	١٦	٢٠٥

صواب	خطأ	سطر	صفحة
أو أنزعها	أو أنزعها	٢٠	٠٠
غير المسلمة	غير المسلمة	٥	٢٠٨
أسعر لهيها	أسعر لهيها	٢٢	٢١٠
قوة الغلب	قوة لغلب	١	٢١١
إذن	إذن	٦	٢١٢
الذي يظهر	لذي يظهر	١١	٢١٥
الاسلام	لاسلام	١٣	٠٠
أن ترضى	إن ترضى	١٢	٢١٦
فظفرت الروم	فظفرت الرو	١٥	٢١٨
الحديدية	الحديدية	١٦	٠٠
ابروز	ابروز	٢١	٠٠
بمالة	بمالة	٢	٢٢٤
الملك	المملك	١٠	٢٢٦
وليسوا في	وليسوفى	٢٠	٢٢٩
ولا يبعد	ولا يبعد	١٢	٢٣١
بالمقسلاط	بالمقسلاط	٧	٢٣٣
المتوفى سنة	المتوفى سنة	١٣	٢٣٤
درجات المدينة	درجات المدينة	٦	٢٣٥
المسلمين	المساين	١٥	٢٣٦
هذا الهذر	هذا الهزر	٤	٢٣٨
وأخو حرام	وأخو حرامي	١٦	٢٤٥
فأمر الفيقارر جلا	فأمر الفيقار جلا	١٨	٠٠
عمر بن العاص	عمر بن العاص	٧	٢٤٦
عم تنفرج	عم تنفرج	١١	٠٠
قنسرين سار الى حاضر حلب فتحصن	قنسرين فتحصن	٥	٢٥٩
وبلغ أباعبيدة	وبلغ أبوعبيدة	٣	٢٦٣
ولا زهدوا	ولا زهدا	١٧	٢٦٦

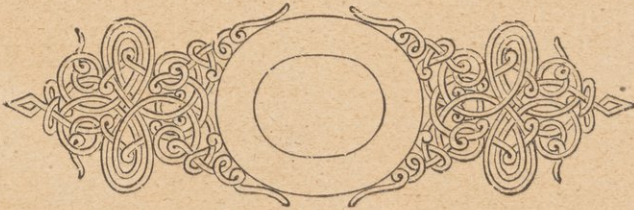
صحيفة	سطر	خطاً	صواب
٢٧٣	١٠	كان عهد الرومانيين	كان على عهد الرومانيين
٢٧٦	٧	وتوابعهم	وتوابعها
٢٧٧	٧	بداول	وبداول
٢٧٩	٣	تترقى	تترق
٢٨٣	١١	موجود	موجود
٢٨٤	٢	مارأدنا	مارأدنا
٢٨٨	١١	والذمة عن	والذمة عن
٢٩٠	١٧	جلود النمر ٠٠ تزل بالمرحة	جلود النمر ٠٠ نزل بالمرحة
٢٩٣	١١	الفرات لآخر	الفرات الآخر
٢٩٥	١١	وجبرير	وجبريراً
٢٩٥	١٨	بشجاعة نساءهن	بشجاعة نساءهن
٠٠	٢١	ويضمن	ويضمنن
٢٩٩	١٢	استعداد مثنى	استعداد المثنى
٣٠٠	١٨	على اجادة	على جادة
٠٠	٢٠	تصغير الفضا	تصغير الغضا
٣٠٢	١٥	جاجة الزمان	حاجة
٣٠٣	١	بحكم لوسط	بحكم الوسط
٠٠	٦	انهما كهم	انهما كهم
٣٠٥	١٩	الاسد	قالوا الاسد
٣٠٨	٢	وجههم	وجههم
٣١٥	٢٠	تمحى عن	تمحوعن
٣١٨	٨	احجاف	احجاف
٣١٩	٨	خمسين ألف شخصاً	خمسين ألف شخص
٠٠٠	١٠	أربعة وعشرين	أربعة وعشرون
٠٠٠	١٣	مليوناً درهما	مليون درهم
٣٢٠	١٠	ثرولة	ثروة
٠٠٠	١٢	ابقائها	ابقاءها

صواب	خطأ	سطر	صفحة
للدين	للدين	٢٠	٠٠٠
جاء	جاد	٢١	٠٠
سرافة	سرافة	٨	٣٢١
أن يعفيه	أن يعفيه	٩	٣٢٣
لا يرد عليهم	لا يبرِّد عليهم	١٠	٣٢٤
لم يبق	لم يبق	١٥	٠٠٠
واتسقت له	واتسقت له	١١	٣٢٥
وهو السرادق	وهو السرادق	٧	٣٣٨
فأدركه	فأدركه	٩	٣٣٩
فتح الجزيرة	فتح الجزيرة	٩	٣٤٤
بعضها	بعضها	٦	٣٤٩
ردء آ	رداء	١٨	٠٠٠
بن أبي جهل	بن جهل	١٠	٣٥٣
آلاف ثلثة	لاف ثلثة	٦	٣٥٧
أيدي العرب	أيادي العرب	٦	٣٥٨
نشرح لك	نشرح لك	٤	٣٦٤
فقرأها ومواساتهم	فقرأها ومواساتهم	٢١	٠٠٠
سعادة الحياة	سعادة الحياة	٢٣	٠٠٠
في الممالك	في الممالك	١	٣٦٥
فقد قطعها	فقد قطعها	٥	٣٦٦
مباراة	مبارات	٢٠	٠٠٠
ونحو ذلك	نحو ذلك	٤	٣٦٧
والأمة... مثل	والأمة... مثل	٥	٠٠٠
جزء من الجزيرة	حز من الجزيرة	١٤	٣٧٢
قلوبهم الاسلام	قلوبهم لاسلام	٨	٣٧٩
لقي رجل	لقي رجلا	٤	٣٨١
ابن عساكر	بن عساكر	١٤	٠٠

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
أمهاتهم	أمهاتهم	٣	٣٨٣
حذيفة بن ليثان	حذيفة بن ليثان	١٠	٣٨٦
اطراح لأمة	اطراح لأمة	١١	٣٨٩
ولا نجد من المال	ولا نجد من المال	١٥	٠٠٠
بارشادهم	بارشادهم	٢	٣٩١
وهو	وهو من	٩	٣٩٢
اليعوث ٠٠٠ نهاوند	اليعوث ٠٠٠ نهاوند	٢	٣٩٣
ابن جرير	بن جرير	١٧	٠٠٠
وروى الطبري	ورى الطبري	١٨	٣٩٥
فتفتنوها	فتفتنوها	٨	
وأقلوا من الرواية	واقولوا من الرواية	٩	٣٩٩
ابن الجوزي	بن الجوزي	١١	
المتهدم	المتهدم	١٥	
الاشعث	الاشعث	١١	٤٠٠
نخفت	نخفت	١٥	٤٠١
الآن	الآن	١٥	٤٠٢
فرقا	فرق	١٦	٠٠٠
بها حق	بها حق	١١	٤٠٤
أطيعوا الله	أطيعوا الله	٥	٤٠٥
تستند	تستند	٢١	٠٠٠
فاعاد	فاعاده	١٧	٤٠٦
ابن عم خالد	بن عم خالد	١٧	٤٠٧
ابن العم	بن العم	٢٠	٠٠٠
لاحكم الا الله	لاحكم الا الله	١٢	٤٠٨
مرتبة	مرتبة	٩	٤٠٩
المساواة	لمساواة	١١	٤١٩
يتفشى الخليل	يتفشى الخليل	٩	٤٣١

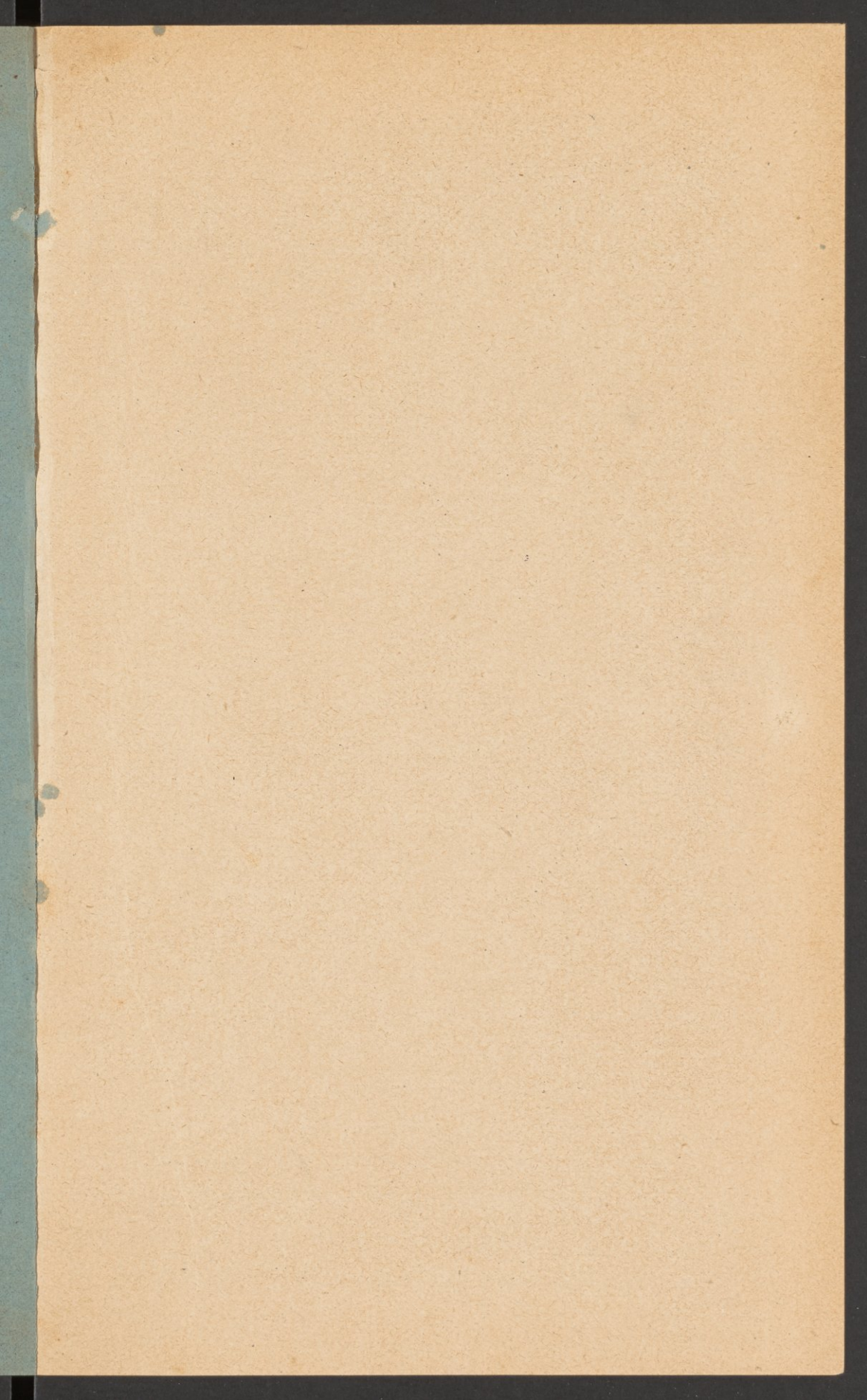
صواب	خطأ	سطر	صحيفة
عمر يقول	عمر يقول	٩	٤٤٩
ولامن صابهم	ولامن صابهم	٢٣	٤٥٦
هكذا «٣٥»	هكذا «٢»	٢٦	٤٥٧
يفض الله	ينفض الله	٢٤	٤٥٨
فقا. بارز	نقد بارز	٣	٤٦٢
اجعل	اجعل	٨	٤٦٦
يتناضلون	يتنااضلون	٢٥	٤٧٠
نفس طلعة	نفس ظاعة	٢٦	٠٠٠
وعمرهم	وعمرهم	٤	٤٧٥
عمر بن	عمر بن	١٠	٤٧٨
جزور	جزور	١٣	٤٨٢
والبحث	والبحث	٩	٤٩١

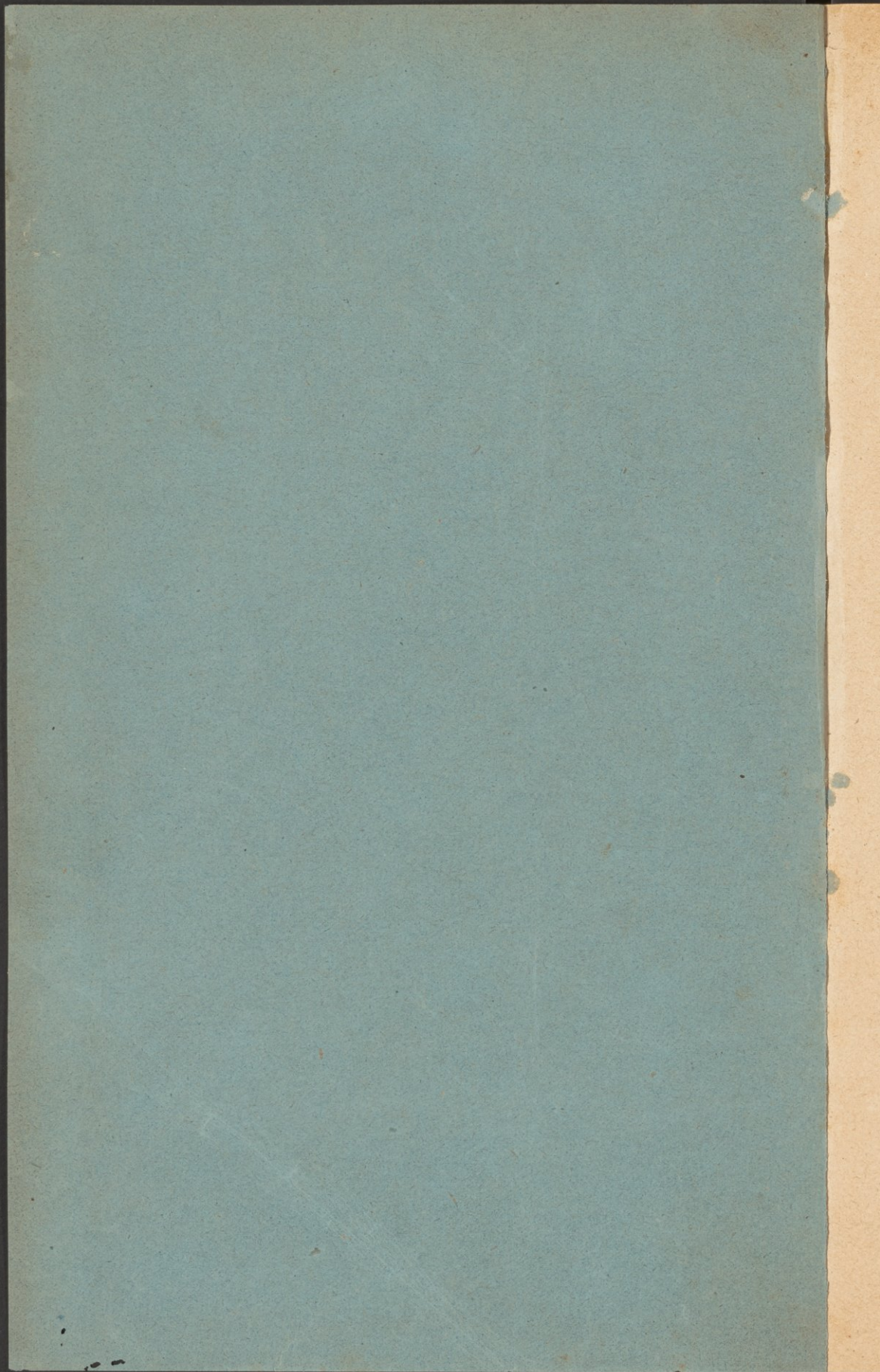
وردت لفظة الاردن في هذا الكتاب بتشديد الراء تارة وتشديد النون اخرى والصواب تشديد النون فليتبته

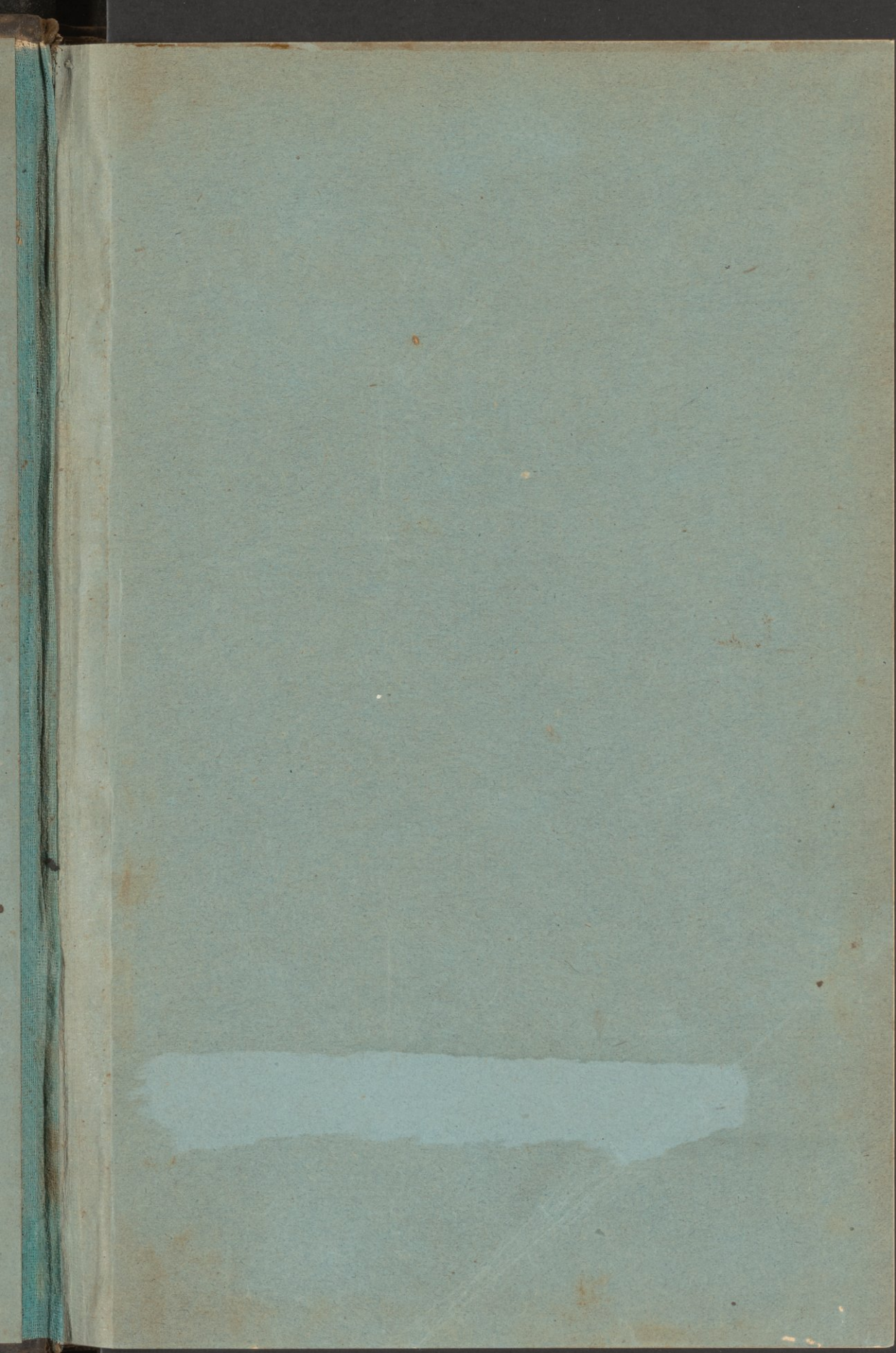


﴿ ملحق للخطأ والصواب ﴾

قد وقع في هذا الجزء اغلاط أخرى غير الاغلاط الميمنة في فهرست الخطأ والصواب لم اطالع عليها الا بعد تمام طبع الكتاب لاني لم أنف على طبع قسم كبير منه لانحراف ألم بصحتي واضطرتني الى السفر ومنها انه جاء في صحيفة ٣٥٣ سطر ١٤ اسم أشيم وصوابه بن أشيم وفي الصحيفة ٣٦٧ سطر ٤ نحو وصوابه ونحو وفي الصحيفة نفسها سطر ٥ مثل والصواب لمثل وفي الصحيفة ٤٢٩ سطر ١٦ وتقضي والصواب وتقضي وفي الصحيفة نفسها سطر ١٧ بقبول وصوابها بفضول وفي الصحيفة ٤٣١ سطر ٣ منه والصواب منها وفي الصحيفة ٤٣٦ سطر فقصد والصواب فقد وجاء في الصحيفة ٤٣٧ جملة طويلة بعد كتابه الى شرح القاضي أولها وأما أفضيته الخ الجملة وليس هذا محلها بل هي في ختام هذا الفصل بعد كتاب أبي موسى الأشعري وفي الصحيفة ٤٤٢ سطر ١٢ جملة لم يتوقف عن جمع كلمة الأمة وصوابها يتوقف لجمع كلمة الامة وفي الصحيفة ٤٤٩ سطر ٩ أم والصواب بن أم في الصحيفة نفسها آخر سطر ١٨ عنوان فصل مخصوص لم يجعل وحده بين سطرين وسقط من الفهرس فليتبه اليه وفي صحيفة ٤٥٣ سطر ١ سامه والصواب مسامة وفي الصحيفة ٤٥٨ سطر ٢٤ ينفض وصححت في الفهرس يفض وصوابها ينتض بالتين وفي الصحيفة ٤٦٤ سطر ٦ لا عوض والصواب للعرض وفي الصحيفة نفسها ٢٤ وهو الحق والساطة وصوابه وهو الحق الذي تعين به حد السلطة العليا الخ وفي الصحيفة ٤٦٥ سطر ٤ ولا تحمدوهم والصواب ولا تجمروهم وفي الصحيفة نفسها سطر ٢٣ لذي والصواب الذي وفي الصحيفة ٤٦٧ سطر ١٥ مستعدة والصواب مستعدة وفي الصحيفة ٤٧٠ سطر ٢٥ وخرجوا ان والصواب وخرجوا الى وفي الصحيفة ٤٧٢ سطر ٣ رأى والصواب أرى وفي الصحيفة نفسها سطر ١٨ وجاء والصواب ووجه بهزة فوق الألف وفي الصحيفة ٤٧٨ سطر ١٢ ولأوترت والصواب ولأوترن والصحيفة ٤٨١ سطر ٦ الدير والصواب الدير والصحيفة ٤٨٤ في سطر ١٣ انفض عنهم وهو زائد لا محل له وفي الصحيفة ٤٩١ سطر ١٧ سر والصواب سر دواهم غلط جاء في هذا الجزء في الصحيفة ٤٧٤ سطر ١٨ وما بعده وهو اسم ابي هريرة بدل كعب الاحبار وهو سهو يدركه القارئ مما قبله وانما حماي عليه تشمت الخاطر وألم المرض ولم ينتبه من وقف على طبع الكتاب له ليصاحه لما اني لم أعد نظري عليه حال الطبع لتعبي خارج القطر فأرجو كل من وقعت بيده نسخة من هذا الكتاب ان يصاحه بقاءه بان يضع اسم كعب الاحبار بدل اسم ابي هريرة وله الفضل . وقد جاء في الفهرست نصل بعنوان بحث في الردة وهو حشومن الطباع اذ ليس في هذا الجزء نصل بهذا العنوان وانما هو في الجزء الاول فليتبه اليه ومتى نفذت نسخ هذين الجزئين فسنعيد طبعهما بأحسن اتقان ان شاء الله







NEW YORK UNIVERSITY
Elmer Holmes Bobst
Library



Donated by
the Massoud Family
of Egypt and the United States
in honor of
YEHIA MASSOUD
and
MUHAMMAD MASSOUD
from whose library this book comes

